

الجمع والتأصيل لعلم القراءة

والترتيل

الكتاب الأول

﴿ الفصول من الأصول ﴾

تأليف

طارق عبد المجيد البيومي

هاتف / ٣٣٨٧١٢٥٢ - ٠٢

جوال / ٠١١٨٩٠٣١١٤

عنوان البريد الالكتروني

ALBYUMY@yahoo.com

ALBYUMY@hotmail.com

رقم الإيداع

٢٠٠٨/٢٥٥٢

الترقيم الدولي

977-17-5387-8

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

جميع الحقوق محفوظة

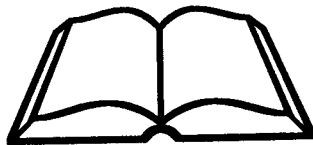
للمؤلف

الشركة الفنية للطباعة

ت / ٣٧٧٧١٠٣٩ - ٠٢

الهرم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الفصل العشرين

توقيفية القراءة والعدد

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سُورَةَ الْأَحْقَافِ ، وَأَقْرَأَهَا رَجُلًا آخَرَ ؛ فَخَالَفَنِي فِي آيَةٍ ، فَقُلْتُ لَهُ مَنْ أَقْرَأَكَهَا ؟ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي نَفْرِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ، أَلَمْ تُقْرِئْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا ؟ ، فَقَالَ : « بَلَى » ، قَالَ : قُلْتُ : فَإِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ أَقْرَأْتَهَا إِيَّاهُ كَذَا وَكَذَا ؟ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَقَالَ الرَّجُلُ الَّذِي عِنْدَهُ : لِيَقْرَأْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَمَا سَمِعَ ، فَإِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْإِخْتِلَافِ ؛ قَالَ : فَوَاللَّهِ ! ، مَا أَدْرِي ؟ ، أَرَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَمْرَهُ بِذَلِكَ ، أَمْ هُوَ قَالَهُ . » ^(١)

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « تَمَارَيْنَا فِي سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَقُلْنَا : خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً ، سِتٌّ وَثَلَاثُونَ آيَةً ، قَالَ : فَاَنْطَلَقْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَوَجَدْنَا عَلِيًّا - رضي الله عنه - يُنَاجِيهِ ، فَقُلْنَا : إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْقِرَاءَةِ ، فَاحْمَرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَقَالَ عَلِيُّ - رضي الله عنه - : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَءُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ . » ^(٢)

(١) [صحيح] ، أخرجه أحمد (٣٩٩٢ - ٤٣٢٢) وصححه شعيب الأرناؤوط .
 (٢) [حسن] ، أخرجه أحمد في "المسند" ١٠٥/١ (٨٣٢) وحسنه شعيب الأرناؤوط ، وأخرجه ابن جرير الطبري (ص ١٣) وصححه الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - ، وحسنه الشيخ أبو إسحاق الحويني - حفظه الله - في تحقيقه لكتاب فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٧١ .

ديباجة هذا الحديث:

قوله : « أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ، « فَقُلْتُ لَهُ مَنْ أَقْرَأَكَهَا ؟ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ؛ فيه الدلالات والإشارات الآتية :

- (١) _ أن الصحابة - ﷺ - كانوا يتلقون القرآن الكريم مشافهة ويأخذون كيفية قراءته من النبي - ﷺ - .
- (٢) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية عن النبي - ﷺ - .
- (٣) _ أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجدة .
- (٤) _ أن قراءة القرآن الكريم لا تؤخذ من المصحف .
- (٥) _ أن قراءة القرآن الكريم يجب أن تُتلقى بالمشافهة .
- (٦) _ أن القراءة التي نقلها لنا الصحابة - ﷺ - هي نفسها القراءة التي سمعوها من النبي - ﷺ - .



وقوله : « تَمَارَيْنَا فِي سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَقُلْنَا : خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً ، سِتُّ وَثَلَاثُونَ آيَةً » ، أي : تجادلنا في عدد آيات سورة من القرآن ، هل هي خمسٌ وثلاثون آية ، أم ستٌ وثلاثون ، حيث إن البعض قد تلقاها من النبي - ﷺ - خمسا وثلاثين ، وتلقاها البعض ستا وثلاثين ؛ وفيه دلالة أيضا على الآتي :

- (١) _ أن عدد آيات السور توقيفية عن النبي - ﷺ - .
- (٢) _ أنهم كانوا يتحرون الوقف على رؤوس الآيات .



وقوله : « فَأَنْطَلَقْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - » ، أي : لنسأله عن عدد آيات هذه السورة ، هل هي خمس وثلاثون آية ؛ أم ست وثلاثون .

وقوله : « فَقُلْنَا : إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْقِرَاءَةِ » ، [فسمي الاختلاف في : اختلاف في القراءة] ، وهذا يدل على الآتي :

- (١) _ أن عدد الآيات توقيفي عن النبي - ﷺ - .
 (٢) _ أن عدد آيات السور : من جملة القراءة والرواية ؛ وهذا يدل على الآتي :

(أ) _ أن من قرأ برواية معينة : فالأولى أن يلزم العدد المنقول عن أهلها ؛ فمثلا : من قرأ بقراءة أهل المدينة = فليلزم عدد أهل المدينة ؛ ومن قرأ بقراءة أهل الكوفة = فليلزم عدد أهل الكوفة ؛ ومن قرأ بقراءة أهل الشام = فليلزم عددهم ، وهكذا ؛ وخاصة أنه قد يكون لبعض الكلمات أحكاما معينة إذا وقعت رءوسا للآيات فإذا لم تكن رأس آية لا يقع عليها هذا الحكم .

(ب) _ أن من كتب مصحفا برواية معينة : فالأولى أن يلزم العدد المنقول عن أهلها أيضا ؛ فمثلا : من كتب مصحفا على رواية أهل المدينة = فليلزم عدد أهل المدينة ؛ ومن كتب مصحفا على رواية أهل الكوفة = فليلزم عدد أهل الكوفة ؛ ومن كتب مصحفا على رواية أهل الشام = فليلزم عددهم ، وهكذا .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقوله : « فَاخْمَرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، ، « فَتَغَيَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - » .
أي كناية عن شدة غضبه وإنكاره عليهم هذا الاختلاف .

وقوله : « فَوَجَدْنَا عَلِيًّا - ﷺ - يُنَاجِيهِ ، ، أي : يتحدث معه حديثا خاصا على انفراد .

وقوله : « فَقَالَ عَلِيٌّ - ﷺ - : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ، يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ ، ، القائل هنا هو علي بن أبي طالب - ﷺ - ؛ وفي هذا إشارة إلى أن النبي - ﷺ - قد أعرض عنهم ، ولا يُعرض النبي - ﷺ - عن أحد إلا إذا أتى بأمر عظيم .

وقوله : « فَوَاللَّهِ ! ، مَا أَدْرِي ؟ ، أَرْسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَمْرَهُ بِذَلِكَ ، أَمْ هُوَ قَالَهُ ، ، فهذا لا يضر ؛ لأنه حتى لو كان من قول علي بن أبي طالب - ﷺ - إلا أنه قاله بحضرة النبي - ﷺ - وقد أقره عليه .

وقوله : « إِنْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ ، ، « لِيَقْرَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَمَا سَمِعَ ، ، فهذا الأمر للوجوب ، ويدل عليه السياق ، وظاهر اللفظ ، والتصريح بالأمر ، والتأكيد بالأداة ، واسمية الجملة ، والقرينة : التي هي غضب النبي - ﷺ - ، وإنكاره ، وإعراضه عنهم ، بل وتهديده لهم بالهلاك .

وقوله : « أَنْ تَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ » ، « لِيَقْرَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَمَا سَمِعَ » ، أي :
على الصفة التي عَلَّمْتُمْ وتلقيتم من مشايخكم وعلمائكم ، من غير زيادة ،
أو نقصان ، أو تغيير ، أو تبديل ، أو تحريف ، أو تخليط ، لأن القراءة
متى ثبتت ، وجب قبولها ، والرضى بها ، والمصير إليها ، ولا يجوز
إنكارها ، أو العدول عنها .



وقوله : « أَنْ تَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ » ، « لِيَقْرَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَمَا سَمِعَ » ، فيه
أيضا الدلالات والإشارات الآتية :

- (١) _ أن الصحابة - ﷺ - قد تلقوا القرآن الكريم وتعلموا قراءته وكيفية
أدائه وتلاوته مشافهة من النبي - ﷺ - .
- (٢) _ أن الصحابة - ﷺ - كانوا يقرءون القرآن الكريم كما تلقوه وتعلموه
من النبي - ﷺ - .
- (٣) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية عن النبي - ﷺ - .
- (٤) _ أن القرآن الكريم لا يُقرأ بالسجدة .
- (٥) _ أن قراءة القرآن الكريم لا تُؤخذ من المصحف .
- (٦) _ أن قراءة القرآن الكريم يجب أن تُتلقى بالمشافهة وتؤخذ من أفواه
الرجال .
- (٧) _ أن القراءة التي نقلها إلينا الصحابة - ﷺ - هي نفسها القراءة التي
سمعوها من النبي - ﷺ - .



ويفهم من فحوى هذا الكلام والسياق : أن هناك محذوف ، وتقديره هو : أي :
 « اقرءوا كما علمتم ؛ ولا تتركوا ما تعلمتم ، ولا تُنكروا قراءة غيركم
 طالما أنها قد ثبتت » ، و« ليقرأ كل رجلٍ منكم كما سمع ؛ ولا يترك ما
 سمع ، ولا ينكز قراءة غيره طالما أنها قد ثبتت » ، أي : اقرءوا القرآن
 كما علمتموه وتلقيتموه ، ولا تتركوا ما تعلمتم ، ولا ينكر بعضكم قراءة
 بعض ، ولا يخلط قراءته بقراءة غيره ؛ كما جاء في رواية أخرى : « إن
 رسول الله - ﷺ - يأمركم أن يقرأ كل رجلٍ منكم كما علم » .^(١) أي كما
 أقرئ وتلقى .

وقوله : « أقرأني رسول الله - ﷺ - سورة الأحقاف ، وأقرأها رجلاً آخر ،
 فخالفتني في آية ، فقلت له : من أقرأكها ؟ ، فقال : رسول الله - ﷺ - »
 ففيه الدلالات والإشارات الآتية :

(١) _ أن كلا من قراءتهما صحيحة عن النبي - ﷺ - ، وقد صرحوا بذلك
 في الحديث .

(٢) _ أن القراءات قد تتعدد وتتنوع على وجوه كثيرة صحيحة وليس بينها
 تعارض .

(٣) _ أن عدد آيات السور متعدد أيضاً ، ومرده يعود إلى تعدد الروايات
 الصحيحة أيضاً عن النبي - ﷺ - .

(١) [حسن] ، أخرجه ابن حبان ٢٢/٣ (٧٤٦) وحسنه شعيب الأرنؤوط .

وقد ورد عن السلف الصالح - ﷺ - ما يدل على ذلك كله ويؤيده ؛ فعن عبد الله بن مسعود - ﷺ - : « أَنَّهُ أَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ ، وَأَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ لَا يَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا يَتَنَازَعُوا فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ ، وَلَا يَتَسَاقَطُ ، وَلَا يَتَفُذُّ لِكثَرَةِ الرَّدِّ ؛ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ فِيهِ وَاحِدَةٌ : حُدُودُهَا ، وَقِرَاءَتُهَا ، وَأَمْرُ اللَّهِ فِيهَا ؛ وَلَوْ كَانَ مِنَ الْحَرْفَيْنِ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ يَنْهَى عَنْهُ الْآخَرُ : كَانَ ذَلِكَ الْإِخْتِلَافَ ؛ وَلَكِنَّهُ جَامِعٌ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مِنَ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ مِنْ خَيْرٍ مَا فِي النَّاسِ ، وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا يُبَلِّغُنِيهِ الْإِبْلُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي لَطَلَبْتُهُ ، حَتَّى أَزَادَ عِلْمَهُ إِلَيَّ عِلْمِي ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً ، فَعُرِضَ عَلَيْهِ عَامَ قُبُضِ مَرَّتَيْنِ ، كُنْتُ إِذَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ أَخْبَرَنِي أَنِّي مُحْسِنٌ ؛ فَمَنْ قَرَأَ عَلَيَّ قِرَاءَتِي - فَلَا يَدْعُهَا رَغْبَةً عَنْهَا ، وَمَنْ قَرَأَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ - فَلَا يَدْعُهَا رَغْبَةً عَنْهُ ، فَإِنَّ مَنْ جَحَدَ بِحَرْفٍ مِنْهُ - جَحَدَ بِهِ كُلِّهِ » .^(١)



(١) [حسن] ، أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤١/٣٣ . والطبري في تفسيره ٤٤/١ . والإمام أحمد في المسند ٤٠٥/١ (٣٨٤٥) . عن رجل من همدان من أصحاب عبد الله عن عبد الله بن مسعود - ﷺ - ، وضعفه شعيب الأرنؤوط والهيثمي ٣١٧/٧ (١١٥٨٢) لجهالة الراوي عن ابن مسعود - ﷺ - ، قلت : وقد أخرجه الطبراني في الكبير ٩٧/١٠ (١٠٠٧٥) عن رجل ووصف صفة يرى أنه عمرو بن شرحبيل الهمداني . وأخرجه في الكبير أيضا بإسناد آخر ٩٧/١٠ (١٠٠٧٦) وقطع بأنه عمرو بن شرحبيل الهمداني ، وله متابع أيضا أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/١ . من رواية علي بن أبي علي عن زيد عن علقمة النخعي عنه ، وعلى هذا هو اللهي وهو ضعيف والحديث حسن .

الخلاصة:

إن هذا الحديث العظيم يدل على توقيفية قراءة القرآن الكريم ، ووجوبها ، وأصالتها ، ويدل على أنه ليس لأحد أن يقرأ كما شاء من دون توقيف ، حيث إن النبي - ﷺ - قد أمرهم أن يقرأ كل منهم كما عَلَّم ، ولم يأذن لهم بالعدول عن ذلك ، مع أن كلاً من طرفي الخلاف على صواب ، وهذا يدل أيضا على أنه لا يجوز الخلط بين القراءات أو العدول عن الطريق الصحيح للقراءة إلى طريق آخر حتى ولو كان صحيحا أيضا .

وهذا الحديث الشريف يدل أيضا على أن عدد آيات القرآن والسور توقيفية أيضا ، وأنه من جملة القراءة ، وأن العدد متنوع كما أن القراءات متنوعة أيضا ، ومرد هذا الاختلاف يعود إلى اختلاف الروايات الصحيحة عن النبي - ﷺ - ، وإن هذا التعدد في الروايات الصحيحة لا يسوغ الخلط بينها ، بل يجب أن يُردَّ كل وجه لروايه ، وكل خلف لطريقه ، وكل قول لقائله ، كما بين ذلك النبي - ﷺ - بقوله على لسان عليّ - رضي الله عنه - : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ » ، وفي الرواية الأخرى : « لِيَقْرَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَمَا سَمِعَ » .



الفصل الواحد والعشرون

الخلط بين الطرق والروايات

عن أبي وائل ، قال : قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « قَدْ سَمِعْتُ الْقِرَاءَةَ ، فَسَمِعْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ ، فَأَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَالْإِخْتِلَافَ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ : (هَلُمَّ) ، وَ(تَعَالَ) » ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ .^(١) ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ !، إِنَّ نَاسًا يَقْرَأُونَهَا : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ - رضي الله عنه - : « إِنِّي أَقْرَأُهَا كَمَا عَلَّمْتُ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ » .^(٢)

وأيضاً في رواية أخرى عنه ، قال : « إِنِّي أَنْ أَقْرَأُهَا كَمَا عَلَّمْتُ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ » .^(٣)

(١) [سورة يوسف - الطبري - : من الآية ٢٣] .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٧٦/٧ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، وطبعة مؤسسة الرسالة (٣١/١٦) (١٨٩٩٨) - وصححه محققه الشيخ محمود شاكر - رحمه الله - .

(٣) [صحيح] ، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٩/١) ، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٧٦/٧ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، وطبعة مؤسسة الرسالة (٣١/١٦) (١٨٩٩٨) - وصححه محققه الشيخ محمود شاكر - رحمه الله - .

وفى رواية أخرى عنه أيضا ، قال : « دَعُونِي : فَإِنِّي أَقْرَأُ كَمَا أُقْرِئْتُ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ » ^(١).

وأیضا فی رواية أخرى عنه ، قال : « أَقْرُؤُهَا كَمَا عَلِّمْتُ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ » ^(٢).

وأیضا فی رواية أخرى عنه ، قال : « إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أَقْرَأُ كَمَا عَلِّمْتُ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ » ^(٣).

وأیضا فی رواية أخرى عنه ، قال : « إِنَّمَا نَقَرُوهَا كَمَا عَلِّمْنَاهَا » ^(٤).

وأیضا فی رواية أخرى عنه ، قال : « إِنِّي أَقْرَأُ كَمَا عَلِّمْتُ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ » ^(٥).

(١) [صحيح] ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٧٦/٧ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، طبعة مؤسسة الرسالة (٣١/١٦) (١٨٩٩٨) - ، وصححه محققه الشيخ محمود شاكر - رحمه الله - .

(٢) [صحيح] ، أخرجه أبو داود (٤٠٠٤) وصححه الألباني .

(٣) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٨/٩ (٨٦٨١) وقال الهيثمي في المجمع (١١٥٩٩) : رجاله ثقات .

(٤) [صحيح] ، أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤١٥) . وحفص بن عمر الدوري في جزء قراءات النبي صلى الله عليه وسلم ١١٥/١ (٦٩) .

(٥) [صحيح] ، أخرجه أبو داود (٤٠٠٥) وصححه الألباني .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وعن زر بن حبيش ، قال : قرأ رجل على عبد الله بن مسعود - ﷺ - : ﴿ طه ﴾ .
 ولم يكسر - أي قرأها بفتح الهاء أو الطاء ولم يمل أي منهما - ، فقال
 عبد الله - ﷺ - : ﴿ طه ﴾ ، وكسر الطاء والهاء - أي أمالهما - ، فقال
 الرجل : ﴿ طه ﴾ ، ولم يكسر ، فقال عبد الله - ﷺ - : ﴿ طه ﴾ ، وكسر
 الطاء والهاء ، فقال الرجل : ﴿ طه ﴾ ، ولم يكسر ، فقال عبد الله - ﷺ - :
 ﴿ طه ﴾ ، وكسر الطاء والهاء ، فقال الرجل : ﴿ طه ﴾ ، ولم يكسر ،
 فقال عبد الله - ﷺ - : ﴿ طه ﴾ ، وكسر ؛ ثم قال : « وَاللَّهِ ! لَهَكَذَا
 عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » .^(١)



وفي رواية أخرى عن زر ، قال : قرأ رجل على عبد الله - ﷺ - : ﴿ طه ﴾ .
 مفتوحة ، فأخذها عليه عبد الله - ﷺ - : ﴿ طه ﴾ مكسورة ، فقال له
 الرجل : إنما يعني ضع رجلك مفتوحة ، فقال عبد الله - ﷺ - : « هَكَذَا
 قرأها رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ، وَهَكَذَا أَنْزَلَهَا جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - » .^(٢)

* * *

(١) [حسن] ، أخرجه ابن الجزري في النشر ٣٧/٢ - وأبو عمرو الداني في تاريخ القراء من طريق أبي عاصم الضريير الكوفي عن محمد بن عبيد الله عن عاصم عن زر بن حبيش كما في الإتيان ٢٤٣/١ (١١٨٦) ، ومحمد بن عبيد الله هو العزرمي ضعيف ولكنه متابع . وأخرجه تمام بن محمد الرازي في الفوائد ٢٦٢/٢ (١٦٩٢) من رواية قيس بن الربيع عن عاصم . وأشار إلى صحته ابن زنجلة في حجة القراءات ٤٥٠/١ .

(٢) [حسن] ، أخرجه الحاكم في المستدرک من رواية محمد بن فضيل عن عاصم وصححه ٢٦٨/٢ (٢٩٦٥) ووافقه الذهبي في التلخيص .

ديباجة هذا الأثر:

قوله : « إِنِّي سَمِعْتُ الْقُرَّاءَ : فَسَمِعْتُهُمْ مُتَّعَارِبِينَ » ، أي : إن الاختلاف في القراءة ، سهل قريب ، فهو اختلاف تنوع وتغاير وتفسير وتوضيح وتكامل ، وليس اختلاف تضاد وتناقض .

وقوله : « فَأَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ » ، فعل أمر يدل على الوجوب ، ويدل عليه أيضا قرينة السياق .

وقوله : « كَمَا عَلَّمْتُمْ » ، أي : على الصفة التي عَلَّمْتُمْ وتلقيتهم من أئمتكم ، من غير زيادة ، أو نقصان ، أو تغيير ، أو تبديل ، أو تحريف ، أو خلط ، لأن القراءة متى ثبتت ، وجب قبولها والمصير إليها ، ولا يجوز إنكارها ، أو العدول عنها ، أو ردها ، أو رد شيء منها ، وفيه إشارة إلى توقيفية قراءة القرآن الكريم . ويُفهم أيضا من نظم السياق وفحوى الكلام أن هناك محذوف ، وتقديره ، أي : « فَأَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ ، - وَلَا تَخْتَلِفُوا - » ، أي : اقرءوا القرآن كما عَلَّمْتُموه وتلقيتموه ، ولا ينكر بعضكم قراءة البعض الآخر ، ولا يخلط قراءته بقراءة غيره .

وقوله : « وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَالاخْتِلَافَ » ، أي : احذروا التنطع والتشدد والاختلاف والتنازع ، والأمر للوجوب أيضا .

وقوله : « فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ الرَّجُلِ : هَلُمَّ ، وَتَعَالَ ، » ، أي : أن الاختلاف بين القراءات ؛ ليس اختلاف تضاد وتناقض ، وإنما هو من باب التكامل والتفسير والتوضيح والترادف ، لأن كلمتي : (هَلُمَّ) ، وَ(تَعَالَ) ، مترادفتان على معنى عام واحد ، فكلًّا منهما تُفسر الأخرى وتوضحها ، وهذا القول من ابن مسعود - رضي الله عنه - من باب التوضيح وضرب الأمثال ، وليس من باب حصر العلاقة بين القراءات وأنواعها ؛ لأنها أوسع وأشمل مما قد مثل به .



وقوله : ثم قرأ عبد الله : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ ، أي : قرأها بفتح التاء ، وهي قراءة صحيحة متواترة ، ورواها من القراء السبعة : أبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي .



وقوله : إن ناسا يقرءونها : ﴿ هَيْتُ لَكَ ﴾ ، أي : أن بعض القراء يقرءونها بضم التاء ، وهي قراءة صحيحة متواترة أيضا ، قرأ بها الصحابي الجليل أبي بن كعب ، ورواها عنه عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - ، وقرأ بها من القراء السبعة : عبد الله ابن كثير - رحمه الله تعالى - .



وقوله : « أَنْ أَقْرَأَهَا كَمَا عَلِمْتُ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ » ، أي : أن أقرأها كما أقرئتُ ، وتلقيت ، وتعلمت كيفية قراءتها وأدائها ؛ أحب إليّ ، وفيه إشارة إلى توقيفية قراءة القرآن الكريم .



الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقوله : « أَحَبُّ إِلَيَّ » ، ليس معناه الحكم على الالتزام بما تعلم بأنه مُستحب شرعا ؛ بل معناه : أن هذا مُحبب إلى نفسي ؛ سواء كان فرضا واجبا أم سنة مندوبة .



وقوله : « دَعُونِي : فَإِنِّي أَقْرَأُ كَمَا أُقْرِئُ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ » ، أي : (ذروني أقرأ كما أُقْرِئُ ، ولا تُلَبِّسُوا عَلَيَّ بقراءة الآخرين ، فَإِنِّي أَقْرَأُ كَمَا أُقْرِئُ وتلقيت من النبي - ﷺ - ولا أعدل عن ذلك ؛ لأنه أحب إلي) ، وفي هذا إشارة إلى : توقيفية القراءة ، ويدل أيضا على : عدم جواز الخلط بين الطرق والروايات ، وجاءت عبارة ابن مسعود - ﷺ - بصيغة التأكيد « فَإِنِّي » للإشارة إلى لزومه ذلك دائما .



وقوله : « إِنَّمَا نَقَرُوهَا كَمَا عَلَّمْنَاها » ، أي : إِنَّمَا نَقَرُوهَا كَمَا أُقْرِئُنا وتعلمنا كيفية قراءتها ، وجاءت العبارة بصيغة التأكيد والحصر ، للإشارة إلى وجوب هذا الأمر ، ولزوم ابن مسعود - ﷺ - له دائما .



وقوله : « وَاللَّهِ ! لَهَكَذَا عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ، ففيه إشارة إلى سنية القراءة والتلقي .



وقوله : « هَكَذَا قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ، وَهَكَذَا أَنْزَلَهَا جِبْرِيلُ - ﷺ - » ؛ ففيه إشارة أيضا إلى توقيفية القراءة .

* * *

خلاصة هذا الأثر:

إن هذا الأثر العظيم توجد فيه عدة إشراقات : منها أن التزام ابن مسعود - رضي الله عنه - بما تعلم : يدل على : أن القراءة سنة توقيفية ، يلزم قبولها ، والمصير إليها ، ولا يجوز تركها ، أو إنكارها ، أو العدول عنها .



وكون ابن مسعود - رضي الله عنه - ، لم يعدل عن قراءته إلى القراءة الأخرى ، مع أنها قراءة صحيحة وثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضا ؛ فهذا يدل على : عدم جواز الخلط بين الطرق والروايات .



وكون عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لم ينكر القراءة الأخرى ، فهذا يُعد اعترافا منه بصحتها ؛ لأنها لو لم تكن صحيحة النسبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ما خفي ذلك على عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ولردها وأنكرها وبين ما فيها وما سكت عنها أبدا ، وهذا يدل على : عدم جواز رد أو إنكار شيئا مما ثبت وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكذلك : لا يجوز تفضيل بعض القراءات على بعض ؛ لأن الكل كلام الله تبارك وتعالى .



الفصل الثاني العشرون

الماهر بالقرآن

عن أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :
« الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ
فِيهِ ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ ، وَفِي رِوَايَةٍ - وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ - ، لَهُ أَجْرَانِ » .^(١)

وفى رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ
الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ
يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ : فَلَهُ أَجْرَانِ » .^(٢)

وفى رواية أخرى ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : مَثَلُ الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ : مَثَلُ
السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ : لَهُ أَجْرَانِ » .^(٣)

وفى رواية أخرى ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ
السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَشْتَدُّ عَلَيْهِ : لَهُ أَجْرَانِ » .^(٤)

(١) [صحيح] ، أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٤٤/٧٩٨) . والبيهقي فى السنن ٣٩٥/٢ (٣٨٦١) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري فى صحيحه (٤٩٣٧) ، وهو فى الجامع الصحيح برقم (٤٦٥٣) .

(٣) [صحيح] ، أخرجه ابن الجعد فى مسنده ١٥٠/١ (٩٥٦) .

(٤) [صحيح] ، أخرجه البخاري فى خلق أفعال العباد (٢١٤) .

وفى رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ
السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَهَذَا الَّذِي يَقْرُؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ : لَهُ
أَجْرَانِ اثْنَانِ » .^(١)

وفى رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ
السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ : لَهُ أَجْرَانِ
اثْنَانِ » .^(٢)

وفى رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ
الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ
شَاقٌّ : فَلَهُ أَجْرَانِ » .^(٣)

وفى رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ
السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ وَهُوَ يَشُقُّ عَلَيْهِ : لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ » .^(٤)

وفى رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ هَذَا :
كَانَ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَنْ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ : كَانَ لَهُ أَجْرَانِ » .^(٥)

(١) [صحيح] ، أخرجه أحمد في المسند ٩٨/٦ (٢٤٧١١) وصححه شعيب الأرنؤوط .

(٢) [صحيح] ، أخرجه أحمد في المسند ١٧٠/٦ (٢٥٤٠٤) وصححه شعيب الأرنؤوط .

(٣) [صحيح] ، أخرجه النسائي في الكبرى ٢١/٥ (٨٠٤٧) .

(٤) [صحيح] ، أخرجه أحمد في المسند ٢٣٩/٦ (٢٦٠٧٠) وصححه شعيب الأرنؤوط .

(٥) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٤٨/٢ - ٣٤٩ (٢١٩٤) .

وفى رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ : فَلَهُ أَجْرَانِ » .^(١) ، وأخرجه أحمد وابن حبان وابن أبي شيبة بلفظ : « لهُ أَجْرَانِ »^(٢) ، وعند الدارمي : « إِنَّ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ »^(٣) ، وعند ابن حبان : « مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ »^(٤) ، وباقي الفاظهم سواء .

وأیضا فى رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَأْقٌ : فَلَهُ أَجْرَانِ » .^(٥)

وأیضا فى رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ يَتَتَعَّعَ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَأْقٌ : فَلَهُ أَجْرَانِ اثْنَانِ » .^(٦)

- (١) [صحيح] ، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ٧٠٩/٣ (١٣١٣) . وأبو داود (١٤٥٤) وصححه الألباني .
- (٢) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٣٦) . والإمام أحمد في المسند ١٩٢/٦ (٢٥٦٣٢) وابن حبان (٧٦٧) وصححه شعيب الأرناؤوط .
- (٣) [صحيح] ، أخرجه الدارمي (٢٢٦٨) وصححه المحقق الشيخ حسين سليم أسد .
- (٤) [صحيح] ، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٦٧) وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط .
- (٥) [صحيح] ، أخرجه أحمد في المسند ٤٨/٦ (٢٤٢٥٧) وصححه شعيب الأرناؤوط . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٩٧) .
- (٦) [صحيح] ، أخرجه أحمد في المسند ٢٦٦/٦ (٢٦٣٣٩) وصححه شعيب الأرناؤوط .

وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي تَتَغَنَّعُ فِيهِ ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ : فَلَهُ أَجْرَانِ » (١).



وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : إِنْ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، الْمَاهِرُ بِهِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُوهُ ، تَشْتَدُّ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهُ : فَلَهُ أَجْرَانِ » (٢).



وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُوهُ » ، قَالَ هِشَامٌ : « وَهُوَ شَدِيدٌ عَلَيْهِ » ، وَقَالَ سُعْبَةُ : « وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ » ؛ « فَلَهُ أَجْرَانِ » (٣).



وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُوهُ يَتَغَنَّعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ : لَهُ أَجْرَانِ اثْنَانِ » (٤).



- (١) [صحيح] ، أخرجه النسائي في الكبرى ٥٠٦/٦ (١١٦٤٦) .
 (٢) [صحيح] ، أخرجه أحمد في المسند ٩٤/٦ (٢٤٦٧٨) وصححه شعيب الأرناؤوط .
 (٣) [صحيح] ، أخرجه الطيالسي في مسنده (١٤٩٩) . والبيهقي في الشعب ٣٣٨/٢ (١٩٧٥) .
 وأبو نعيم في الحلية وصححه ٢٦٠/٢ . والترمذي (٢٩٠٤) وصححه الشيخ الألباني .
 (٤) [صحيح] ، أخرجه ابن ماجه (٣٧٧٩) وصححه المحقق الشيخ الألباني .

وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ : فَلَهُ أَجْرَانِ » .^(١)



وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَتَتَعْتَعُ فِيهِ : لَهُ أَجْرَانِ » ، قال عمران : « اثْنَانِ » .^(٢)



وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ شَاقٌّ عَلَيْهِ : لَهُ أَجْرَانِ » .^(٣) ، وعند ابن راهويه : « فَلَهُ أَجْرَانِ » .^(٤) ، وباقی ألفاظهما سواء .



وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمِثْلُ الَّذِي يَقْرُؤُهُ وَلَيْسَ بِحَافِظٍ لَهُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ : فَلَهُ أَجْرَانِ » .^(٥)



- (١) [صحيح] ، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٤٩١/٢ (٤١٩٤) - ٣٧٥/٣ (٦٠١٦) .
- (٢) [صحيح] ، أخرجه النسائي في الكبرى ٢٠/٥ (٨٠٤٥) .
- (٣) [صحيح] ، أخرجه النسائي في الكبرى ٢١/٥ (٨٠٤٦) .
- (٤) [صحيح] ، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ٧١٠/٣ (١٣١٤) .
- (٥) [صحيح] ، أخرجه المحاسبي في فهم القرآن ص ٢٩٣ .

وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَتَعَايَا فِي الْقُرْآنِ : لَهُ أَجْرَانِ » .^(١)

وأیضا فی رواية أخرى عنها ، قالت : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : مِثْلَ الَّذِي يَقْرُؤُهُ وَهُوَ يَتَعَايَا فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ : لَهُ أَجْرَانِ » .^(٢)

وعن معاذ بن جبل - ؓ - ، عن رسول الله - ﷺ - ، قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ وَمَاتَ فِي الْجَمَاعَةِ : بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ السَّفَرَةِ وَالْحُكَّامِ ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ وَلَا يَدْعُهُ : فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، وَمَنْ كَانَ حَرِيصًا عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ وَلَا يَدْعُهُ : بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَشْرَافِ أَهْلِهِ ، وَفُضِّلُوا عَلَى الْخَلَائِقِ كَمَا فُضِّلَتِ النُّسُورُ عَلَى سَائِرِ الطُّيُورِ ، وَكَمَا فُضِّلَتِ عَيْنٌ فِي مَرْجٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : أَيُّنَ الَّذِينَ كَانُوا لَا يُلْهِمُهُمْ رَعِيَّةُ الْأَنْعَامِ عَنْ تِلَاوَةِ كِتَابِي ؟ ، فَيَقُومُونَ ، فَيَلْبَسُ أَحَدُهُمْ تَاجَ الْكِرَامَةِ ، وَيُعْطَى الْقُورَ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، فَإِنْ كَانَ أَبَوَاهُ مُسْلِمَيْنِ كَسِبَا حُلَّةَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَيَقُولَانِ : أَنَّى هَذِهِ لَنَا ؟ ، فَيُقَالُ : بِمَا كَانَ وَلَدُكُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ » .^(٣)

(١) [صحيح] ، أخرجه أبو عوانة في مستخرجه (٣٠٨٢) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه أبو عوانة في مستخرجه (٣٠٨٢) .

(٣) [حسن لغيره] ، أخرجه الطبراني في الكبير ٧٢/٢٠ (١٣٦) . والبيهقي في الشعب ٣٤٥/٢ (١٩٩٢) . وقال الهيثمي ٢٣٤/٧ (١١٦٣٧) : فيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك وأثنى عليه هشيم خيرا وبقية رجاله ثقات . وقال البوصيري في الإتحاف ١١١/٦ (٥٩٦١) : وله شاهد من حديث معاذ بن أنس رواه أبو داود في سننه والحاكم وصححه وفيه نظر ؟ فإن في إسناده زبान بن فائد وهو ضعيف . وحسنه أبو نصر السجزي في الإبانة كما في الكنتز ٨٤١/١ (٢٤١٨) .

وعن وهب الذماري - رحمه الله - ، قال : « مَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ ، وَمَاتَ عَلَى الطَّاعَةِ : بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ السَّفَرَةِ وَالْأَحْكَامِ . - قَالَ سَعِيدٌ : السَّفَرَةُ : الْمَلَائِكَةُ ، وَالْأَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءُ - ؛ قَالَ : وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ حَرِيصاً ، وَهُوَ يَتَفَلَّتُ مِنْهُ ، وَهُوَ لَا يَدْعُهُ : أُوتِيَ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ ، وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ حَرِيصاً ، وَهُوَ يَتَفَلَّتُ مِنْهُ ، وَمَاتَ عَلَى الطَّاعَةِ : فَهُوَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، وَفُضِّلُوا عَلَى النَّاسِ كَمَا فَضِّلَتِ النُّسُورُ عَلَى سَائِرِ الطَّيْرِ ، وَكَمَا فَضِّلَتْ مَرْجَةٌ خَضِرَاءُ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْبَقَاعِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! ، قِيلَ : أَيُّنَ الَّذِينَ كَانُوا يَتْلُونَ كِتَابِي ، لَمْ يُلْهِهِمْ اتِّبَاعُ الْأَنْعَامِ ؛ فَيُعْطَى الْخُلْدَ وَالنَّعِيمَ ، فَإِنْ كَانَ أَبَوَاهُ مَاتَا عَلَى الطَّاعَةِ ؛ جُعِلَ عَلَى رُءُوسِهِمَا تَاجُ الْمُلْكِ ، فَيَقُولَانِ : رَبَّنَا مَا بَلَغْتَ هَذَا أَعْمَالَنَا ، فَيَقُولُ : بَلَى إِنَّ ابْنَكُمَا كَانَ يَتْلُو كِتَابِي » .^(١)



وعن عطاء - رحمه الله تعالى - ، قال : « الَّذِي يَهُونُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ ، وَالَّذِي يَتَفَلَّتُ مِنْهُ وَيَشْقُ عَلَيْهِ ، لَهُ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرَانِ » .^(٢)

* * *

(١) [صحيح موقوف] ، أخرجه الدارمي (٢٢٦٩) وقال حسين سليم أسد : وهب الذماري ترجمة ابن أبي حاتم وما رأيت فيه جرحاً ولا تعديلاً فهو على شرط ابن حبان . قلت : هو موقوف عليه ، ويشهد له ما قبله .

(٢) [صحيح موقوف] ، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢٨/٦ (٣٠٠٣٧) .

ديباجة هذا الحديث:

قوله : « الماهر بالقرآن » ، أي : الحاذق به ، الذي بلغ غاية الإتقان في الحفظ والأداء ، فهو الذي لا يتوقف ولا يتردد ولا يشق عليه قراءته ، وذلك لجودة حفظه ، وإتقانه ، ورعاية مخارجه بسهولة ، كما فسره بذلك في الرواية الأخرى بقوله : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ هَذَا » ، وقوله : « مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ » ، وكما فسره عطاء بقوله : « الَّذِي يَهُونُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ » ، وأيضا كما جاء في رواية الثعالبي : « وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ وَهُوَ خَفِيفٌ عَلَيْهِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ » .^(١) وكما قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « جَعَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ قَارِئَ الْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ » .^(٢)

قال ابن حجر في "الفتح" : والمراد بالمهارة بالقرآن : جودة الحفظ ، وجودة التلاوة ، من غير تردد فيه ، لكونه يسره الله تعالى عليه ، كما يسره على الملائكة ، فكان مثلها في الحفظ والدرجة .^(٣)

وقوله : « وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ » ، أي : حافظ لحروفه ؛ وحدوده كذلك .

وقوله : « الَّذِي يَهُونُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ » ، أي : يسهل عليه حفظه وقراءته .

(١) [صحيح] ، أخرجه ذكره الثعالبي في تفسيره ٦/١ .

(٢) [صحيح] ، أخرجه المحاسبي في فهم القرآن ص ٢٩٢ .

(٣) فتح الباري على صحيح البخاري ٥١٩/١٣ .

وقوله : « مع السفارة » ، السفارة : جمع سافرٍ ، وهم الملائكة ، وسُموا بذلك لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله تعالى ، ويبلغونهم كلامه ، ويوضحون لهم مراده .



وقوله : « الكِرَام » ، جمع كريم ، وهم المُكْرَمِينَ من الله تعالى ، أو هم المُكْرَمُونَ عنده سبحانه وتعالى .



وقوله : « البِرَّة » ، البررة جمع بَارٍ ، وهم العابدون الطائعون المخلصون لله تعالى ، الذين يطيعونه ولا يعصونه أبداً .



وقوله : « وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ » ، « وَهُوَ يَشُقُّ عَلَيْهِ » ، « وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ » ، فمعنى هذا أنه يبذل قصارى جهده ويحاول غاية طاقة ؛ ليحفظه ، ويصحح نطقه وتلاوته ، ولكنه يجد في ذلك مشقة ، بسبب ضعف حفظه ، أو ثقل لسانه .



وقوله : « ويتتعتع فيه » ، أي : يتلعثم في قراءته ، ويتوقف في تلاوته ، ويتردد في حفظه ؛ والتتعتع في الكلام : (التردد فيه) ، بسبب حصرٍ ، أو عَيٍّ ، أو ضعفٍ حفظٍ .^(١)



(١) انظر "فيض القدير" ٢٥٩/٦ . وكتاب "الأفعال" لعلي بن جعفر ١٢٨ . ولسان العرب ٣٥/٨ ، وغيرهم .

وقوله : « ويتتبع فيه » ، « وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ » ، « وَهُوَ يَشْتُقُّ عَلَيْهِ » ، « وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ » ، ليس مراده : جواز القراءة بدون أحكام الترتيل ، كما يظن ذلك بعضهم ؛ بل معناه : أنه يجد صعوبة ومشقة في الحفظ والتلاوة ، بسبب ضعف ملكة حفظه ، أو ثقل لسانه ؛ ويدل عليه ما يأتي :

(١) _ أنه فُسر بذلك في الروايات الأخرى :

(أ) _ كقوله - ﷺ - : « مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ : فَلَهُ أَجْرَانِ » .

(ب) _ وقوله - ﷺ - : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ هَذَا : كَانَ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَنْ يَتَعَتَّقُ فِيهِ : كَانَ لَهُ أَجْرَانِ » .

(ت) _ وقوله - ﷺ - : « وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُهُ وَلَيْسَ بِحَافِظٍ لَهُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ : فَلَهُ أَجْرَانِ » .

(ث) _ وقوله - ﷺ - : « وَالَّذِي يَتَعَايَا فِي الْقُرْآنِ : لَهُ أَجْرَانِ » .

(ج) _ وقوله - ﷺ - : « وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ وَلَا يَدْعُهُ : فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ » .

(ح) _ وكما جاء في رواية أبي أبي هريرة - ﷺ - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي شَبَابِهِ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، وَمَنْ تَعَلَّمَهُ فِي كِبَرِهِ فَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ فَلَا يَثْرُكُهُ ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ » .^(١)

(١) [حسن] ، أخرجه البيهقي في السنن الصغرى ١/٥٤٣ (٩٨٩) .

(خ) _ وكما جاء في رواية عطاء : « الذي يَهُونُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ ، وَالَّذِي يَنْفَلِتُ مِنْهُ ، وَيَشُقُّ عَلَيْهِ : لَهُ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرَانِ » .

(د) _ وكما جاء في رواية وهب الذماري ، قال : « وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ حَرِيصاً ، وَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ ، وَهُوَ لَا يَدْعُهُ : أُوتِيَ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ ، وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ حَرِيصاً ، وَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ ، وَمَاتَ عَلَى الطَّاعَةِ : فَهُوَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ... » .

(٢) _ أن هذا الحديث الشريف يدل دلالة قوية على وجوب القراءة بأحكام الترتيل ، لا على جواز تركها ؛ وذلك : لأن المشقة لا تكون في ترك الالتزام بالأحكام ؛ بل تكون في محاولة الاتيان به على الوجه الأمثل .

(٣) _ أن النبي - ﷺ - لم يأذن لأحد في ترك القراءة بالأحكام مع وجود المشقة ؛ فهذا يدل على عدم جواز تركها لمن استطاع أن يتعلمها ويقرأ بها بلا مشقة .

وأما قوله : « لَهُ أَجْرَانِ » ، أي : أنه يؤتى أجره مرتين ؛ أجرًا بالقراءة ، وأجرًا بالمشقة .

وليس معنى ذلك : أنه أفضل من الماهر أو أن أجره أعظم من أجره ، بل إن أجر الماهر أكبر ، ومنزلته أفضل ، ومكانته أشرف ؛ لأنه مع السفارة الكرام البررة .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

ومعنى كونه رفيقا للسفرة : أي أنه أجَلَ مقامهم ، وأنزَلَ منازلهم الرفيعة ، وأُسكن مقاماتهم العالية ، من جوار الحق سبحانه وتعالى ، لاتصافه بصفاتهم ؛ بل إن له ميزة أفضل ، لأن الملائكة لم يُتعبدوا بقراءة القرآن الكريم ، ولذلك فهم حريصون على استماعه من بني آدم ، فأعظَم بها من نعمة عظيمة ، وصفة شريفة ، وأي شيء أعظم من كلام رب العالمين الذي منه بدأ وإليه يعود ؛ أن يجعله الله في صدورنا ويسلكه في عروقنا ويخلطه بدمائنا وأنفاسنا ؛ فالحمد لله على نعمه ؛ ونسأله تعالى أن يوفقنا لشكرها والقيام بحقها ؛ آمين .



قال المناوي في " فيض القدير " : « قال القاضي : (الماهر بالقرآن) : حافظ له ، أمين عليه ، يؤديه إلى المؤمنين ، ويكشف لهم ما يلتبس عليهم ، فهو معدود من عداد السفرة ، لأنهم الحاملون لأصله ، الحافظون له ، ينزلون به على أنبياء الله ورسله ، ويؤدون إليهم ألفاظه ، ويكشفون لهم معانيه » .^(١)



(١) فيض القدير ٢٥٩/٦ .

خلاصة هذا الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يحث على إتقان حفظ القرآن الكريم وقراءته ، ويشير إلى أن الحافظ المتمكن من حفظه ، المُجيد لتلاوته ، فهو في أعلى الدرجات .

وأما الذي يحفظه ؛ فينفلت منه ، أو إذا حفظ جزءا ؛ تفلت منه جزء آخر ، أو الذي يشق عليه نطقه ، أو يصعب عليه لفظه ، ومع ذلك فهو لم يتركه ، ولم ييأس منه ، بل يعود إليه ، ويتعاهده ، ويحاول أن يحفظه ، وأن يحسن من تلاوته : فله أجران ، أجر بالقراءة ، وأجر بالمشقة .

واعلم أخي الحبيب : أن الأجر على قدر المشقة ، وأن الماهر ما وُلد ماهرا ؛ بل كان في بادئ أمره مثله في المشقة ، أو ربما أشد مشقة ومعاناة ؛ ولكن مع كثرة المحاولات والترديد والتسميع والقراءة والمدارسة : أصبح ماهرا ؛ فإياك أخي الحبيب أن تقنط من رحمة الله ؛ ولكن عليك أن تحاول ولو بقدر بسيط فإنه مع الأيام فسوف يصير كثيرا ؛ وكما قالوا : ما لا يُدرِك كله ؛ فلا يُترك كله .

* * *

نصائح لتثبيت الحفظ وتقويته:

فمن أراد جودة الحفظ وإتقانه : فليبادر في صغر سنه وشبابه قدر المستطاع ،
 فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ
 فِي شَبَابِهِ ، اِخْتَلَطَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، وَمَنْ تَعَلَّمَهُ فِي كِبَرِهِ ، فَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ ،
 وَهُوَ يَعُودُ فِيهِ ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ » .^(١)



(١) [صحيح] ، أخرجه البخاري في تاريخه الكبير ٩٤/٣ (٣٣٠) . وابن عدي في الكامل ٤٦/٥ (١٢١٦) . والبيهقي في الشعب ٢٣٠/٢ (١٩٥٠ - ١٩٥٢) ، قال : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أبو بكر بن محمود العسكري ، حدثنا عثمان بن خرزاذ ، حدثنا أحمد بن أبي بكر أبو مصعب (صدوق كما في التقريب ١٧) ، وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا عباس الأسفاطي ، وابن ناجية ، قالا : حدثنا أبو مصعب (صدوق كما في التقريب ١٧) ، حدثنا عمر بن طلحة (قال أبو حاتم محله الصدق) ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، الحديث (وهذا إسناد جيد) . وقال في الإسناد الآخر : أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي ، أخبرنا أبو إسحاق الأصبهاني ، حدثنا أبو أحمد بن فارس ، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدثنا علي بن عبد الرحمن بن عثمان (ابن حبان في الثقات ٤٥٨/٨) ، سمع حكيم بن محمد (صدوق كما في التقريب ١/١٧٧) ، عن المقبري ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، به ، (وهذا تابع جيد) . قال : وحدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا ابن أبي أويس ، عن أخيه ، عن إسماعيل بن رافع (ضعيف) ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، به . (وهذا تابع جيد على ضعف إسماعيل) . وأخرجه في السنن الصغرى ٥٤٣/١ (٩٨٩) من طريق إبراهيم بن الحسن عن أبي مصعب به . وأخرجه في المدخل (٥٢٣) من طريق أحمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيدلاني ، ثنا الحسين بن الحسن بن مهاجر (محله الصدق كما قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٣٤٤/٢١٣٣) ، ثنا أبو مصعب به ، (وهذا أيضا تابع جيد أيضا) . وأخرجه في المدخل أيضا

وعن ابن عباس - ؓ - ، مرفوعاً ، قال : « حَفِظَ الْغُلَامُ الصَّغِيرَ : كَالنَّقِشِ فِي الْحَجَرِ ، وَحَفِظَ الرَّجُلُ بَعْدَ مَا يَكْبُرُ : كَالْكِتَابَةِ عَلَى الْمَاءِ » .^(١)



← (٥٢٢) قال : ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، ثنا الحسين بن الحسن بن مهاجر ، ثنا هارون بن سعيد الأيلي ، أبنا خالد بن نزار ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مرفوعاً به ، ورجاله ثقات ما عدا خالد بن نزار وهو (صدوق يخطئ كما في التقريب ١/١٩١) فالحديث به حسن ، وهو صحيح بما قبله . وأخرجه ابن بطة في الإبانة (٢١٥١) موقوفاً ، قال : حدثنا إسحاق بن أحمد الكاذبي ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي قال : حدثنا حسين بن محمد (ثقة) ، قال : حدثنا أبو معشر (نجيب بن عبد الرحمن السندي وهو ضعيف) ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، قال : «من أخذ القرآن وهو شاب اختلط بلحمه ودمه ، وكان رفيق السفرة الكرام البررة ، ومن أخذه كبيراً وهو حريص عليه ويتفلت منه ، فذاك الذي له أجره مرتين » وهذا أيضاً تابع جيد ؛ وله شاهد أيضاً ذكره أبو الفضل الرازي في فضائل القرآن " باب في فضل من اختلط القرآن به في شبابه " قال : حدثني محمد بن القاسم ، نا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن حسكا ، نا أبو سعيد البرقي القاضي ، نا أحمد بن عاصم (صدوق) ، نا بشير بن ميمون (وهو ضعيف) ، سمعت المقبري : عن أبي هريرة أراه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وأخرجه ابن عبد البر في العلم من جهة صدقة بن عبد الله (ضعيف) عن طلحة بن زيد (ضعيف جدا) عن محمد بن عجلان (ثقة) عن سعيد المقبري عن أبي هريرة به مرفوعاً كما في المقاصد الحسنة للسخاوي ٤٦١/١ . وله شاهد قوي آخر ذكره سهل التستري في تفسير قول الله تعالى : { وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة : ٢٦٩] قال : وأخبرني محمد بن سوار عن عَقِيلِ (وهو عَقِيلِ بن خالد بن عَقِيلِ الأيلي أبو خالد الأموي مولى عثمان بن عفان) عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة - ؓ - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : «القرآن حكمة ، فمن تعلم القرآن في شبابه خلط بلحمه ودمه ، ألا وإن النار لا تمس قلباً وعى القرآن ، ولا جسداً اجتنب محارمه وأحل حلاله وآمن بمحكمه ووقف عند متشابهه ولم يتدع فيه » ورجاله ثقات ما عدا محمد بن سوار خال سهل وهو مقبول فالحديث به حسن ، وهو صحيح بما قبله .

(١) [ضعيف] ، كشف الخفاء ١٣١/٢ (١١٥١) وعزاه للخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٦٨٠) ، وقال ابن الغرس : ضعيف . وقال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٥٢٦/٧) : " هذا مثل سائر وليس من كلام النبي - ﷺ - ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٢٧٢٧) .

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - ، مرفوعاً ، قال : « مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ فِي صِغَرِهِ ، كَالنَّقْشِ عَلَى الْحَجَرِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ فِي كِبَرِهِ ، كَالَّذِي يَكْتُبُ عَلَى الْمَاءِ » .^(١)



وعن الحسن البصري - رحمه الله - ، قال : « الْعِلْمُ فِي الصِّغَرِ : كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ ، وَالْحَجَرُ » .^(٢)



وقال قتادة - رحمه الله - : « الْحِفْظُ فِي الصِّغَرِ : كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ » .^(٣)



وعن إسماعيل بن رافع ، رفعه : « مَنْ تَعَلَّمَ وَهُوَ شَابٌ كَانَ كَوَسْمٍ فِي حَجَرٍ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ فِي الْكِبَرِ كَانَ كَالْكَاتِبِ عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ » .^(٤)



(١) [ضعيف] ، ذكره السُّخَاوِيُّ فِي الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ ١/٤٦٠ (٧٠٥) وعزاه للطبراني في الكبير وضعفه .

(٢) ذكره البيهقي عن الحسن البصري من قوله (١٤) . ورواه الخطيب في الفقيه والمتفقه ١/٤٤٥ (٨١٧) عن القاسم بن نافع موقوف . ورواه ابن أبي الدنيا في "العيال" ٢/٨٠٠ (٥٩٩) عن يزيد بن معمر من قوله . ونسبه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١٣) إلى بعض السلف .

(٣) ذكره ابن الجعد في مسنده ص ١٦٢ (١٠٤٤) وابن سعد في الطبقات ٧/٢٣٩ عن قتادة موقوف . رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه ١/٤٤٥ (٨١٦) عن الحسن موقوف ونسبه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١٣) إلى بعض السلف (وهو مثل وليس بحديث) .

(٤) [ضعيف] ، ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" ٢/٧٤٨ (١٧٥٧) وعزاه للبيهقي في المدخل عن إسماعيل بن رافع ، وهو منقطع لأن إسماعيل ممن يروى عن سعيد المقبري وغيره من التابعين مع ضعفه (وهو مثل وليس بحديث) .

وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِمَ ، فَهُوَ مِمَّنْ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا » .^(١)



وقال علقمة - رحمه الله - : أَمَّا مَا حَفِظْتُ وَأَنَا شَابٌ : فَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ فِي قِزْطَاسٍ أَوْ وَرَقَةٍ .^(٢)



وقال بعضهم :

وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا بِالتَّعَلُّمِ فِي الصَّبَا وَمَا الْحِلْمُ إِلَّا بِالتَّحَلُّمِ فِي الْكِبَرِ
وَلَوْ فُلِقَ الْقَلْبُ الْمَعْلَمُ فِي الصَّبَا رَأَيْتَ فِيهِ الْعِلْمَ كَنَقْشِ الْحَجَرِ^(٣)



(١) [ضعيف] ، أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" ٣٣٠/٢ (١٩٤٩) عن ابن عباس مرفوعاً . وأخرجه في المدخل إلى السنن الكبرى موقوفاً (٥٢٤) وقال : أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزكي ، أبنا أحمد بن سلمان الفقيه (صدوق) ، ثنا إسماعيل بن إسحاق (ثقة) ، ح وأخبرنا أبو محمد بن فراس (صدوق) ، أبنا أبو عبد الله بن الضحاك (لم أهدني إليه) ، ثنا علي بن عبد العزيز (صدوق) ، قالوا : ثنا مسلم بن إبراهيم (ثقة) ، ثنا الحسن بن أبي جعفر (ضعيف) ، ثنا أبو الصهباء (الكوفي "مقبول") ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، وفيه الحسن بن أبي جعفر (وهو ضعيف) . وانظر الدر المنثور ٤٨٥/٥ ، وكنز العمال (٢٤٥٢) وكشف الخفاء للعجلوني ٨٦/٢ .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي خيثمة في كتاب العلم ٣٦/١ .

(٣) ذكره الخطيب في الفقيه والمتفقه ٤٤٥/١ (٨١٧) .

وعن عبد الله بن جابر الفارسي ، قال : أنشدني أبو القاسم يوسف بن غانم الدينوري :

| | |
|---|--|
| حَرَضَ بُنْيَاكَ عَلَى الْأَدَبِ فِي | كَيْمَا تَقْرُبُهُ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ |
| فَالْمَا مَثَلُ الْأَذَابِ بِحِفْظِهَا فِي | عُتْفَانِ الصَّبِيِّ كَالْتَقَشِ فِي الْحَجَرِ |
| فِيهَا الْكُثُورُ الَّتِي تُعْمَرُ خَزَائِنُهَا | وَلَا يُحَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْفَيْرِ |
| إِنَّ الْأَدِيبَ وَإِنْ زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ | يَهْوَى عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسُّرُرِ |
| وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مِيرَاثٍ وَأَشْرَفُهُ | لَا سِيَّمَا عِنْدَ ذِي الْأَحْسَابِ وَالْحُطَرِ |
| وَالْعِلْمُ مَعَ آدَبٍ فِي ابْنٍ إِذَا اجْتَمَعَا | عِنْدَ اللَّيِّبِ عَلَا فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ^(١) |



قلت : وهذا محمول على الغالب ، وإلا فقد اشتغل جماعة بعد كبرهم ؛ ففاقوا في علمهم وحفظهم ، وأصبحوا حجة زمانهم ، ولنا في الصحابة الكرام - ﷺ - أسوة الحسنة ؛ فإن معظمهم دخل في الإسلام بعد سن الطفولة والصغر ، ومع ذلك فقد كانوا هم الأئمة في الحفظ والفقه والعلم والعمل ؛ إذن : فالعلم يثبت في الكبير أيضا ، ولكن مع الفهم ، والتدبر ، والتكرار ، والمدارسة ، والعمل ، والإخلاص ، وقبل ذلك كله : فعليه بكثرة الدعاء والاستغفار .



(١) جزء ابن عمشليق - تأليف : أحمد بن علي بن محمد الجعفري أبو الطيب - دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٦ - تحقيق : خالد بن محمد بن علي الأنصاري - ص ٤٧ .

وإن من أحسن ما أوصي به لتثبيت الحفظ : هو معاودة القرآن ، وكثرة قراءته ،
 وقيام الليل به ، فقد قال النبي - ﷺ - : « وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ ، فَقَرَأَهُ
 بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ : ذَكَرَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ : نَسِيَهُ » .^(١)

وقال رسول - ﷺ - : « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَلَّقَةِ :
 إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَ » .^(٢) ، أي أنه إذا عاهده ،
 وداوم على تلاوته : بقي محفوظا ، وإن أهمله وتركه تفلت منه ونسيه .

وعن أبي هريرة - ﷺ - ، أن النبي - ﷺ - ، قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَقَامَ بِهِ
 آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَبِحُلِّ حَلَالَةٍ وَيُحْرِمُ حَرَامَهُ ، خَلَطَهُ اللَّهُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ،
 وَجَعَلَهُ رَفِيقَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ
 حَاجِبًا ، فَقَالَ يَا رَبِّ ! ، كُلُّ عَامِلٍ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا يَأْخُذُ بِعَمَلِهِ مِنَ الدُّنْيَا ،
 إِلَّا فُلَانٌ ؛ كَانَ يَقُومُ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ وَآتَاءِ النَّهَارِ ، فَيَحُلُّ حَلَالِي وَيُحْرِمُ
 حَرَامِي ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ فَأَعْطِهِ ، فَيَتَوَجَّهُ اللَّهُ تَاجَ الْمَلِكِ ، وَيَكْسُوهُ مِنْ
 حُلِّ الْكِرَامَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ : هَلْ رَضِيتَ ؟ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَرْغَبُ لَهُ فِي
 أَفْضَلِ مَنْ هَذَا ، فَيُعْطِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلِكَ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ
 يُقَالُ لَهُ : هَلْ رَضِيتَ ؟ ، فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بَعْدَمَا يَدْخُلُ فِي
 السِّنِّ ، فَأَخَذَهُ ، وَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ ، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ » .^(٣)

(١) - [صحيح] ، أخرجه مسلم (٢٢٦/٧٨٩) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٤٣٤٧) ، ومسلم (٢٢٦/٧٨٩) ، وغيرهما .

(٣) [حسن لغيره] ، رواه البيهقي في الشعب (١٩٩١) بسند ضعيف ولكن له شواهد كثيرة .

وقال كعب الأحبار : « إن في التوراة : أن الغلام إذا تعلم القرآن وهو حديث السن ، وحرص عليه ، وعمل به ، وتابعه ، خلطه الله بلحمه ودمه ، وكتبه الله عنده من السفارة الكرام البررة ، وإذا تعلم القرآن ، وقد دخل في السن ، فحرص عليه ، وهو في ذلك يتفقت منه ، كان له أجره مرتين ، بحرصه عليه ، وتفلقته منه ، فإذا بعث الرجل ؛ تكلم القرآن فقال : يا رب ! إن هذا كان حريصا على تعلمي ، وعمل بي ، فأنت اليوم أجره ، فيكسى حلة الكرامة ، ويتوّج تاج الوقار ، فيقول الله للقرآن : هل رضيت لعبدي هذا ما أعطيته ؟ ، فيقول القرآن ما شاء الله أن يقول ، فيعطى الرحمة بيمينه ، والجنة بشماله ، فيقول الله للقرآن : هل رضيت لعبدي هذا ما أعطيته ؟ ، فيقول القرآن ما شاء الله أن يقول ، فيعطى النعمة بيمينه ، والجنة بشماله ، فيقول الله للقرآن : هل رضيت لعبدي هذا ما أعطيته ؟ ، فيقول : نعم يا رب قد رضيت » .^(١)



وقال البغوي - رحمه الله - : « التلاوة تكون : بالتعلم ؛ والحفظ : بالدرس ؛ والتفهم يكون : بصدق النية ، وتعظيم الحرمة ، وطيب الطعمة » .^(٢)



(١) رواه ابن عساکر في تاريخه ٣٧٢/٣٩ (٣٣٩٥) .

(٢) تفسير "معالم التنزيل" ٨٣/٦ .

الفصل الثالث والعشرون

صاحب القرآن

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ، يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ ، أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَشْهَرُ لَيْلِكَ ، وَأُظْمِئُ هَوَاجِرَكَ ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ ، وَأَنَا لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تَاجِرٍ ، فَيُعْطَى الْمَلِكُ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ خُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ لَهُمُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَيَقُولَانِ : يَا رَبِّ ! ، أَنَّى لَنَا هَذَا ؟ فَيَقَالُ : بِتَعْلِيمِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْقُرْآنِ يُقَالُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : اقْرَأْ وَارْقُ فِي الدَّرَجَاتِ ، وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنَزْلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ مَعَكَ » .^(١)

(١) [حسن] ، أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧٦٤) ، وفيه يحيى بن عبد العزيز الحماني وهو ضعيف . وله شاهد من رواية بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعاً وأخرجه أبو داود (٣٧٨١) والإمام أحمد (٢٣٠٢٦) وقال المحقق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن في المتابعات والشواهد ، وابن أبي شيبة ١٢٩/٦ (٣٠٠٤٥) ، ومحمد بن نصر في قيام الليل (كما في مختصره للمقرئ ص ٢٧٧ ، رقم ٢٠٢) ، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٦٠ ، رقم ٩٩) ، وقال البوصيري (١٢٦/٤) : هذا إسناده رجاله ثقات . والحاكم ٧٤٢/١ (٢٠٤٣) وقال : صحيح الإسناد ، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٥٢/١) ، وقال : وهذا إسناده حسن على شرط مسلم . ولذلك صحح حديث الباب شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٨٢٩) وقال : حسن أو صحيح .

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - :
 « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ ، وَارْتَقْ ، وَرَتِّلْ ، كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا ،
 فَإِنَّ مَنَزْلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا » .^(١)

وعن أبي سعيد الخدري - ﷺ - ، أو عن أبي هريرة - ﷺ - (شك الأعمش)،
 قال : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : اقْرَأْ وَارْقَهُ ، فَإِنَّ مَنَزْلَكَ عِنْدَ
 آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا » .^(٢)

(١) [صحيح] ، أخرجه الإمام أحمد ١٩٢/٢ (٦٧٩٩) وقال المحقق شعيب الأرناؤوط : (صحيح
 لغيره وهذا إسناد حسن) ، وعنه ابن كثير في الفضائل ص ٢٣٥ وحسنه المحقق الشيخ أبو
 إسحاق الحويني - حفظه الله - . وأخرجه النسائي في الكبرى ٢٢/٥ (٨٠٥٦) وفي الفضائل
 ص ٨١ . والترمذي ١٧٧/٥ (٢٩١٤) وقال : حسن صحيح . والبيهقي في السنن ٥٣/٢
 (٢٢٥٣) . والبغوي في شرح السنة ٤٣٥/٤ . والحاكم في المستدرک ٥٥٢/١ - ٥٥٣ (٢٠٢٨)
 - (٢٠٣٠) وصححه ووافقه الذهبي . وأبو داود ٧٣/٢ (١٤٦٤) وقال المحقق الشيخ الألباني
 : (حسن صحيح) ، وابن حبان ٤٣/٣ (٧٦٦) وحسنه المحقق شعيب الأرناؤوط . وأخرجه ابن
 أبي شيبة ٤٩٨/١٠ (٣٠٠٥٧) موقوفا .

(٢) [صحيح] ، أخرجه عنهما - الإمام أحمد (١٠٠٨٩) وقال المحقق شعيب الأرناؤوط :
 (إسناده صحيح على شرط الشيخين وهو في حكم المرفوع فمثله لا يقال بالرأي) ، وابن أبي
 شيبة (٣٠٠٥٥) ، وصححه الألباني وقال : على شرط الشيخين ، وتردد الأعمش بين أبي
 سعيد وأبي هريرة لا يضر ؛ لأن كلاهما صحابي ، كما لا يضر وقفه لما سبق . وقال الهيثمي
 فس المجمع (١١٦٤٧) : رجاله رجال الصحيح . وأخرجه عن أبي سعيد الخدري - ﷺ -
 مرفوعا - الإمام أحمد (١١٣٧٨) وقال المحقق شعيب الأرناؤوط : (صحيح لغيره) . وابن
 ماجه (٣٧٨٠) وصححه المحقق الشيخ الألباني .

وعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه - رضي الله عنه - ، قال : كنت جالسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فسمعتة يقول : « تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبُطْلَةُ ، قَالَ : ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا الزُّهْرَاوَانِ ، يُظْلَلَانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُمَا عَمَامَتَانِ ، أَوْ غِيَايَتَانِ ، أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ ، فَيَقُولُ مَا أَعْرِفُكَ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ ، فَيَقُولُ مَا أَعْرِفُكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ ، الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِكَ ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ ، فَيُعْطَى الْمَلِكُ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا ، فَيَقُولَانِ بِمِ كُسِينَا هَذِهِ ؟ ، فَيَقَالُ : بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : اقْرَأْ وَاضْعُدْ فِي دَرَجَةِ الْجَنَّةِ وَغُرْفِهَا ، فَهُوَ فِي صُعُودِ مَا دَامَ يَقْرَأُ ، هَذَا كَانَ ، أَوْ تَرْتِيلًا » .^(١)

(١) [حسن] ، أخرجه الدارمي ٥٤٣/٢ (٣٣٩١) وحسنه المحقق حسين سليم أسد . وأخرجه الحاكم وصححه (٢٠٥٧) . والإمام أحمد (٢٣٠٠٠) ، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن في المتابعات والشواهد . وأخرجه مختصرا برقم (٢٣٠٩٩) وقال المحقق شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره . والبيهقي في الشعب ٣٤٤/٢ (١٩٨٩) . وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٥٢/١) ، وقال : وهذا إسناده حسن على شرط مسلم . وحسنه عمر بن محمود أبو عمر في تحقيقه لكتاب معارج القبول ٨٤٦/٢ . وأخرجه البغوي في شرح السنة ٤٥٤/٤ وقال : هذا حديث حسن غريب . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ١٥٩/١ .

ديباجة هذا الحديث:

قوله : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ » ، « يَقُولُ لِصَاحِبِهِ » ، « يُظَلَّانِ صَاحِبَهُمَا » ، فقد
تكرر كثيرا ذكر كلمة (الصاحب) ، ولذا رأيت أن نقف عندها وقفةً ،
لنتبين معناها والمراد بها .

.....

فالصاحب هو : « المرافق » ؛ قال تعالى : ﴿ يَصْصِحِّي السِّجْنِ أَرْبَابٌ
مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾^(١) ،



والصاحب هو أيضا : « الملازم للشيء » ؛ قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٢) .



والصاحب هو أيضا : « الخليل » ؛ قال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾^(٣) .



والصاحب هو أيضا : « المعاشر » ؛ قال تعالى : ﴿ وَصَاحِبِيهِ وَأَخِيهِ ﴾^(٤) .



(١) [يوسف : ٣٩] .

(٢) [البقرة : ٨٢] .

(٣) [التوبة : ٤٠] .

(٤) [المعارج : ١٢] .

والصاحب هو أيضا : « المتوود بالمعروف » ؛ قال تعالى : ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ .^(١)

والصاحب هو أيضا : « التابع » ؛ قال الله تعالى : ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ .^(٢)

والصاحب هو أيضا : « القائم على الشيء أو الموكل به » ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ .^(٣)

والصاحب هو أيضا : « الحافظ للشيء » ؛ فمن دعائه - ﷺ - : « اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ » .^(٤)

والصاحب هو أيضا : « المجير للشيء أو المانع » ؛ قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَّابُونَ ﴾ .^(٥) أي : لا يجارون ولا يمنعون من عذابنا .

(١) [لقمان : ١٥] .

(٢) [الكهف : ٧٦] .

(٣) [المدثر : ٣١] .

(٤) [صحيح] ، أخرجه مسلم (٤٢٥/١٣٤٢) ، وغيره .

(٥) [الأنبياء : ٤٣] .

وقد استفدت هذه المعاني من القرآن الكريم ، والسنة ، واللغة .^(١)



(١) قال صاحب القاموس ١٣٤/١ : صاحب : (المعاشر) ، واستضحبه : (دعاه إلى الضحية ولازمه) . والمضحب والمصاحب : (الدليل المتقاد بعد ضعوبة ، والمستقيم الداهب لا يتلثث) . وأضحب : (إذا انقاد) ، وهو مضحاب لنا بما نُحب : (مُنقاد) . قال الأعشى : فقد أراك بالودِّ مضحباباً . وأضحبه ، (حفظه) ، واضطحبه : (منعه) ، وتقول للرجل عند التوديع : (معاناً مضحباباً) ، ومن قال : معاناً مضحباباً فمعناه أنت معاناً مضحباباً . أي : (في عون الله وحفظه رعايته) . (وكل ما لازم شيئاً فقد استصحبه) :

إِنَّ لَكَ الْفَضْلَ عَلَى ضُحْبَتِي ... وَالْمِسْكَ قَدْ يَسْتَضْحِبُ الزَّامِكَا

وأضحب الرجل واضطحبه : (حفظه) ، وفي الحديث : « اللهم اضحبتنا بضحية ، واقلبتنا بذمة » أي : (احفظنا بحفظك في سفرنا وأرجعنا بأمانتك وعهدك إلى بلدنا) . وفي التنزيل : « ولا هم منا يضحبون » ، قال : (يعني ولا هم منا يجارون) ، أي : الكفار ألا ترى أن العرب تقول : أنا جار لك ، ومعناه : أحيرك وأمنعك ، فقال : (يضحبون بالإجارة) ، وقال قتادة : (لا يضحبون من الله بخير) ، وقال أبو عثمان المازني : أضحبت الرجل ، أي : (منعته) ، وأنشد قول الهدلي :

يَزْعَى بِرَوْضِ الْخَزْنِ مِنْ أَبِيهِ ... قُزْيَانَهُ فِي عَابِهِ يُضْحِبُ .

أبه : كلؤه ، قزيانه : مجارى الماء إلى الرياض ، الواحد قرى ، يضحب : (يمنع ويحفظ) ، وهو من قوله تعالى : « ولا هم منا يضحبون » ، أي : (يمنعون) . وقال غيره : هو من قوله : ضحبتك الله ، أي : (حفظك وكان لك جاراً) ، وقال :

جَارِي وَمَوْلَايَ لَا يَزْنِي حَرِيمُهُمَا ... وَصَاحِبِي مِنْ دَوَاعِي الشَّوْءِ مُضْطَحِبٌ .

وأضحب البعير والدابة : (انقادا) ، ومنهم من عمَّ فقال : وأضحب : (ذل وانقاد من بعد ضعوبة) ، قال امرؤ القيس :

وَلَسْتُ بِذِي زُئْبِيَةِ إِمْرٍ ... إِذَا قَيْدَ مُسْتَكْرَهَا أَضْحَبَا

وانظر أيضاً : التعاريف ص ٤٤٥ ، ولسان العرب ٥١٩/١ ، ومختار الصحاح ٣٧٥/١ ، وتاج العروس ٦٥٥/١ .

فالمراد بـ « صَاحِبِ الْقُرْآنِ » إذن هو : [الحافظ لحروفه ، الملازم لقراءته ، المتخلق بأخلاقه ، المنقاد لأوامره ، الملتزم لحدوده ، الساعي في نشره ، المجاهد لنصرته ، القائم على خدمته ، الباذل نفسه ووقته وماله لصونه ورعايته] .

.....

قال الشيخ الألباني - رحمه الله - : واعلم أن المراد بقوله : « صَاحِبِ الْقُرْآنِ » أي : حافظه عن ظهر قلب ، على حد قوله - ﷺ - : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ .. » ، أي : (أحفظهم) ، فالتفاضل في درجات الجنة إنما هو على حسب الحفظ في الدنيا ، وليس على حسب قراءته يومئذ واستكثاره منها ، كما توهم بعضهم ، ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن ، لكن بشرط : أن يكون حفظه لوجه الله تبارك وتعالى ، وليس للدنيا والدرهم والدينار ، وإلا فقد قال - ﷺ - : « أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَاؤُهَا » (١) . (٢)

- (١) [صحيح] ، أخرجه الفريابي في صفة المنافق ١/٥٥ (٣٢ - ٣٣) . والبخاري في خلق الأفعال (٤٢٣) وفي التاريخ الكبير ١/٣٥٧ (٨٢٢) . والطبراني في الكبير (٨٤١) . وتمام في فوائده ١/٣٧٦ (٩٦٣) . وأحمد (١٧٤٠٥) وصححه شعيب الأرناؤوط = كلهم عن عقبه بن عامر - ﷺ - مرفوعا . وقال الهيثمي (١٠٤١٣) : وأحد أسانيد أحمد ثقات أثبات . وأخرجه الفريابي في صفة المنافق ١/٥٦ (٣٦ - ٣٧) . وابن أبي شيبة (٣٤٣٣٥) . وابن المبارك في الزهد ١/١٥٢ . والبيهقي في الشعب (٦٩٥٩) . وأحمد (٦٦٣٣ - ٦٦٣٤ - ٦٦٣٧) وصححه شعيب الأرناؤوط = كلهم عن عبد الله بن عمرو - ﷺ - مرفوعا . وقال الهيثمي (١٠٤١٤) : رجاله ثقات وكذلك رجال أحد إسنادي أحمد ثقات . وأخرجه الطبراني في الكبير (٤٧١) عن عصمة بن مالك - ﷺ - مرفوعا . وقال الهيثمي (١٠٤١٥) : وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف . قلت : وهو حسن بما قبله . وصحح الألباني حديث ثلاثتهم في صحيح الجامع (١٢٠٣) وفي الجامع الصغير (٢٠٨٣) وفي السلسلة الصحيحة (٧٥٠) .
- (٢) السلسلة الصحيحة ٥/٢٨١ (٢٢٤٠) .

ما يستفاد من الحديث:

يستفاد من هذا الحديث : أن صاحب القرآن الذي ينال هذه المكانة المذكورة؛
يجب أن تتوفر فيه الشروط الآتية :

(١) - [أن يكون مجيدا لحفظه] ، وقد أشار الحديث إلي ذلك بقوله : «
بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ » .

(٢) - [أن يكون مجيدا لتلاوته] ، وقد أشار الحديث إلي ذلك بقوله :
« بِتَعْلِيمِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنِ » .

(٣) - [أن يكون ملازما لقراءته] ، وقد أشار أيضا إلي ذلك بقوله :
« وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا » .

(٤) - [أن يكون عاملا به] ، وقد أشار الحديث إلي ذلك أيضا بقوله :
« يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ ، أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَشْهَرُ لَيْلِكَ ،
وَأَظْمَى هَوَاجِرِكَ » .

(٥) - [أن يكون مخلصا في كل ذلك] ؛ لأن الإخلاص شرط في قبول
الأعمال .

فأما الذي يحمل القرآن ولا يقرأه ولا يعمل به فليس له حظ من هذا الحديث،
بل هو كما قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾
أي : لم يعملوا بها ﴿ كَمَثَلِ الْجِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

ولقد ورد ذم من يشغل نفسه بتعلم قراءته فقط دون العلم والعمل ؛ كما قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِيَعْمَلَ بِهِ ، فَاتَّخَذْتُمْ دِرَاسَتَهُ (قِرَاءَتَهُ) عَمَلًا ، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يَتَّقُونَهُ مِثْلَ الْقَنَاتِ ، لَيْسُوا بِخِيَارِكُمْ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي لَا يَعْمَلُ ← كَالْمَرِيضِ الَّذِي يَصِفُ الدَّوَاءَ ، وَكَالْجَائِعِ الَّذِي يَصِفُ لَذَائِدَ الْأَطْعِمَةِ وَلَا يَجِدُهَا » .^(١)

وعن عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل يقول : « إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيَعْمَلَ بِهِ ؛ فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا ، قَالَ : قِيلَ كَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ ؟ ، قَالَ : أَيُّ لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ ، وَيَأْتِمِرُوا بِأَوَامِرِهِ ، وَيَنْتَهُوا عَنِ نَوَاهِيهِ ، وَيَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ » .^(٢)

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : والتفكر في القرآن نوعان : تفكر فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه ، وتفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه ، فالأول : تفكر في الدليل القرآني ، والثاني : تفكر في الدليل العياني ، الأول تفكر في آياته المسموعة ، والثاني تفكر في آياته المشهودة ، ولهذا أنزل الله القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ويعمل به ، لا لمجرد تلاوته مع الإعراض عنه ، قال الحسن البصري : « أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِيَعْمَلَ بِهِ ، فَاتَّخَذُوا تَلَاوَتَهُ عَمَلًا » .^(٣)

(١) إحياء علوم الدين ٦٤/١ .

(٢) [ضعيف] ، أخرجه الخطيب في "اقتضاء العلم العمل" ٧٦/١ (١١٧) وفيه محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب أبو بكر المفيد الجرجاني الحافظ وهو ضعيف .

(٣) مفتاح دار السعادة ١٨٧/١ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ۷۸]، فهذه صفة من لا يفقه كلام الله ويعمل به، وإنما يقتصر على مجرد تلاوته، كما قال الحسن البصري : نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيَعْمَلَ بِهِ ، فَاتَّخَذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا ؛ فالأُمِّيُّ هنا قد يقرأ حروف القرآن أو غيرها ولا يفقهه ، بل يتكلم في العلم بظاهر من القول ظنا ، فهذا أيضا أُمِّيٌّ مذموم كما ذمه الله : لنقص علمه الواجب؛ سواء كان فرض عين أم كفاية .^(١)

وقال ابن الجوزي في "تليس ابليس" - باب : (ذكر تليسه على القراء) : فمن ذلك : أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها فيفني أكثر عمره في جمعها وتصنيفها والإقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات ، وربما رأيت إمام مسجد يتصدى للإقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة ، وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم ، ولو تفكروا لعلموا أن المراد : حفظ القرآن، وتقويم ألفاظه، ثم فهمه، ثم العمل به، ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويظهر أخلاقها، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش : تضييع الزمان فيما غيره الأهم ، قال الحسن البصري : « أَنْزَلَ الْقُرْآنُ لِيَعْمَلَ بِهِ ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ تِلَاوَتَهُ عَمَلًا » يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به .^(٢)

(١) مجموع الفتاوى ١٧٠/٢٥ .

(٢) تليس ابليس ١٣٧/١ .

وقال القرطبي في مقدمة تفسيره : (فَقُرَّاءُ الْقُرْآنِ) : حملة سر الله المكنون ، وحفظة علمه المخزون ، وخلفاء أنبيائه ، وأمناؤه ، وهم أهله ، وخاصته ، وخيرته ، وأصفياءه ، قال رسول الله ﷺ - : « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ هُمْ ؟ قَالَ هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ »^(١) ، أخرج ابن ماجه في سننه ، وأبو بكر البزار في مسنده .

فما أحق من عَلِمَ كتاب الله : أن يزدجر بنواهيه ، ويتذكر ما شرح له فيه ، ويخشى الله ويتقيه ، ويراقبه ويستحييه ، فإنه حمل أعباء الرسل ، وصار شهيدا في القيامة على من خالف من أهل الملل ، قال الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٢) .

ألا وإن الحجة على من عَلِمَهُ فأغفله ← أوكد منها على من قصر عنه وجهله ، ومن أوتى علم القرآن فلم ينتفع ، وزجرته نواهيه فلم يرتدع ، وارتكب من المآثم قبيحا ، ومن الجرائم فضوحا ← كان القرآن حجة عليه ، وخصما لديه ، قال رسول الله ﷺ - : « وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ ، أَوْ عَلَيْكَ »^(٣) ، أخرج مسلم .

(١) [صحيح] ، أخرج أحمد (١٢٣٠١ ، ١٣٥٦٦) وحسنه شعيب الأرنؤوط . والدارمي (٣٣٢٦) . وابن ماجه (٢١٥) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢١١/١٧٨) . والنسائي في "الكبرى" (٧٩٧٧) . عن أنس مرفوعا ، والحاكم (٢٠٤٦) وصححه وقال إنه روي من ثلاثة أوجه عن أنس وهذا أمثلها . وصححه الألباني في الجامع الصحيح (٣٩٢٨) وفي صحيح الجامع (٢١٦٥) وفي صحيح الترغيب والترهيب ٢/٢١٠ (١٤٣٢) .

(٢) [البقرة: من الآية ١٤٣] .

(٣) [صحيح] ، أخرج مسلم (١/٢٢٣) ، وغيره .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

→ فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه: أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عبارته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه، قال الله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَبَرُّ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

جعلنا الله ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبره حق تدبره، ويقوم بقسطه، ويفى بشرطه، ولا يلتبس الهدى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهرة، وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة. ^(١)



وقال الأستاذ سيد قطب في "الظلال": إن هذا القرآن ينبغي أن يُقرأ، وأن يتلقى من أجيال الأمة المسلمة بوعي، وينبغي أن يتدبر على أنه: توجيهات حية، تنزل اليوم، لتعالج مسائل اليوم، ولتثير الطريق إلى المستقبل؛ لا على أنه مجرد كلام جميل يرتل؛ أو على أنه سجل لحقيقة مضت ولن تعود. ^(٢)



وقال مالك بن دينار: « إِذَا تَعَلَّمَ الْعَبْدُ: الْعِلْمَ لِيَعْمَلَ بِهِ ← كَسَرَهُ عِلْمُهُ؛ وَإِذَا تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُغَيِّرَ الْعَمَلَ بِهِ ← زَادَهُ فَخْرًا » ^(٣)، وفي رواية: « كَبْرًا ». ^(٤)



(١) تفسير القرطبي ٢٧/١.

(٢) تفسير "ظلال القرآن" لسيد قطب، الجزء الأول، ص ٢٦١، ط دار الشروق.

(٣) [صحيح]، أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٧٢/٢ بإسناد صحيح.

(٤) [صحيح لغيره]، سبق.

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقال عبد الله بن سعيد : سمعت سفيان بن عيينة، يقول : « يُرَادُ لِلْعِلْمِ : الْحِفْظُ، وَالْعَمَلُ ، وَالِاسْتِمَاعُ ، وَالْإِنْصَاتُ ، وَالنَّشْرُ » .^(١)



وعن سفيان بن عيينة أيضا، قال : « أَجْهَلُ النَّاسِ : مَنْ تَرَكَ مَا يَعْلَمُ ؛ وَأَعْلَمُ النَّاسِ : مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ ؛ وَأَفْضَلُ النَّاسِ : أَحْشَعُهُمْ لِلَّهِ » .^(٢)



وقال سهل بن عبد الله التستري : « الْعِلْمُ كُلُّهُ دُنْيَا ، وَالْآخِرَةُ مِنْهُ الْعَمَلُ ؛ وَالْعَمَلُ كُلُّهُ هَبَاءٌ إِلَّا الْإِخْلَاصُ ؛ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مَوْتَى إِلَّا الْعُلَمَاءُ ؛ وَالْعُلَمَاءُ سُكَارَى إِلَّا الْعَامِلِينَ ؛ وَالْعَامِلُونَ كُلُّهُمْ مَغْرُورُونَ إِلَّا الْمُخْلِصِينَ ؛ وَالْمُخْلِصُ عَلَى وَجَلٍ حَتَّى يَدْرِي مَاذَا يُخْتَمُ لَهُ بِهِ » .^(٣)



وقال سفيان الثوري : « كَانَ النَّاسُ إِذَا طَلَبُوا الْعِلْمَ : عَمِلُوا ؛ فَإِذَا عَمِلُوا : أَخْلَصُوا ، فَإِذَا أَخْلَصُوا : هَرَبُوا » .^(٤)

* * *

- (١) [صحيح] ، أخرجه الدارمي في سننه (٣٣٠) ، وقال حسين سليم أسد : اسناده صحيح .
 (٢) [صحيح] ، أخرجه الدارمي في سننه (٣٣٠) ، وقال حسين سليم أسد : اسناده صحيح .
 (٣) أخرجه الخطيب في "اقتضاء العلم العمل" ٢٨/١ (٢٠) . وذكره الغزالي في "الإحياء" ١١٨/١ .
 وذكره أبو طالب المكي في " قوت القلوب " باب / وصف العلم وطريقة السلف ١٥٨/١ .
 (٤) ذكره أبو طالب المكي في "قوت القلوب" باب / وصف العلم وطريقة السلف ١٥٨/١ .

خلاصة هذا الحديث:

هذا الحديث الشريف يشير إلى فضيلة صاحب القرآن ، ويدعو إلى حفظه ، ونشره ، وفيه أيضا دلالة على أن القرآن الكريم يُقرأ فى الجنة ، وأن القراءة فى الآخرة ليست من باب التعب والتكليف ؛ بل من باب الاستمتاع والتكريم والتشريف .

وليس المراد بصاحب القرآن : هو قارئه من غير حفظ ؛ بل هو الحافظ لحروفه وحدوده ؛ لأنه لم يثبت أنه سيعطى مصحفا ليقرا منه يوم القيامة ؛ بل سيقرا من حفظه ويرتل كما كان يرتل فى الدنيا .

وإن الأمر بترتيل القراءة : فيه دلالة على أن الله تعالى يحب الترتيل ، وَيُرَغَّبُ فيه ؛ حتى فى الدار الآخرة .

وأما قوله - ﷺ - : « فَهُوَ فِي ضُغُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ ، هَذَا كَانَ ، أَوْ تَزْتِيلاً » ، فليس معناه جواز القراءة بدون قواعد الترتيل ، لأن معنى الترتيل فى هذا الحديث هو : (التأني فى القراءة) ، والهدؤ : (الإسراع فيها) ، وقد سبق وبيننا أن للترتيل عند الإطلاق عدة معانٍ ، منها : [تيسين الحروف ، وتفسيرها ، وحسن متابعتها ، والتأني فى القراءة وعدم تمطيها] .



الفصل الرابع والعشرون

تعليم الأهل والأبناء القرآن الكريم

عن الضحاك بن قيس - رضي الله عنه - ، قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ !، عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَهَالِيَكُمْ الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ مَنْ كُتِبَ لَهُ مِنْ مُسْلِمٍ يُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، أَنَاهُ مَلَكَانٍ ، فَاکْتَتَفَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : اقْرَأْ وَارْتَقِ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَنْزِلَا بِهِ حَيْثُ انْتَهَى عِلْمُهُ مِنَ الْقُرْآنِ » .^(١)



وعمر بن قيس السكوني ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - يقول : « عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَتَعَلَّمُوهُ ، وَعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُمْ ، فَإِنَّكُمْ عَنْهُ تُسْأَلُونَ ، وَبِهِ تُجْزَوْنَ ، وَكَفَى بِهِ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ » .^(٢)



(١) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣١/٦ (٣٠٠٥٩) - ١٣٧/١ (٣٤٧٩٣) موقوفاً ، ورجاله ثقات ، وله حكم الرفع لأن مثله مما لا يقال بالرأي .

(٢) [حسن] ، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٣ (١٧) موقوفاً ، وإسناده حسن من أجل إسماعيل بن عياش .

ديباجة هذا الأثر:

قوله : « عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ الْقُرْآنَ » ، و « عَلَّيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَتَعَلَّمُوهُ ، وَعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُمْ » ، أي : [علموهم : قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه أو كل ذلك جميعا أو بعضه] . وهذا الأمر للوجوب أو للاستحباب .



وأما قوله : « فَقَالَا لَهُ : اقْرَأْ وَارْتَقِ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَنْزِلَا بِهِ حَيْثُ انْتَهَى عِلْمُهُ مِنَ الْقُرْآنِ » : فهذه الجملة تدل على أن المراد بقوله : « عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ الْقُرْآنَ » ، أي : « علموهم كيفية قراءة القرآن الكريم وحفظه » ، وذلك لأنه فسر (العلم) في قوله : « عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ الْقُرْآنَ » بالقراءة في قوله : « اقْرَأْ وَارْتَقِ » ، ثم فسر القراءة بالعلم في قوله : « حَتَّى يَنْزِلَا بِهِ حَيْثُ انْتَهَى عِلْمُهُ مِنَ الْقُرْآنِ » ، وكان المتبادر من السياق أن يقول : (حتى ينزلا به حيث انتهت قراءته) ، ولكنه استعمل العلم مكان القراءة والقراءة مكان العلم ؛ فدل على أن المراد هو : [تعليم القراءة والحفظ] .

ويدل على ذلك أيضا : أن الأولاد في سن الطفولة إنما يتعلمون قراءته وتلاوته وحفظه ، وأما تفسيره وعلومه وأحكامه : فليسوا مطالبين بها في سن الطفولة عموما .



فقه هذا الأثر:

إن استعماله للفظ العلم مكان القراءة والقراءة مكان العلم يدل على الأحكام
القرآنية الآتية :

(١) _ أن كيفية قراءة القرآن الكريم إنما هي علم من العلوم الشرعية التي
جاء بها الإسلام وأمر بها .

(٢) _ أن للقرآن الكريم طريقة خاصة في أدائه وقراءته ، وهي ليست
كالقراءة العادية .

(٣) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية ؛ فيجب أن يُقرأ القرآن كما ورد عن
النبي - ﷺ - ؛ من غير زيادة أو نقصان ، أو تبديل أو تغيير أو
تحريف .

(٤) _ أن القرآن الكريم لا يُقرأ بالسجية ؛ بل يجب أن يُتعلم ويُتلقى
بالمشاهدة من أهله .

* * *

خلاصة هذا الأثر:

هذا الأثر الكريم يشير إلى فضيلة هذا العلم، ومكانته، وأصالته، وشرف نسبته، ويحث على تعلم قراءة القرآن الكريم، وتعليمها للأهل والأبناء، من باب إرادة الخير لهم، ويدل على أن الحفظة يتفاوتون في درجات الجنة على قدر حفظهم وعلمهم، فحيث ينتهي حفظه وعلمه كانت تلك مكانته ومنزلته.

وهذا الأثر الكريم يشير كذلك إلى: أن القرآن الكريم يُقرأ في الجنة، وأن القراءة في الآخرة ليست من باب التعب والتكليف؛ بل من باب الاستمتاع والتكريم والتشريف؛ والله تعالى أعلم.



* * *

الفصل الخامس والعشرون

الأمر بتعلم كيفية قراءة القرآن وتلاوته

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُزُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ : « أَلَمْ » وَ لَكِنْ : « أَلِفٌ » ، « وَ لَامٌ » ، « وَ مِيمٌ » .^(١) »



وفي رواية أخرى ، قال - رضي الله عنه - : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يُكْتَبُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَيُكْفَرُ بِهِ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ « أَلَمْ » ؛ وَلَكِنْ أَقُولُ : « أَلِفٌ عَشْرٌ » ، « وَ لَامٌ عَشْرٌ » ، « وَ مِيمٌ عَشْرٌ » .^(٢) »



وفي رواية أخرى ، قال - رضي الله عنه - : « تَعَلَّمُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّكُمْ تَوْجِرُونَ بِتِلَاوَتِهِ ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ بـ « أَلَمْ » ؛ وَلَكِنْ بـ « أَلِفٌ » « وَ لَامٌ » ، « وَ مِيمٌ » ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ » .^(٣) »



(١) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٠/٩ (٨٦٤٨ - ٨٦٤٩) . وابن أبي شيبة ١١٨/٦ .

(٢) (٢٩٩٣٤) . وأحمد في الزهد ص ٣١١ . والحاثر المحاسبي في "فهم القرآن" ص ٢٩٦ .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة ١١٨/٦ (٢٩٩٣٢) .

(٣) [صحيح] ، أخرجه الدارمي ٥٢١/٢ (٣٣٠٨) وصححه المحقق حسين سليم أسد .

ديباجة هذا الأثر:

قوله : « تَعَلَّمُوا » ، هذا الأمر للوجوب أو للاستحباب ، وله حكم الرفع ؛ لأن مثله لا يقال بالرأي .



وقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ أَي : [تعلموا قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه] .

ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَي : [تعلموا كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام .

ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَي : [تعلموا ما تستطيعونه مما ذكر] ؛ لأن اللفظ عام .



وقوله : « واتلوه » ، فالتلاوة لغة معنيان :

الأول : « الاتباع » : قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّنَهَا ﴾^(١) ، أي : « تبعها » .

والثاني : « القراءة » : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾^(٢) ، أي : « وإذا قرأت عليهم آياته » .



(١) [سورة الشمس : ٢] .

(٢) [الأنفال : ٢] .

قلت : والمعنيان صحيحان لغة وشرعا ، وتؤيدهما الأدلة النقلية واللغوية ، وليس بينهما تعارض ، فحيثُذ يجب إعمالهما جميعا ، كما هو مقرر ، فيكون معنى قوله : « وَاتْلُوهُ » ، أي : « اقرأوه كما أنزل ، واعملوا به على هدي النبي - ﷺ - وسنته » ، أي أنه ينبغي لقارئ القرآن أن يكون متقنا لما يقرأ ، عالما بمعناه ، مدركا لمدلولة ، فاهما لمراده ، متبعا لما فيه ؛ وتلك هي الصفة التي ترتب عليها هذا الأجر المذكور في هذا الأثر العظيم .

وقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يُكْتَبُ ، بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَيُكْفَرُ بِهِ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ أَلَمْ ، وَلَكِنْ أَقُولُ : أَلْفٌ عَشْرٌ ، وَلَا مَ عَشْرٌ ، وَمِمْ عَشْرٌ » ، ففيه دلالة على أن المراد بقوله « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : [تعلموا قراءة القرآن] ، وأن المراد بقوله « وَاتْلُوهُ » ، أي : [واقرءوه] .

وقوله : « تَعَلَّمُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّكُمْ تَوْجِرُونَ بِتِلَاوَتِهِ ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ... » ، ففيه دلالة أيضا على أن المراد بقوله « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » أي [تعلموا قراءة القرآن] ، وأن المراد بقوله « وَاتْلُوهُ » أي [واقرءوه] .

وقوله : « فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُزُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ : أَلَمْ ؛ وَلَكِنْ : أَلْفٌ ، وَلَا مَ ، وَمِمْ ؛ ففيه دلالة أيضا على أن المراد بقوله « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » أي [تعلموا قراءة القرآن] ، وأن المراد بقوله : « وَاتْلُوهُ » ، أي [واقرءوه] .

* * *

فقه هذا الأثر:

أولاً: إن أمره بالتلاوة عقب أمره بتعليم القرآن: فيه إشارة إلى أن المراد بالتعليم هنا: هو تعليم كيفية التلاوة؛ أي: «تعلموا كيفية تلاوته، ثم اتلوه كما تعلمتموه»؛ وعلى هذا يكون المعنى المراد، هو: «تعلموا كيفية قراءة القرآن، واقروه كما تعلمتموه، وأكثروا من قراءته، فإن الله يأجركم على تلاوته، بكل حرف عشر حسنة...»، والله تعالى أعلم.



ثانياً: إن قوله: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ»، يدل على الأحكام الآتية:

- (١) - أن قراءة القرآن الكريم هي علم من العلوم الشرعية الضرورية التي جاء بها الإسلام وأمر بها.
- (٢) - أن للقرآن الكريم طريقة خاصة في أدائه وقراءته، وهي ليست كالقراءة العادية.
- (٣) - أن القرآن الكريم لا يُقرأ بالسجدة؛ بل يجب أن يُتعلّم ويُتلقى من أهله.
- (٤) - أن قراءة القرآن الكريم توقيفية؛ وليست اجتهادية، فيجب أن يُقرأ كما ورد عن النبي - ﷺ -، من غير زيادة أو نقصان، أو تبديل أو تغيير أو تحريف.

* * *

خلاصة هذا الأثر:

إن هذا الأثر الكريم يشير إلى فضيلة هذا العلم ، ومكانته ، وأصالته ، وشرف نسبته ، ويأمر بتعلم كيفية قراءة القرآن الكريم وتلاوته ، ويرغب فيها ، ويدعو إليها ، ويشير إلى توقيتها ، حيث إنه أمر بتعلم كيفيةها أولاً ، ثم أمر بالقراءة ثانياً ، أي : [تعلموا كيفية القراءة والتلاوة والأداء ، ثم اقرءوه كما تعلمتموه] . ويؤيد ذلك قول ابن مسعود - رضي الله عنه - : « وَقَدْ سَمِعْتُ الْقِرَاءَةَ ، فَسَمِعْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ ، [فَاقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ] ^(١) ، وقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْإِخْتِلَافِ ؛ فَلْيَقْرَأْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا أُقِرِّي » ^(٢) .

وهذا الأثر الكريم يشير أيضاً إلى ضرورة تلقي القرآن الكريم بالمشافهة ، ثم تعاهده بكثرة تلاوته ، وتخصيص الوقت لذلك ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويأمر به ، ويدعو إليه صفوة عباده ، ويشيب عليه ثواباً عظيماً .



* * *

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) [حسن] ، سبق .

الفصل السادس والعشرون

الأمر بتعلم قراءة القرآن وتعليمها

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ ، وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهَا النَّاسَ ، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ ، فَإِنِّي أَمْرٌ مَقْبُوضٌ ، وَإِنَّ الْعِلْمَ سَيَقْبُضُ ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ ؛ حَتَّى يَخْتَلِفَ الْإِثْنَانِ فِي الْفَرِيضَةِ لَا يَجِدَانِ مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا » .^(١)

وعن عبد الله بن مسعود - ﷺ - قال : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَالْفَرَائِضَ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَفْتَقِرَ الرَّجُلُ إِلَى عِلْمٍ كَانَ يَعْلَمُهُ ، وَيَبْقَى فِي قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ » .^(٢)

* * *

- (١) [حسن] ، أخرجه الدارقطني في سننه ٨١/٤ (٤٥) واللفظ له . والبيهقي في الصغرى (٢٣٧٢) وفي الشعب ٢٥٣/٢ (١٦٦٨) . والطبراني في الأوسط ٣٦/٦ (٥٧٢٠) . والدارمي ٨٣/١ (٢٢١) . والنسائي ٦٣/٤ (٦٣٠٥) . وأبو يعلى ٤٤١/٨ (٥٠٢٨) . والحاكم ٣٦٩/٤ (٧٩٥٠) . كلهم عن (عبد الله بن مسعود - ﷺ-) مرفوعا ، وصححه الحاكم - ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في الإرواء ١٠٤/٦ . وأخرجه الطبراني في الأوسط ٢٣٧/٤ (٤٠٧٥) عن (أبي بكر - ﷺ-) مرفوعا . وأخرجه الترمذي ٤١٣/٤ (٢٠٩١) عن (أبي هريرة - ﷺ-) مرفوعا . وأخرجه الدارقطني في سننه ٨١/٤ (٤٦) عن (أبي سعيد الخدري - ﷺ-) مرفوعا .
- (٢) [حسن لغيره] ، أخرجه ابن أبي شيبة ١١٨/٦ (٣١٠٤٠) . والدارمي ٤٤١/٢ (٢٨٥٣) . والحسن ومحمد بن علي بن عفان في "الأمالي والقراءة" ص ٤٣ (٣٦) وصححه محققه مسعد عبد الحميد . وسنده حسن ولكنه منقطع لأن القاسم لم يدرك جده ابن مسعود .

ديباجة هذا الحديث:

قوله : « تَعَلَّمُوا » ، فهذا الأمر للوجوب أو للاستحباب ، والأول أرجح لأنه الأصل وليس له صارف .

وقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يحتمل أن يكون المعنى المراد أي : [تعلموا قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه] .

ويحتمل أن يكون المعنى المراد أي : [تعلموا كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام .

ويحتمل أن يكون المعنى المراد أي : [تعلموا ما تستطيعون من ذلك] ؛ لأن اللفظ عام .

وقوله « وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهَا النَّاسَ ، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ » فيه دلالة على أن المراد بقوله أولا : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : [تعلموا قراءته وكيفية تلاوته] .

وقوله : « وَعَلِّمُوهُ » ، « وَعَلِّمُوهَا » ، هذا الأمر للوجوب أو للاستحباب ، والأول أرجح لأنه الأصل وليس له صارف .

* * *

من فقه هذا الحديث:

إن قوله - ﷺ - : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ » ، يدل على الأحكام الشرعية الآتية :

(١) - أن قراءة القرآن الكريم علم من العلوم الشرعية الضرورية التي جاء بها الإسلام وأمر بها .

(٢) - أن للقرآن الكريم طريقتة الخاصة في تلاوته وأدائه وقراءته ، وهي ليست كالقراءة العادية .

(٣) - أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجية ؛ بل يجب أن يُتَعلَّم ويُتَلَقَى من أهله .

(٤) - أن قراءة القرآن الكريم توقيفية وليست اجتهادية ، فيجب أن يقرأ كما ورد عن النبي - ﷺ - ، من غير زيادة أو نقصان ، أو تبديل أو تغيير أو تحريف .

* * *

خلاصة هذا الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يشير إلى أهمية هذا العلم ، ومكانته ، وأصالته ، وشرف نسبته ، ويأمر بتعلم قراءة القرآن الكريم وتلاوته ، ويرغب فيها ، ويدعو إليها ، ويشير إلى توقيفيتها ؛ حيث أنه أمر بتعلمها أولاً ، ثم أمر بتعليمها ثانياً ، أي : وكأنه يقول : تعلموا قراءة القرآن الكريم ، ثم علموها كما تعلمتم ؛ ويؤيد ذلك قول ابن مسعود - رضي الله عنه - : « وَقَدْ سَمِعْتُ الْقُرْآنَ ، فَسَمِعْتُهُمْ مُتْقَارِبِينَ ، [فَاقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ] .^(١) » وقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ كَمَا عَلَّمْتُمْ » .^(٢)

وهذا الأثر الكريم يشير أيضاً إلى ضرورة تلقي القرآن الكريم بالمشافهة ، وتخصيص الوقت لذلك ، وأن هذا هو هدي نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام - رضي الله عنهم - ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويأمر به ، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) [حسن] ، سبق .

الفصل السابع والعشرون

الأمر بتعلم قراءة القرآن واقتنائه ونشره

عن عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - ، قال : « كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ ، نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَافْتَنُوهُ » ، قَالَ قَبَاتٌ : وَحَسِبْتُهُ قَالَ : « وَتَعْنُوا بِهِ » ؛ « فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْمَخَاضِ مِنَ الْعُقْلِ » .^(١)

وفي رواية أخرى : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَتَعَاهَدُوهُ ، وَتَعْنُوا بِهِ ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْعِشَارِ فِي الْعُقْلِ » .^(٢)

وفي رواية أخرى : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَتَعَاهَدُوهُ ، وَافْتَنُوهُ ، وَتَعْنُوا بِهِ ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنْ ضُدُورِ الرَّجَالِ مِنَ الْمَخَاضِ فِي الْعُقْلِ » .^(٣)

(١) [صحيح] ، أخرجه الإمام أحمد ١٥٠/٤ (١٧٣٩٩) وصححه المحقق شعيب الأرنؤوط .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الثَّسَنَائِي فِي الْفَضَائِلِ ١٠٢/١ (٦٠) . وأبو يعلى فِي مَسْنَدِهِ ٢٨٠/٣

(١٧٤٠) وصححه محققه حسين سليم أسد .

(٣) [حسن] ، أخرجه الطبراني فِي الْأَوْسَطِ ٢٩١/٣ (٣١٨٧) .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وفي رواية أخرى : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَاقْتَنُوهُ ، وَالَّذِي نَفْسٍ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْعِشَارِ فِي الْعُقْلِ » .^(١)

وفي رواية أخرى : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَتَعَاهَدُوهُ ، وَتَعَنُّوا بِهِ ، فَوَالَّذِي نَفْسٍ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْمَخَاضِ فِي الْعُقْلِ » .^(٢)

وفي رواية أخرى : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَتَعَاهَدُوهُ ، وَاقْتَنُوهُ ، وَتَعَنُّوا بِهِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْمَخَاضِ فِي الْعُقْلِ » .^(٣)

وفي رواية أخرى : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَتَعَاهَدُوهُ ، وَتَعَنُّوا بِهِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْمَخَاضِ فِي الْعُقْلِ » .^(٤)

وفي رواية أخرى : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَاتْلُوهُ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُوَ أَسْرَعُ تَفَضُّيًا مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، مِنْ النِّعَمِ مِنْ عَقْلِهَا » .^(٥)

(١) [حسن] ، أخرجه النَّسَائِي فِي السَّنَنِ ١٨/٥ (٨٠٣٥) .

(٢) [حسن] ، أخرجه النَّسَائِي فِي السَّنَنِ ٢١/٥ (٨٠٤٩) . والدارمي ٥٣١/٢ (٣٣٤٩) وضعفه المحقق حسين سليم أسد بعبد الله بن صالح ، ولكنه توبع .

(٣) [صحيح] ، أخرجه الدارمي ٥٣١/٢ (٣٣٤٨) وصححه المحقق حسين سليم أسد . وصححه الشيخ الألباني في صفة الصلاة ١٢٥/١ .

(٤) [صحيح] ، أخرجه أحمد ١٤٦/٤ (١٧٣٥٥) وصححه المحقق شعيب الأرناؤوط . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٩٦٤) .

(٥) [صحيح] ، أخرجه النَّسَائِي فِي الْفَضَائِلِ ١١١/١ (٧٤) وهو في صحيح الجامع (٢٩٦٤) .

وأيضاً في رواية أخرى عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - ، قال : « كُنَّا فِي الْمَسْجِدِ نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَسَلَّمَ ، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَأَفْشُوهُ ، وَاقْتَنُوهُ » ، قَالَ قَبَاثُ : وَحَسِبْتُهُ قَالَ : « وَتَعَنُّوا بِهِ » ؛ « فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَضُّلاً مِنِّ الْمَخَاضِ فِي الْعُقْلِ » .^(١)

وأيضاً في رواية أخرى عنه ، قال : « كُنَّا فِي الْمَسْجِدِ نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ : تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاقْتَنُوهُ » ، قَالَ قَبَاثُ : وَحَسِبْتُهُ قَالَ : « وَتَعَنُّوا بِهِ ؛ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَضُّلاً مِنِّ الْمَخَاضِ فِي عَقْلِهِ » .^(٢)

وأيضاً في رواية أخرى عنه ، قال : « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَنَحْنُ نَتَدَارَسُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ : تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَفْشُوهُ ، وَتَعَنُّوا بِهِ ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَضُّلاً مِنِّ الْمَخَاضِ فِي الْعُقْلِ » .^(٣)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه بن مفلح في مشيخة ابن أبي الصقر ٣٠١/١ (٢٩) وصححه محققه الشريف حاتم بن عارف العوني .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الحارث في مسنده ٧٣٤/٢ (٧٢٨) .

(٣) [حسن] ، أخرجه الطبراني في الكبير ٢٩٠/١٧ (٨٠٠) .

ديباجة هذا الحديث:

قوله : « وَنَحْنُ نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ » ، يُحتمل أن يكون المعنى أي : [ونحن نتعلم قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه] .

ويُحتمل أن يكون المعنى أي : [ونحن نتعلم كل ذلك جميعا أو بعضه] ؛ لأن اللفظ عام .

وقوله : « وَنَحْنُ نَتَدَارَسُ الْقُرْآنَ » ، أي : نقرأه بعناية وتمهل وتكرار ، لرياضة الألسن ، والتعلم ، والتثبيت ، والحفظ .

وقوله : « وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ » ، أي : يُقرئنا بعضنا بعضا ، لنتعلم كيفية قراءته وتلاوته ، ونحفظه ، وهذه الرواية تفسر الروايات الأخرى أو تخصصها .
فيكون المراد من قوله : « وَنَحْنُ نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ » ، أي : « نتعلم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته » ؛

والمراد من قوله : « وَنَحْنُ نَتَدَارَسُ الْقُرْآنَ » أي : « نقرأه بعناية وتمهل وتكرار : لرياضة الألسن ، لنتعلم قراءته ، وكيفية أدائه وتلاوته » .

وقوله : « تَعَلَّمُوا » ، هذا الأمر للوجوب أو للاستحباب والأول أرجح لأنه هو الأصل وليس له صارف .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقوله : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ » ، « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ أَي : [تعلموا قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه ، أو كيفية العمل به] .
 وَيُحْتَمَلُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ هُوَ : [تعلموا كل ذلك جميعا أو بعض ذلك] ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ عَامٌ .



وقوله : « وَتَعَاهَدُوهُ » ، أَي : لا تتركوه ولا تبتعدوا عنه ؛ بَلْ لَازِمُوهُ بِالْقِرَاءَةِ وَالْمَدَارَسَةِ ، وَالْأَمْرَ لِلْوَجُوبِ ، أَوْ لِلِاسْتِحْبَابِ ؛ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ » ، أَوْ « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أَي : تعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته .



وقوله : « وَأَفْشُوهُ » ، أَي : انشروه بتعليمكم من بعدكم ، وَالْأَمْرَ لِلْوَجُوبِ أَوْ لِلِاسْتِحْبَابِ .



وقوله : « وَاتْلُوهُ » ، أَي : اقرءوه ، أَوْ أَكْثَرُوا مِنْ قِرَائَتِهِ ، وَاتَّبَعُوهُ ، وَاعْمَلُوا بِمَا فِيهِ ، وَهَذَا الْأَمْرُ لِلْوَجُوبِ أَوْ لِلِاسْتِحْبَابِ بِالنِّسْبَةِ لِلتَّلَاوَةِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الْقِرَاءَةِ ؛ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْوَجُوبُ بِالنِّسْبَةِ لِلتَّلَاوَةِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الْإِتِّبَاعِ عَمُومًا ، وَلِلْمَسْأَلَةِ تَفْصِيلَ يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي كِتَابِ الْفَقْهِ وَالْأَصُولِ ؛ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ أَوَّلًا : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ » ، أَوْ « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أَي : تعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته .



وقوله : « وَتَعْنُوا بِهِ » ، أي : حسنوا قراءتكم وأصواتكم به قدر استطاعتكم عند تلاوتكم له ، والأمر للوجوب أو للاستحباب ، وفيه إشارة إلى أن المراد بقوله « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ » ، « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : تعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته .



وقوله : « وَاقْتَنُوهُ » ، أي : احتفظوا بنُسخِهِ الخِطية ، واعتنوا بها ، وحافظوا عليها ، وذلك مع حفظكم له في صدوركم ، لأن حفظ القرآن الكريم بكلتا صورتيه (الخطية والصوتية) واجب على عموم الأمة (كما سنبين) ، وأيضا لتكون النسخ الخطية عوناً لكم على الحفظ ، ومرجعاً لكم إذا طرأ عليكم النسيان ، ولكي يتلوا بعضكم منها القرآن وخاصة من لم يكن حافظاً لحروفه ؛ وهذا الأمر للوجوب على عموم الأمة ؛ وهو للاستحباب على أعيانها إذا أمن على القرآن من الفقد والضياع ؛ وإلا صار واجبا على الجميع .

* * *

من فقه هذا الحديث:

إن أمره بالتلاوة عقب أمره بتعلم القرآن الكريم وتعليمه : فيه إشارة إلى أن المراد من قوله أولاً : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ » ، أو « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : تعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته . وهذا يدل على الأحكام الشرعية الآتية :

(١) _ أن تعلم وتعليم كيفية قراءة القرآن الكريم وتلاوته : هو علم من العلوم الشرعية الضرورية التي جاء بها الإسلام ، وأمر بها .

(٢) _ أن للقرآن الكريم طريقته الخاصة في تلاوته وأدائه وقراءته ، وهي ليست كالقراءة العادية .

(٣) _ أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجدة ؛ بل يجب أن يتعلم ويتلقى من أهله .

(٤) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية ، فيجب أن يقرأ القرآن كما ورد عن النبي - ﷺ - ، من غير زيادة ، أو نقصان ، أو تبديل ، أو تغيير ، أو تحريف .

* * *

خلاصة هذا الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يشير إلى اهتمام الصحابة الكرام - ﷺ - بالقرآن الكريم ، وأنه كان شغلهم الشاغل ، وأنهم كانت لهم مجالس خاصة ، يقرأون فيها القرآن ، ويتدارسونه فيما بينهم ، ويعلم بعضهم بعضاً ، ويتلقاه بعضهم من بعض ، وكان النبي - ﷺ - يشرف عليهم ويوجههم ويتابعهم ، ويأمرهم بتعلمه وتعليمه ، ويحثهم على حفظه في الصدور والسطور ، ثم تعاهده بكثرة تلاوته ، ومدارسته ، ويحذر من الغفلة عنه ، وفيه دلالة على ضرورة تلقيه بالمشافهة ، وعلى أهمية تعلمه وتعليمه ، وتعاهده ، ومدارسته ، وتخصيص الوقت لذلك ؛ وأن هذا هو هدي نبينا - ﷺ - والسلف الصالح ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



الفصل الثامن والعشرون

الأمر بتعلم قراءة القرآن وإقراءه وقراءته

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَأَقْرَأُوهُ ، وَأَقْرَأُوا مِنْهُ مَا تَيْسَّرَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ ؛ تَعَلَّمُوا : أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ خَمْسِينَ آيَةً فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ؛ وَمَنْ قَرَأَ بِمِائَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِتِينَ ؛ وَمَنْ قَرَأَ بِمِائَتِي آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُحَاجَّهُ الْقُرْآنُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَمَنْ قَرَأَ بِخَمْسِمِائَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ إِلَى أَلْفِ آيَةٍ أَصْبَحَ وَلَهُ قِنْطَارٌ مِنَ الْجَنَّةِ » .^(١)

(١) [حسن لغيره] ، وأخرجه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل / باب (٢) ثواب القراءة بالليل رقم (١٨٧) قال : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثني محمد بن عبيد الله الصنعاني ، ثنا ابن جريج ، قال : قال أنس . وابن جريج مدلس . قلت : وله شاهد أخرجه البغوي في تفسيره ٢٥٧/٨ من رواية ابن لهيعة عن حميد بن مخراق عن أنس - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين ... » . وأخرجه أيضا ابن السني في "عمل اليوم والليلة" بروايات وألفاظ متقاربة ص (٣٢٦ ، ٣٢٧) رقم (٦٩٨ - ٧٠٠) وقال الحافظ ابن حجر : سنده ضعيف ، زوي لنا بعضه من وجه آخر بسند صحيح ثم أخرجه من حديث تميم الداري - رضي الله عنه - . وانظر : الفتوحات الربانية : ٣ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ، الترغيب والترهيب : ٢ / ٤٤٧ ، مجمع الزوائد : ٢ / ٢٦٧ . قلت : ويشهد لأوله حديث عقبه بن عامر السابق ، ويشهد لعجره حديث أبي هريرة الآتي بعده . أيضا فإن له شاهدا آخر صحيحا أخرجه الدارمي في سننه ٥٥٥/٢ (٣٤٤٦) عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : « من قرأ في ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين » وصححه حسين سليم الأسد .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، فَاقْرَأُوهُ ، وَأَقْرَأُوهُ ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ ، وَقَامَ بِهِ : كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوثٍ مِسْكَاً ، يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ وَيَزُقُّدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ : كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيٍّ عَلَى مِسْكِ » .^(١)

وأيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَعَلَّمُوهُ ، وَأَقْرَأُوهُ ، وَقَوْمُوا بِهِ ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ ، وَقَامَ بِهِ : كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوثٍ مِسْكَاً ، يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ وَيَزُقُّدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ : كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيٍّ عَلَى مِسْكِ » .^(٢)

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُحْيَلُ إِلَيْهِ » ، قال : فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ! ، رأيت رجلاً يقرأ القرآن منكوساً ، قال : « ذَلِكَ مَنَكُوسُ الْقَلْبِ » ، قال : وأتني بمصحف قد زين وذهب ، قال : فقال عبد الله - رضي الله عنه - : « إِنَّ أَحْسَنَ مَا زُيِّنَ بِهِ الْمُصْحَفُ : تِلَاوَتُهُ بِالْحَقِّ » .^(٣)

* * *

(١) [حسن لغيره] ، أخرجه ابن ماجه ٧٨/١ (٢١٧) . والترمذي وحسنه ١٥٦/٥ (٢٨٧٦) عن أبي

هريرة - رضي الله عنه - ، وفيه عطاء مولى أبي أحمد لم يوثقه إلا ابن حبان ولذلك ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٥٤١) . ولكن محل الشاهد حسن لغيره .

(٢) [السابق] ، ذكره ابن الأثير في جامع الأصول ٨ (٦٢٤١) وعزاه للترمذي .

(٣) [صحيح] ، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣٢٣/٤ (٧٩٤٧) .

ديباجة هذا الحديث:

قوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ أَي : [تَعَلَّمُوا قِرَاءَتَهُ ، أَوْ كَيْفِيَّةَ تِلَاوَتِهِ ، أَوْ حِفْظَهُ ، أَوْ عُلُومَهُ ، أَوْ تَفْسِيرَهُ ، أَوْ أَحْكَامَهُ ، أَوْ شَرَائِعَهُ ، أَوْ كَيْفِيَّةَ الْعَمَلِ بِهِ] .
 وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ أَي : [تَعَلَّمُوا كُلَّ ذَلِكَ جَمِيعًا أَوْ بَعْضَ ذَلِكَ] ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ عَامٌ .

وقوله : « وَأَقْرَأُوهُ » ، أَي عَلِمُوا مِنْ بَعْدِكُمْ كَيْفِيَّةَ قِرَاءَتِهِ وَأَدَائِهِ وَتِلَاوَتِهِ ، وَالْأَمْرُ لِلْوَجُوبِ أَوْ لِلِاسْتِحْبَابِ . وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أَي : تَعَلَّمُوا قِرَاءَتَهُ وَكَيْفِيَّةَ أَدَائِهِ وَتِلَاوَتَهُ .

وقوله : « فَأَقْرَأُوهُ » ، « وَأَقْرَأُوا مِنْهُ مَا تَيْسَّرَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ » ، أَي : اقْرَأُوهُ ، وَأَكْثَرُوا مِنْ قِرَاءَتِهِ ، وَلَا تَتْرَكُوهُ وَلَا تَتَّبَعُوا عَنْهُ ، بَلْ لَازِمُوهُ ، بِالْقِرَاءَةِ ، وَالْحِفْظِ ، وَالْمَدَارَسَةِ ، وَهَذَا الْأَمْرُ لِلْوَجُوبِ أَوْ لِلِاسْتِحْبَابِ ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ أَيْضًا إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ أَوْلًا : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أَي تَعَلَّمُوا قِرَاءَتَهُ وَكَيْفِيَّةَ أَدَائِهِ وَتِلَاوَتَهُ .

وقوله : « إِنَّ أَحْسَنَ مَا زُيِّنَ بِهِ الْمُضْحَفُ : تِلَاوَتُهُ بِالْحَقِّ » ، أَي : تِلَاوَتَهُ كَمَا أَنْزَلَ ، أَوْ كَمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - .

* * *

من فقه هذا الحديث:

إن أمره بالقراءة عقب أمره بالتعلم والتعليم : فيه إشارة إلى أن المراد من قوله
أولاً : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : تعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته . وهذا
أيضاً يدل على الأحكام الشرعية الآتية :

(١) _ أن قراءة القرآن الكريم علم من العلوم الشرعية الضرورية التي جاء
بها الإسلام وأمر بها .

(٢) _ أن للقرآن الكريم طريقته الخاصة في تلاوته وأدائه وقراءته ، وهي
ليست كالقراءة العادية .

(٣) _ أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجدة ؛ بل يجب أن يُتَعلَّم ويُتَلَقَى من
أهله .

(٤) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية ، فيجب أن يقرأ القرآن كما ورد عن
النبي - ﷺ - ، من غير زيادة ، أو نقصان ، أو تبديل ، أو تغيير ، أو
تحريف .

* * *

خلاصة هذا الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يدل دلالة واضحة على أصالة علم قراءة القرآن الكريم، وتوقيفيته، وشرف نسبته، ونقاء معدنه، وصفاء جوهره، وأنه من العلوم الشرعية الواجبة، والأصول اللازمة، التي لا يسع الأمة تركها، أو إهمالها، أو التفريط فيها.

ويشير هذا الحديث الشريف أيضا إلى مدى اهتمام النبي - ﷺ - والصحابة الكرام - ﷺ - بتعلم قراءة القرآن الكريم، وقد كانت لهم مجالس خاصة يقرءون فيها القرآن، ويتدارسونه بينهم، ويقرئ بعضهم بعضا، ويتلقاه بعضهم من بعض، وكان النبي - ﷺ - يشرف عليهم ويوجههم ويتابعهم، ويحثهم على تعلم قراءته وحفظه، ثم تعاهده بكثرة تلاوته، ومدارسته، ويحذر من الغفلة عنه.

ويشير هذا الحديث الشريف أيضا إلى ضرورة تلقيه بالمشافهة، وأهمية تعلمه وتعليمه، وتعاهده، ومدارسته، وتخصيص الوقت لذلك؛ وأن هذا هو هدي نبينا - ﷺ - والسلف الصالح - ﷺ -، وأن الله يريد ذلك، ويحبه، ويرضاه، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه.



الفصل التاسع والعشرون

شفاة القرآن

عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ؛ فَإِنَّهُ شَافِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ ، تَعَلَّمُوا الزَّهْرَاوَيْنِ ؛ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ غَيَاتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ ، يُحَاجَّانِ عَنِ صَاحِبَيْهِمَا ، تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ ، فَإِنَّ تَعْلِيمَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ » .^(١)

وفي رواية أخرى عن أبي أمامة - رضي الله عنه - ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « اقرءوا القرآن ؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيبتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ » .^(٢)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه الحاكم في المستدرک ٧٥٢/١ (٢٠٧١) . والطبراني في الكبير ٢٩١/٨

(١١١٨) . وعبد الرزاق في المصنف ٣/٣٦٥ (٥٩٩١) . وأحمد في المسند ٥/٢٥١ (٢٢٢١١)

. وابن حبان في صحيحه ١/٣٢٢ (١١٦) وصححهما محققهما شعيب الأرنؤوط .

(٢) [صحيح] ، أخرجه مسلم (٢٥٢/٨٠٤) . وأحمد ٥/٢٤٩ (٢٢٢٠٠) ، ٥/٢٥٤ (٢٢٢٤٧) ،

٥/٢٥٧ (٢٢٢٦٧) . والطبراني في الكبير ٨/١١٨ (٧٥٤٢-٧٥٤٤) والأوسط ١/١٥٠ (٤٦٨) .

ديباجة هذا الحديث:

قوله : « غَمَامَتَانِ » ، مثني غمامة ، والغمام هو : السحاب .

وقوله : « غَيَايَتَانِ » ، الغيابة : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها .

وقوله : « فِرْقَانِ » ، مثني فرق ، والفرق : الجماعة ، أو الطائفة ، أو القطيع ، أو القِسْمُ من كلِّ شيء .

وقوله : « صَوَافٍ » ، أي : باسطات الأجنحة في الطيران مصطفة .

وقوله : « فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكََةٌ » ، البركة : زيادة الخير وكثرته واتساعه .

وقوله : « وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ » ، الحسرة : الحزن والندم .

وقوله : « وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ » ، البطلة : السحرة .

وقوله : « تَعَلَّمُوا » ، « اقْرَأُوا » ، هذا الأمر للوجوب أو للاستحباب والأول أرجح لأنه الأصل وليس له صارف .

وقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يُحتمل أن يكون المراد أي : [تعلموا قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه ، أو كيفية العمل به] .
 ويُحتمل أن يكون المراد أي : [تعلموا بعض ذلك] .
 ويُحتمل أن يكون المراد أي : [تعلموا كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام ؛ وهذا الأمر للوجوب أو للاستحباب ، والأول أرجح لأنه الأصل وليس له صارف .



وكذلك قوله : « تَعَلَّمُوا الْبُقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ » ، فيُحتمل أن يكون المراد هو أي : [تعلموا قراءتهما ، أو كيفية تلاوتهما ، أو حفظهما ، أو علومهما ، أو تفسيرهما ، أو أحكامهما ، أو شرائعهما ، أو كيفية العمل بهما] .
 ويُحتمل أن يكون المراد أي : [تعلموا بعض ذلك] .
 ويُحتمل أن يكون المعنى المراد أي : [تعلموا كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام ؛ وهذا الأمر للوجوب أيضا ، أو للاستحباب .



وكذلك قوله : « تَعَلَّمُوا الْبُقْرَةَ » ، يُحتمل أن يكون المراد أي : [تعلموا قراءتها ، أو كيفية تلاوتها ، أو حفظها ، أو علومها ، أو تفسيرها ، أو أحكامها ، أو شرائعها ، أو كيفية العمل بها] .
 ويُحتمل أن يكون المراد أي : [تعلموا بعض ذلك] .
 ويُحتمل أن يكون المراد أي : [تعلموا كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام ؛ وهذا الأمر أيضا للوجوب أو للاستحباب .



الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقوله : « يُحَاجَّانِ » ، أي يجادلان بإقامة الحجة والدليل ، والمعنى : أنهما يشفعان لإنقاذ صاحبهما من النار .



وقوله : « صَاحِبِهِمَا » ، فالصاحب للقرآن هو : [الحافظ لحروفه ، الملازم لقراءته ، المتخلق بأخلاقه ، المنقاد لأوامره ، الملتزم لحدوده ، الساعي فى نشره ، المجاهد لنصرته ، القائم على خدمته ، الباذل نفسه وماله لصونه ورعايته] كما سبق وبيننا معنى الصاحب .



وقوله : « يُحَاجَّانِ عَنِ صَاحِبِهِمَا » ، فيه دليل على أن المراد بقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : تعلموا قراءته ، وكيفية أدائه ، وتلاوته ، وحفظه . وأن المراد بقوله : « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ » ، أي : تعلموا قراءتها ، وكيفية أدائها ، وتلاوتها ، وحفظها .



وقوله : « وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ » ، فيه دليل أيضا على أن المراد بقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : تعلموا قراءته ، وكيفية أدائه ، وتلاوته ، وحفظه . وأن المراد بقوله : « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ » ، أي : تعلموا قراءتها ، وكيفية تلاوتها ، وحفظها . والمراد بقوله : « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ » أي : تعلموا قراءتهما ، وكيفية أدائهما ، وتلاوتهما ، واحفظوهما .



فهذا هو تأويل الرواية الأولى على حدة ، وسأتكلم عن الرواية الثانية أيضا على حدة ؛ لأن كل رواية حجة بنفسها ، ثم أتكلم بعد ذلك - إن شاء الله تعالى - عن الروایتين معا جميعا .



ديباجة الرواية الثانية:

قوله : « اقرءوا القرآن » ، يُحتمل أن يكون المعنى المراد هو ، أي : [اقرءوه للتعبد] ، أو [أكثروا من قراءته] ، أو [احفظوه] ، أو [اقرءوه على المشايخ لتتلمعوا منهم قراءته ، وكيفية أدائه ، وحفظه ، وتلاوته] .
ويُحتمل أن يكون المراد : [كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام ، والقراءة تكون : للتعبد ، أو للحفظ ، أو للتعلم ، أو لكل ذلك جميعا .



وقوله : « اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران » ، يُحتمل أن يكون المعنى أي : [احفظوهما] ، أو [اقرءوهما للتعبد] ، أو [أكثروا من قراءتهما] ، أو : [اقرءوهما على المشايخ لتتلمعوا منهم قراءتهما ، وكيفية أدائهما ، وتلاوتهما ، وحفظهما] .

ويُحتمل أن يكون المراد هو : [كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام .



وقوله : « اقرءوا سورة البقرة » ، يحتمل أن يكون المراد أي : [احفظوها] ، أو [اقرءوها للعبادة] ، أو : [أكثروا من قراءتها] ، أو : [اقرءوها على المشايخ لتتلمعوا كيفية قراءتها وتحفظوها] .

ويحتمل أن يكون المعنى المراد هو : [كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام .



الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقوله : « تُحَاجَّانِ عَنِّ أَصْحَابَيْهِمَا » ، فيه دليل على أن المعنى المراد من قوله :
« اقرءوا الْقُرْآنَ » ، أي : [اقرءوه على المشايخ لتتعلموا منهم قراءته ،
وكيفية أدائه ، وحفظه ، وتلاوته ، ثم أكثروا من قراءته على الوجه الذي
تعلمتموه] .

وأن المراد بقوله : « اقرءوا الزُّهْرَاوَيْنِ ، البَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ » ، أي :
[اقرءوهما على المشايخ لتتعلموا منهم قراءتهما ، وكيفية أدائهما ،
وتلاوتهما ، وحفظهما ، ثم أكثروا من قراءتهما على الوجه الذي
تعلمتموه] .

وأن المراد بقوله : « اقرءوا سُورَةَ البَقْرَةِ » ، أي : [اقرءوها على المشايخ
لتتعلموا منهم قراءتها ، وكيفية أدائها ، وتلاوتها ، وحفظها ، ثم أكثروا
من قراءتها على الوجه الذي تعلمتموه] .



وقوله : « فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَتٌ ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ » ، أي : فإن تلقيها وتعلم قراءتها
 وحفظها بركة ، وعدم تلقيها وتعلم قراءتها وحفظها حسرة ، وفي هذا
 دليل أيضا على أن المراد من قوله : « اقرءوا الْقُرْآنَ » ، أي : [اقرءوه
على المشايخ لتتعلموا منهم قراءته ، وكيفية أدائه ، وحفظه ، وتلاوته ، ثم
أكثروا من قراءته على الوجه الذي تعلمتموه] .

وأن المراد من قوله : « اقرءوا الزُّهْرَاوَيْنِ البَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ » أي :
[اقرءوهما على المشايخ لتتعلموا قراءتهما وكيفية أدائهما وتلاوتهما
وحفظهما ، ثم أكثروا من قراءتهما على الوجه الذي تعلمتموه] .

→ وأن المراد بقوله : « اقرءوا سُورَةَ البَقْرَةِ » ، أي : [اقرءوها على المشايخ لتتلمعوا منهم قراءتها ، وكيفية أدائها ، وتلاوتها ، وحفظها ، ثم أكثرُوا من قراءتها على الوجه الذي تعلمتموه] .



وقوله : « وَلَا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ » ، أي : من تلقاها وتعلمها وحفظها وداوم على تلاوتها فإنه لا يصيبه سحر ، وإن كان مسحورا سُفي من سحره بإذن الله تعالى .

* * *

وهذا هو أيضا تأويل الرواية الثانية ؛ وذلك لأننا قد عاملنا كل رواية على أنها حديث مستقل ؛ فكل رواية إذن قد استقلت بأحكامها وما تحتمله من المعاني .

وأما إذا نظرنا إليهما على أنهما روايتان لحديث واحد (وهذا هو الأصح) ؛ ففي هذه الحالة : إما أن نجمع بينهما ويُستنبط المعنى العام من مجموعهما ، وإما أن إحداهما تفسر الأخرى ، أو تخصصها ، أو تقيدها ، وإليكم بيان ذلك . ←

* * *

المعنى على طريقة الجمع:

قوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ؛ « اقرءوا القرآن ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » ، فيكون معناهما على طريقة الجمع بينها ، هو أي : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ثُمَّ اقرءوه » ، أي : تعلموا كيفية قراءته واحفظوه وأكثروا من قراءته .

وقوله : « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ » ، « اقرءوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ » ، فيكون معناهما أيضا على طريقة الجمع بينها ، هو أي : «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَاقْرءُوهُمَا» ، أي : [تعلموا قراءة سورة البقرة وآل عمران وكيفية أدائهما وتلاوتهما وحفظهما ، وأكثروا من قراءتهما] .

وقوله : « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ » ، « اقرءوا سُورَةَ الْبَقْرَةَ » ، فيكون معناهما على طريقة الجمع بينها أيضا ، هو أي : « تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقْرَةَ وَاقْرءُوهَا » ، أي : [تعلموا قراءة سورة البقرة وكيفية تلاوتها وحفظها ، وأكثروا من قراءتها] .

* * *

المعنى على طريقة التفسير:

أولاً: تفسير الرواية الأولى للثانية:

فقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « اقرءوا الْقُرْآنَ » ، أي : [اقرءوه على أهله لتعلموا منهم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته] .



وقوله : « اقرءوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ » ، « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ » ، أي : [اقرءوهما على المشايخ لتعلموا منهم قراءتهما وكيفية أدائهما وتلاوتهما وحفظهما] .



وقوله : « اقرءوا سُورَةَ الْبَقْرَةَ » ، « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ » ، أي : [اقرءوها على المشايخ لتعلموا منهم قراءتها وكيفية أدائها وتلاوتها] .

* * *

ثانيا: تفسير الرواية الثانية للأولى:

فقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ » ، أي : تعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته من أهله العلماء به .



وقوله : « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ » ، « أَقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ » ، أي : تعلموا قراءتهما وكيفية أدائهما وتلاوتهما من أهله العلماء به .



وقوله : « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ » ، « أَقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةَ » ، أي : تعلموا قراءتها وكيفية أدائها وتلاوتها من أهله العلماء به .

* * *

المعنى على طريقة التخصيص:

فقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يُحتمل أن يكون المراد هو أي : [تعلموا قراءته ، أو كيفية أدائه ، وتلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه ، أو كيفية العمل به] ، أو : [تعلموا كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام .

وقوله في الرواية الأخرى : « اقرءوا الْقُرْآنَ » ، فهو يخصص هذا العموم ويقصره على تعلم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته .
 فيكون معنى قوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « اقرءوا الْقُرْآنَ » ، على طريقة التخصيص هو أي : تعلموا من علوم القرآن : علم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته .



ويكون معنى قوله : « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ » ، « اقرءوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ » ، على طريقة التخصيص هو أي : تعلموا من علومهما : علم قراءتهما وكيفية أدائهما وتلاوتهما .



ويكون معنى قوله : « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ » ، « اقرءوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ » ، على طريقة التخصيص هو أي : تعلموا من علومها : علم قراءتها وكيفية أدائها وتلاوتها .

* * *

المراد من هذا التخصيص:

والمراد من هذا التخصيص : هو تحديد فرد معين من أفراد العموم لزيادة العناية والاهتمام به ، أو لمدحه والتنويه على فضله وشرفه ومكانته ؛ وذلك دون إهمال باقي أفراد العموم أو التقليل من شأنهم ؛ وهذا على حد قوله سبحانه : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، فنصب (الصابرين) على المدح أو الاختصاص لا يعني ذلك إهمال باقي أفراد العموم ؛ وأيضا كما في وقوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢] ، فنصب (المقيمين الصلاة) على المدح أو الاختصاص لا يعني إهمال باقي أفراد العموم .

* * *

من فقه هذا الحديث:

قوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ » ، « تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ » ،
يدل على الأحكام الشرعية الآتية :

(١) _ أن قراءة القرآن الكريم علم من العلوم الشرعية الضرورية التي جاء
بها الإسلام وأمر بها .

(٢) _ أن للقرآن الكريم طريقة خاصة في أدائه وقراءته ، وهي ليست
كالقراءة العادية .

(٣) _ أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجدة ؛ بل يجب أن يتعلم ويتلقى من
أهله .

(٤) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية ، فيجب أن يقرأ القرآن كما ورد
وصح عن النبي - ﷺ - ، من غير زيادة أو نقصان ، أو تبديل أو
تغيير أو تحريف .

* * *

خلاصة هذا الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يأمر بتعلم كيفية قراءة القرآن الكريم ، ومعرفة أدائه ، وتلاوته ، وحفظه ، ويأمر بالإكثار من قراءته ، ويرغب فيها ، ويشير إلى ضرورة تلقيه بالمشاهدة ، وحفظه ، وتعاهده ، ومدارسته ، وتخصيص الوقت لذلك ؛ وأن هذا هو هدي نبينا - ﷺ - والسلف الصالح ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويدعو إليه .



وهذا الحديث الشريف يشير أيضا : إلى فضيلة قراءة القرآن الكريم ، وحفظه ، وإلى فضيلة قارئه وحافظه ؛ وأنه يشفع له يوم القيامة ، وأن من لا يستطيع أن يحفظه كله ؛ فليحفظ سور البقرة وآل عمران ؛ فإنهما يشفعان لأصحابهما ، فمن لا يستطيع أن يحفظهما ؛ فليحفظ سورة البقرة ويكثر من تلاوتها ، فإنها تشفع له يوم القيامة .



وهذا الحديث الشريف يشير أيضا إلى : أن قراءة سور البقرة تملأ البيوت بالخير والبركة ، وتحصنها من الجن والشياطين ، كما ورد عن أبي هريرة - ﷺ - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفْرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » .^(١)

(١) [صحيح] ، أخرجه أحمد ٢٨٤/٢ (٧٨٠٨) وصححه محققه شعيب الأرنؤوط . وصححه الألباني أيضا في صحيح الجامع (٧٢٢٧) .

وكما قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « لِكُلِّ شَيْءٍ سِنَامٌ ، وَسِنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقْرَةِ ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا ، وَإِنَّ لُبَابَ الْقُرْآنِ الْمُفْصَّلُ ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَتَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقْرَةِ ، وَإِنَّ أَضْفَرَ الْبُيُوتِ لِلْخَوْفِ ؛ الَّذِي فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ » ، وفي رواية : « وَإِنَّ أَضْفَرَ الْبُيُوتِ مِنَ الْخَيْرِ ؛ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ » .^(١) ، وفي رواية : « وَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ : خَرِبَتْ كَخْرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا سَاكِنَ لَهُ » .^(٢)



وهذا الحديث الشريف يشير أيضا إلى : أن من استطاع أن يحفظ سورة البقرة فلم يحفظها : فإنه سوف يتحسر (في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معا) ، وذلك لما يفوته من الخير والرحمة أو لما يناله من الشر والأذى وقد كان يمكن دفعه ومنعه بحفظها .



(١) [صحيح] ، أخرجه البيهقي في الشعب مرفوعا ٤٥٣/٢ (٢٣٧٩) . وأخرجه الحاكم وصححه ٧٤٨/١ (٢٠٦٠) ، والطبراني أيضا في الكبير ١٢٩/٩ (٨٦٤٤) وابن الضريس في فضائل القرآن ص ٩٢ (١٩٣) . والجورقاني في الأباطيل ٢٩٤/٢ - ٢٩٥ (٧٠٦) . كلهم موقفا على ابن مسعود . وقال الهيثمي في المجمع ٣٣١/٧ (١١٦٣٤) : رواه الطبراني وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح . قلت : تابعه أبو إسحاق في الحديث الذي بعده .

(٢) [صحيح] ، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٦٨/٣ (٥٩٩٨) . وأبو نعيم في الحلية ١٣١/١ . والدارمي في سننه ٢٥١/٢ (٣٣٠٧) وقال حسين سليم أسد : رجاله ثقات غير أن أبا سنان سعيد بن سنان متأخر السماع من أبي إسحاق وهو موقوف على ابن مسعود . قلت : قد تابعه معمر بن طريق عبد الرزاق .

وقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، و« اقرءوا الْقُرْآنَ » ، صريح في أصالة هذا العلم ومكانته وأهميته ؛ حيث إنه من العلوم الشرعية التي جاء بها الشرع الحنيف ، وأوصى بال العناية بها ، وأمر بتعلمها وتعليمها ، وأثاب عليها أعظم الثواب .



الفصل الثلاثون

إنكارُ قراءته : إنكارُ له

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « كُنْتُ بِحِمَصٍ ، فَقَالَ لِي بَعْضُ الْقَوْمِ : اقْرَأْ عَلَيْنَا ؛ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ سُورَةَ (يُوسُفَ) ، قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : وَاللَّهِ مَا هَكَذَا أَنْزَلْتَ ! ، قَالَ : قُلْتُ وَيْحَكَ ! ، وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ لِي أَحْسَنْتَ ؛ فَبَيْنَمَا أَنَا أَكَلِمُهُ ؛ إِذْ وَجَدْتُ مِنْهُ رِيحَ الْخَمْرِ ، قَالَ : فَقُلْتُ أَتَشْرَبُ الْخَمْرَ وَتُكَذِّبُ بِالْكِتَابِ ؟ ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى أَجْلِدَكَ ، قَالَ : فَجَلَدْتُهُ الْحَدَّ » .^(١)

وقال في رواية أخرى : « قَرَأْتُ بِحِمَصٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا هَكَذَا أَنْزَلْتَ ، فَذَنُوتُ مِنْهُ ، فَوَجَدْتُ مِنْهُ رِيحَ الْخَمْرِ ، فَقُلْتُ : أَتُكَذِّبُ بِالْحَقِّ ، وَتَشْرَبُ الرِّجْسَ ، وَاللَّهِ لَهَكَذَا أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ؛ لَا أَدْعُكَ حَتَّى أَضْرِبَكَ حَدًّا ، قَالَ : فَضْرِبَهُ الْحَدَّ » .^(٢)

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٢٤٩/٨٠١) . والبخاري (٥٠٠١) ، وهو في الجامع الصحيح المختصر برقم (٤٧١٥) .

(٢) [صحيح] أخرجه أبو يعلى (١٢٢/٩) (٥١٩٣) . والطبراني في الكبير ٣٤٤/٩ (٩٧١٣) . وبنحوه الإمام أحمد ٣٧٨/١ (٣٥٩١) وصححه محققه شعيب الأرنؤوط .

وأيضاً في رواية أخرى عنه ، قال : « أَتَكْذِبُ بِالْحَقِّ ، وَتَشْرَبُ الرَّجْسَ ؟ ،
وَاللَّهِ ! ، لَهْوٌ كَمَا أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ؛ لَا أَدْعُكَ حَتَّى أَحِدُّكَ ،
فَجَلَدَهُ الْحَدَّ » .^(١)



وأيضاً في رواية أخرى عنه ، قال : « أَتَشْرَبُ الرَّجْسَ ، وَتُكْذِبُ بِالْقُرْآنِ ؟ ، وَاللَّهِ
لَا تُزَاوِنُنِي حَتَّى أَجْلِدَكَ » .^(٢)



وأيضاً في رواية أخرى عنه ، قال : « أَتَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَتُكْذِبُ بِالْقُرْآنِ ؟ ، لَا
أُبْرِحُ حَتَّى تُجْلِدَ ، فَجْلِدَ » .^(٣)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه حفص بن عمر الدوري في جزء فيه قراءات النبي ص ١١٣ (٦٥) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٢٤/١ (٤٠٣٣) وصححه محققه شعيب الأرنؤوط .

(٣) [صحيح] ، أخرجه الحميدي في مسنده ٦٢/١ (١١٢) .

ديباجة هذا الأثر:

قوله : « وَاللَّهِ مَا هَكَذَا أَنْزَلْتُ » ، فهذا إنكار صريح من الرجل الشامي لقراءة ابن مسعود - ﷺ - ؛ وهذا الإنكار من الرجل قد يكون بسبب أن الخمر قد أذهبت عقله فلا يدري ما يقول ، أو أنه قد سمعها بقراءةٍ أخرى من أحد غير ابن مسعود - ﷺ - وهذا هو الراجح ؛ ولذلك لم يُقَمَّ عليه ابن مسعود - ﷺ - حد المرتدين ، ولم يحكم عليه بالكفر الصريح المخرج من الملة .

قال الإمام النووي : قوله : « تُكذِّبُ بِالْكِتَابِ » ، معناه : تنكر بعضه جاهلا ، وليس المراد التأكيد الحقيقي ؛ فإنه لو كذب حقيقة لكفر وصار مرتدا يجب قتله ، وقد أجمعوا على أن من جحد حرفا مجمعا عليه في القرآن فهو كافر تجري عليه أحكام المرتدين ، والله أعلم .^(١)



وأما قوله : « وَاللَّهِ ! ، لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ لِي أَحْسَنْتَ » « وَاللَّهِ ! ، لَهَكَذَا أَقْرَأْتُهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ، « وَاللَّهِ ! ، لَهُوَ كَمَا أَقْرَأْتُهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ، أي أن القراءة التي أقرأها : هي نفسها القراءة التي أقرأها رسول الله - ﷺ - وقرأتها عليه ، من غير زيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل أو تحريف .

* * *

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - للإمام النووي ٨٨/٦ (٢٤٩/٨٠١) .

فقه هذا الأثر:

فقوله : « وَاللَّهِ مَا هَكَذَا أُنزِلْتُ » ، يدل على الآتي :

- (١) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية .
- (٢) _ أن القرآن الكريم يجب أن يُقرأ كما أنزل .
- (٣) _ أن القرآن الكريم لا يجوز أن يُقرأ بالسجية من غير توقيف .



وأما قوله : « وَاللَّهِ !، لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ »
« وَاللَّهِ !، لَهَكَذَا أَقْرَأْتُهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ، « وَاللَّهِ !، لَهُوَ كَمَا أَقْرَأْتُهَا
رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ، يدل على الآتي :

- (١) _ أن تلقي القرآن الكريم من أهله سنة ثابتة عن النبي - ﷺ - وأصحابه
الكرام - ﷺ - .
- (٢) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية .
- (٣) _ أن القرآن الكريم لا يُقرأ بالسجية أيضا .
- (٤) _ أن قراءة القرآن الكريم يجب أن تُتلقى بالمشافهة .
- (٥) _ أن الصحابة الكرام - ﷺ - كانوا يقرءون القرآن الكريم كما تلقوه
من النبي - ﷺ - ، من غير زيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل أو
تحريف .

* * *

خلاصته هذا الأثر:

هذا الأثر يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم يجب أن يتلى كما أنزل، وأنه أنزل على سبعة أحرف ، وأنه لا يجوز إنكار شيء من الأحرف السبعة ، فقله : « تُكذَّبُ بِالْكِتَابِ » ، « تُكذَّبُ بِالْقُرْآنِ » ، « أَتُكذَّبُ بِالْحَقِّ » ، فقد وصف ابن مسعود - رضي الله عنه - هذا الرجل بأنه : (مكذب لكتاب الله تعالى) ؛ وذلك لأنه أنكر قراءة صحيحة ثابتة ؛ وهذا يدل على أنه لا يجوز إنكار شيء مما ثبتت تلاوته عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأن القراءة سنة متبعة ، وطريقة قائمة ، فيجب قبولها ، والمصير إليها ، والرضى بها؛ ولذلك فإنه قد وصف القراءة الصحيحة بـ (الحق) في الرواية الأخيرة بقوله : « أَتُكذَّبُ بِالْحَقِّ » .



* * *

الفصل الواحد والثلاثون

أحب الناس إلى النبي - ﷺ -

عن زبيد بن الحارث الياامي ، قال : « كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .^(١)

وعن كليب بن شهاب ، قال : « كَانَ عَلَيَّ - ﷺ - فِي الْمَسْجِدِ - أَحْسَبُهُ قَالَ : مَسْجِدَ الْكُوفَةِ - فَسَمِعَ صَاحِبَةً شَدِيدَةً ، فَقَالَ : مَا هَؤُلَاءِ ؟ ، فَقَالَ : قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، أَوْ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ : « أَمَا إِنَّهُمْ كَانُوا أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - » .^(٢)

وأیضا في رواية أخرى عن كليب بن شهاب ، قال : « سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - ﷺ - ضَجَّةً فِي الْمَسْجِدِ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيُقْرَأُونَ ، فَقَالَ : « طُوبَى لَهُؤُلَاءِ ، هَؤُلَاءِ كَانُوا أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - » .^(٣)

* * *

- (١) [صحيح مرسل] ، أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب " العيال " ٤٨٤/١ (٣١٣) . وقال محققه د. نجم بن عبد الرحمن خلف : حديث مرسل رجاله ثقات .
- (٢) [حسن لغيره] أخرجه البزار ٩٥/٣ (٨٧٤) وفيه إسحاق بن إبراهيم الثقفي وثقه بن حبان وفيه ضعف كما في التقريب ٩٩/١ (٣٣٦) . وهو حسن بما قبله وما بعده .
- (٣) [حسن لغيره] أخرجه الطبراني في الأوسط ٢١٤/٧ (٧٣٠٨) وفيه حفص بن سليمان الغاضري وهو متروك الحديث . ولكنه حسن بما قبله .

فقه هذا الآثار وخلصتها:

قوله : « مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » ، « يَفْرَهُونَ الْقُرْآنَ وَيُقَرِّئُونَ » ، « قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، أَوْ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ » ، أي أنهم كانوا يتعلمون قراءة القرآن ويتلقونها بالمشافهة ؛ وهذا يدل على أن القرآن الكريم لا يؤخذ من الصحف ، وأنه لا يُقرأ بالسجدة ، بل إنه قراءته علم قائم بذاته ، فيجب أن يتلقى بالمشافهة من أفواه المشايخ ، وفي هذا محافظة على الأسانيد المتصلة بالنبي - ﷺ - حيث إن الإسناد شرط في صحة القراءة وقبولها؛ وإن الرواية بالإسناد شرف هذه الأمة ، وهو من خصائصها ومميزاتها التي ميزها الله بها .

وهذه الآثار تشير إلى فضيلة معلمي القرآن الكريم ومتعلميه ، وأنهم كانوا أحب الناس إلى النبي - ﷺ - وكذلك إلى الله تبارك وتعالى ، وتشير أيضا إلى أصالة هذا العلم ، وأنه من العلوم الشرعية التي جاء بها الإسلام ، وأن تعلمه وتعليمه أفضل أعمال البر كلها ، وتشير أيضا إلى ضرورة تلقيه وحفظه ، وتعاهده ، ومدارسته ، وتخصيص الوقت لذلك . وأن هذا هو هدي نبينا - ﷺ - والسلف الصالح ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويأمر به ، ويدعو إليه .



* * *

الفصل الثاني والثلاثون

القراءة كما أنزل

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، قال : « كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومعه أبو بكر - رضي الله عنه - ومن شاء الله من أصحابه - رضي الله عنهم - ؛ فمررنا بعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وهو يصلي ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ هَذَا ؟ » ، فقيل : عبد الله بن مسعود ، فقال : « إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ » ، فأثنى عبدُ الله على ربه وحمده ، فأحسن في حمده على ربه ، ثم سأله فأجمل المسألة ، وسأله كأحسن مسألة سألتها عبدُ ربه ، ثم قال : اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفذ ، ومرافقة محمد - صلى الله عليه وسلم - في أعلى عليين في جناتك جنان الخلد ، قال : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : «سَلْ تُعْطَ ، سَلْ تُعْطَ » مرتين ، فانطلقت لأبشره فوجدت أبا بكر - رضي الله عنه - قد سبقني ، وكان سباقاً بالخير ^(١) .

(١) [صحيح] ، أخرجه الحاكم وصححه ٣/٣٥٨ (٥٣٨٦) ووافقه الذهبي . وأخرجه بنحوه ابن حبان في صحيحه ٥/٣٠٣ (١٩٧٠) وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضاً برقم ١٥/٥٤٣ (٦٠٦٧) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط . وأخرجه أبو يعلى في مسنده ١/٢٦ (١٦) وحسنه محققه حسين سليم أسد . وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٥/٣٧٩ (٢٣٠١) .

وعن علقمة وقيس بن مروان ، قالوا : « جاء رجل إلى عمر - ﷺ - وهو بعرفة ، فقال يا أمير المؤمنين !، جئت من الكوفة ، وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب ، قال : فغضب عمر وانتفخ ، حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل ، فقال : ويحك !، من هو ؟، فقال : عبد الله بن مسعود - ﷺ - ، فما زال عمر يُطفئ ويُسري عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها ، فقال : ويحك !، والله ما أعلمه بقي أحد من الناس هم أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك ، كان رسول الله - ﷺ - لا يزال يسمر عند أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين ، وأنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه ثم خرج رسول الله - ﷺ - يمشي ونحن نمشي معه ، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد ، فقام رسول الله - ﷺ - يستمع قرآنه ، فلما كدنا نعرف الرجل ، قال رسول الله - ﷺ - : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ » ، قال ثم جلس الرجل يدعو ، فجلس رسول الله - ﷺ - يقول : « سَلْ تُعْطَهُ » ، قال عمر - ﷺ - : فقالت : والله لأغدون إليه فلاأبشرنه ، قال : فغدوت إليه لأبشره ، فوجدت أبا بكر - ﷺ - قد سبقني فبشره ، فلا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه . وفي رواية : « فأتى عمر عبد الله ليبشره فوجد أبا بكر خارجاً ، فقال : إن فعلت !، إنك لسباق بالخير » .^(١)



(١) [صحيح] ، أخرجه أبو يعلى ١٧٢/١ (١٩٤) وصححه حسين سليم أسد . وأخرجه الإمام أحمد ٢٥/١ (١٦٥) وصححه شعيب الأرنؤوط . وابن خزيمة ١٨٦/٢ (١١٥٦) وصححه الأعمش . والحاكم وصححه ٢٤٦/٢ (٢٨٩٣) ووافقه الذهبي . والطبراني في الكبير ٦٩/٩ (٨٤٢٠) - ٧٠/٩ (٨٤٢٢) . وغيرهم .

وأيضاً في روايةٍ أخرى ، قال رسولُ الله - ﷺ - : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ » .^(١)



وفي روايةٍ عن عبد الله بن مسعود - ﷺ - أن أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - بشراه أن رسول الله - ﷺ - ، قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ » .^(٢)



وعن أبي سعيد الخدري - ﷺ - ، عن النبي - ﷺ - ، قال : « مَنْ قَرَأَ الْكُتُوبَ كَمَا أَنْزَلْتُ كَأَنَّ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَمَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَالُ لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ » .^(٣)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ٦٨/١ (١٨٣ - ٣٨٠) . وابن ماجه ٤٩/١ (١٣٨) ولكنه قال : « مَنْ أَحَبَّ » وصححه محققه الشيخ الألباني . وأحمد (٣٥) وحسنه شعيب الأرنؤوط . ورواه أهل النقل عن عدد من الصحابة .

(٢) [حسن] ، أخرجه الإمام أحمد ٧/١ (٣٥) وحسنه شعيب الأرنؤوط .

(٣) [صحيح] ، أخرجه أبو نعيم في الفتن ٥٦٣/٢ (١٥٧٩ - ١٥٨٢) وقال المحقق أيمن محمد عرفة : إسناده جيد . والحاكم في المستدرک وصححه ٧٥٢/١ (٢٠٧٢) - ٥٥٧/٤ (٨٥٦٢) ووافق الذهبي . وذكره الألباني في الصحيحة ١٥٣/٦ (٢٦٥١) .

ديباجة هذا الحديث:

قوله : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ » ، أي : على نفس الطريقة والصفة والهيئة التي أنزل عليها من عند الله تبارك وتعالى ، من غير زيادة ، أو نقصان ، أو تغيير ، أو تبديل ، أو تحريف .

وقوله : « مَنْ قَرَأَ الْكُتُوبَ كَمَا أُنْزِلَتْ » ، أي : على نفس الطريقة والصفة والهيئة التي أنزلت عليها من عند الله تبارك وتعالى ، من غير زيادة ، أو نقصان ، أو تغيير ، أو تبديل ، أو تحريف .

وقوله : « كَمَا أُنْزِلَ » ، و « كَمَا أُنْزِلَتْ » ، يدل على أن القرآن لا يقرأ بالسجية ، ولا يؤخذ من الصحف ، بل إن قراءته علم قائم بذاته ، فيجب أن تُتلقى بالمشافهة من أفواه المشايخ .

* * *

خلاصة الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يشير إلى فضيلة ومكانة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وإلى مهارته في الأداء والتلاوة ، وإلى حسن صوته في القراءة أيضا ، حيث إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد وصفه بأنه يقرأ القرآن الكريم كما أنزل ، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحب أن يسمع قراءته ، كما ثبت في الصحيح .



وقوله : « كَمَا أُنزِلَ » ، و « كَمَا أُنزِلَتْ » ، فيه إشارة إلى أن قراءة القرآن على الصفة التي أنزل عليها : عبادة يحبها الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ويدعو إليها ، ويرغب فيها ، ويثيب عليها ، وهذا صريح على أصالة هذا العلم ، وأنه من العلوم الشرعية الضرورية التي جاء بها الإسلام الحنيف وأمر بها . وأن هذا هو هدي نبينا - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح - رضي الله عنهم - ، وأن الله عز وجل يأمر بذلك ، ويريده ، ويحبه ، ويرضاه ، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



الفصل الثالث والثلاثون

شرف الانتساب للقراء

عن ثابت البناني - رحمه الله تعالى - ، قال : « كُنَّا عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - ، فَكَتَبَ كِتَابًا بَيْنَ أَهْلِهِ ، فَقَالَ اشْهَدُوا يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ ، قَالَ ثَابِتٌ : فَكَأَنِّي كَرِهْتُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَمْزَةَ ! لَوْ سَمَّيْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، قَالَ : وَمَا بِأُسِّ ذَلِكَ أَنْ أَقُلَ لَكُمْ قُرَاءً ؟ ، أَفَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ إِخْوَانِكُمُ الَّذِينَ كُنَّا نُسَمِّيهِمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - الْقُرَاءَ ! ، فَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا سَبْعِينَ ، فَكَانُوا إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ انْطَلَقُوا إِلَى مُعَلِّمٍ لَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، فَيَدْرُسُونَ اللَّيْلَ حَتَّى يُضْبِحُوا ، فَإِذَا أَصْبَحُوا فَمَنْ كَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ اسْتَعَذَبَ مِنَ الْمَاءِ وَأَصَابَ مِنَ الْحَطَبِ ، وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ سَعَةٌ اجْتَمَعُوا فَاشْتَرَوْا الشَّاةَ وَأَضْلَحُوهَا ، فَيُضْبِحُ ذَلِكَ مُعَلِّقًا بِحَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَلَمَّا أُصِيبَ خُبَيْبٌ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَأَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَفِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ ، فَقَالَ حَرَامٌ لِأَمِيرِهِمْ : دَعْنِي فَلَأُخْبِرَ هَؤُلَاءِ أَنَّا لَسْنَا إِيَاهُمْ نُرِيدُ حَتَّى يُحْلُوا وَجْهَنَا ، وَقَالَ عَفَّانُ : « فَيُحْلُونَ وَجْهَنَا » ، فَقَالَ لَهُمْ حَرَامٌ : إِنَّا لَسْنَا إِيَّاكُمْ نُرِيدُ فَحَلُّوا وَجْهَنَا ، فَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ بِالرُّمْحِ فَأَنْفَذَهُ مِنْهُ ، فَلَمَّا وَجَدَ الرُّمْحَ فِي جَوْفِهِ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! فُرْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، قَالَ : فَانْطَوُوا عَلَيْهِمْ ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ أَنَسٌ - رضي الله عنه - : فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَجَدَ عَلَى شَيْءٍ قَطُّ وَجَدَهُ عَلَيْهِمْ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا

«أَبُو طَلْحَةَ يَقُولُ لِي هَلْ لَكَ فِي قَاتِلِ حَرَامٍ ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : مَا لَهُ ؟ ، فَعَلَّ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ ، قَالَ : مَهْلًا ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ » ، وَقَالَ عَفَّانُ : « رَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو عَلَيْهِمْ » ، وَقَالَ أَبُو النَّضْرِ : « رَفَعَ يَدَيْهِ » .^(١)

وأيضاً في رواية أخرى عن أنس - رضي الله عنه - ، قال : « جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالُوا أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ (الْقُرَاءُ) ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ ، يَتَعَلَّمُونَ ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - إِلَيْهِمْ فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا - صلى الله عليه وسلم - أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا ، - قَالَ - وَآتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسِ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ ، فَقَالَ حَرَامٌ : فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِأَصْحَابِهِ : « إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا - صلى الله عليه وسلم - : أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا » .^(٢)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه الإمام مسلم (١٤٧/٦٧٧) . أحمد (٢٧٠/٣) (١٣٨٨١) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه عبد بن حميد (١٢٧٦) ٣٨٠/١ . والإمام أحمد (١٣٧/٣) (١٢٤٢٥) ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

ديباجة هذا الحديث وخصالته:

إن هذا الحديث الشريف يشير إلى سمو مكانة القراء العاملين بالقرآن ، وأن الانتساب إليهم : شرف وكرامة يجب أن يحرص عليها كل إنسان مسلم؛ كما قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - : « وَكَانَ الْقُرَّاءُ : أَصْحَابَ مَجَالِسِ عَمَرَ - رضي الله عنه - وَمُشَاوَرَتِهِ ؛ كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا » .^(١)

وهذا الحديث الشريف يشير أيضا إلى مدى اهتمام الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - بالقرآن الكريم ، لدرجة أنهم كانوا يقضون الليل كله في مدارسته وتعلمه وتعليمه ، حتى إنه قد تفرغت طائفة منهم لذلك ، لا سيما أهل الصفة، حيث كان هؤلاء يتفرغون لتعلم القرآن والسنة والجهاد مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي كل هذا دلالة على أصالة هذا العلم ، وأنه من مهمات هذا الدين؛ وأن هذا هو هدي نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه، ويرضاه ، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



(١) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٤٣٦٦ - ٦٨٥٦) وغيره .

الفصل الرابع والثلاثون

القرآن يتعلمه ثلاثة

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ الْجَنَّةَ ، قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ يَبْهِي بِهِ ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُهُ لِلَّهِ » .^(١)

وعن عمران بن حصين -رضي الله عنه- ، قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، يقول : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ بِهِ ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِي أَقْوَامٌ يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ وَيَسْأَلُونَ النَّاسَ بِهِ » .^(٢)

وقال إياس بن عامر : قال لي علي -رضي الله عنه- : « يَا أَخَا عِكِّ ! إِنَّكَ إِذَا بَقِيتَ فَسَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ : صِنْفٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَصِنْفٌ لِلدُّنْيَا ، وَصِنْفٌ لِلْجِدَالِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَقْرَأُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَافْعَلْ » .^(٣)

* * *

- (١) [صحيح] ، أخرجه ابن المبارك في الزهد ١٦/١ (٦٣) . والبيهقي في شعب الإيمان ٥٣٤/٢ (٢٦٣٠) وصححه الألباني في الصحيحة ٥١٩/١ (٢٥٨) .
- (٢) [حسن] ، أخرجه ابن أبي شيبة ١٢٤/٦ (٣٠٠٠٢) . والطبراني في الكبير ١٦٦/١٨ (٣٧٠) - (٣٧١) . والبيهقي في الشعب ٥٣٣/٢ (٢٦٢٨) ٥٣٤/٢ (٢٦٢٩) . والترمذي ١٧٩/٥ (٢٩١٧) وحسنه الألباني ، وذكره في الصحيحة ٥١٧/١ (٢٥٧) وفي صحيح الجامع (٦٤٦٧) .
- (٣) كنز العمال ٤٥٨/٣ (٤١٩٢) وعزاه للأجري في أخلاق حملة القرآن والمقدسي في الحجة .

الديباجة:

قوله : « تَعَلَّمُوا » ، هذا الأمر للوجوب أو للاستحباب والأول أرجح لأنه الأصل وليس له صارف .

وقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَي : [تعلموا قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه ، أو كيفية العمل به] .

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَي : [تعلموا بعض ذلك] .
وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ أَي : [تعلموا كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام .

وقوله « فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُ لِلَّهِ » ، فيه دلالة على أن المراد بقوله أولا : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : « تعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته » .

وقوله : « يُبَاهِي بِهِ » ، من المباهاة والرياء ، أي : يقرأه ليرائي به الناس ، (أعاذنا الله وإياكم) .

وقوله : « يَسْتَأْكِلُ بِهِ » ، أي : يقرأه طلبا لعوض الدنيا وأعراضها ، (أعاذنا الله وإياكم) .

* * *

فقه الحديث:

قوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : تعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته ؛ وهذا يدل على الأحكام الشرعية الآتية :

(١) _ أن قراءة القرآن الكريم علم من العلوم الشرعية الضرورية التي جاء بها الإسلام وأمر بها .

(٢) _ أن للقرآن الكريم طريقة خاصة في أدائه وقراءته ، وهي ليست كالقراءة العادية .

(٣) _ أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجدة ؛ بل يجب أن يتعلم ويتلقى من أهله .

(٤) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية ، فيجب أن يقرأ القرآن كما ورد وصح عن النبي - ﷺ - ، من غير زيادة أو نقصان ، أو تبديل أو تغيير أو تحريف .

* * *

الخلاصة:

هذا الحديث الشريف يأمر بتعلم كيفية قراءة القرآن الكريم ، والإخلاص لله تعالى في قراءته وتعلمه وتعليمه ، فقد صنّف متعلمي القرآن إلى ثلاثة أصناف :

- (١) _ صنّف يباهي به ، أي : يقرأه ليرائي الناس به .
- (٢) _ صنّف يستأكل به ، أي : يقرأه من أجل عوض الدنيا وأعراضها .
- (٣) _ صنّف يتعلم القرآن الكريم ويقرأه لوجه الله تعالى .

وقد وصف النبي - ﷺ - الصنفين الأولين بأنهم يتعلمون ويقرءون من أجل عرض الدنيا ، ومن كان كذلك فليس له عند الله يوم القيامة أجر ، كما ورد عن عمر بن الخطاب - ؓ - ، قال : قال رسول - ﷺ - : « يَظْهَرُ الْإِسْلَامُ حَتَّى تَخْتَلِفَ التُّجَارُ فِي الْبَحْرِ ، وَحَتَّى تَحُوضَ الْخَيْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، يَقُولُونَ : مَنْ أَقْرَأَ مِنَّا ؟ ، مَنْ أَعْلَمَ مِنَّا ؟ ، مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا ؟ ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ فِي أَوْلِيكَ مِنْ خَيْرٍ ؟ ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَوْلِيكَ مِنْكُمْ ، وَأَوْلِيكَ هُمْ وَقَوْمُ النَّارِ » .^(١)

(١) [حسن] ، أخرجه الطبراني في الأوسط ٢٢١/٦ (٦٢٤٢) ، والبزار في مسنده ٤٠٥/١ (٢٨٣) عن عمر بن الخطاب - ؓ - ، وقال الهيثمي في المجمع ٤٤٢/١ (٨٧٧) : رجال البزار موثقون . وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٣٢/١ (١٣٥) . وأخرجه أيضا أبو يعلى في مسنده ٥٦/١٢ (٦٦٩٨) وابن المبارك في الزهد ١٥٣/١ (٤٥٠) عن العباس بن عبد المطلب - ؓ - مرفوعا ، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف ولكنه حسن بما قبله وقد ذكره شيخنا الألباني في الصحيحة ١٩/٩ (٣٢٣٠) .

وأما الصنف الثالث وهو الذي يتعلم القرآن الكريم ويقرأه لوجه الله تعالى ؛
فهذا الصنف هو الفائز في الدارين معا ، نسأل الله الكريم أن يجعلنا
وأبناءنا منهم ، آمين .



وهذا الحديث الشريف صريح الدلالة على أصالة هذا العلم ، وأنه من العلوم
الشرعية الضرورية الواجبة التي جاء بها الشرع الحنيف ، وأمر بها ،
وأوصى بال العناية بها ، ودعا إليها .



وكذلك فإن هذا الحديث الشريف يأمر بتعلم كيفية قراءة القرآن الكريم
وتلاوته، ويشير إلى فضيلة حفظه وقراءته ، وإلي ضرورة تلقيه بالمشافة،
وتعلمه وتعليمه ، ومدارسته ، وتخصيص الوقت لذلك ، وأن هذا هو
هدي نبينا - ﷺ - والسلف الصالح، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه، ويرضاه،
ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



الفصل الخامس والثلاثون

الأمر بتعلم قراءة القرآن الكريم والنهي عن الغلو فيها

عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- أنه كتب إلى عبد الرحمن بن شبل -رضي الله عنه-:
 أن عَلِّمَ الناس ما سمعت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فجمعهم ، فقال : إني
 سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، يقول : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ؛ فَإِذَا عَلِمْتُمُوهُ فَلَا
 تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلَا تَشْتَكِرُوا بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ
 التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ، أَلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ
 وَحَرَّمَ الرِّبَا ؟ ، قَالَ بَلَى ؛ وَلَكِنَّهُمْ يَخْلِفُونَ وَيَأْتُمُونَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْفُسَّاقَ
 هُمُ أَهْلُ النَّارِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ، وَمَنِ الْفُسَّاقُ ؟ ، قَالَ النِّسَاءُ ،
 قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ، أَلَسْنَ أُمَّهَاتِنَا وَبَنَاتِنَا وَأَخَوَاتِنَا ، قَالَ بَلَى
 وَلَكِنَّهُنَّ إِذَا أُعْطِينَ لَمْ يَشْكُرْنَ وَإِذَا ابْتُلِينَ لَمْ يَضْبِرْنَ ، ثُمَّ قَالَ : يُسَلِّمُ
 الرَّايِبُ عَلَى الرَّايِلِ ، وَالرَّايِلُ عَلَى الْجَالِسِ ، وَالْأَقْلُ عَلَى الْأَكْثَرِ ، فَمَنْ
 أَجَابَ السَّلَامَ كَانَ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ فَلَا شَيْءَ لَهُ » .^(١)

(١) [صحيح] ، أخرجه الإمام أحمد ٤٤٤/٣ (١٥٧٠٤) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح
 على شرط مسلم . وأخرجه أيضا البيهقي في السنن ١٧/٢ (٢١٠٣) . وعبد الرزاق في المصنف
 ٣٨٧/١٠ (١٩٤٤٤) . ومن طريقه عبد بن حميد في مسنده ١٢٩/١ (٣١٤) .

وفى رواية أخرى عن عبد الرحمن بن شبل - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ ؛ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَلَا تَسْتَكْبِرُوا بِهِ ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَقَالَ : إِنَّ النِّسَاءَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَلَسَنَ أُمَّهَاتِنَا وَأَخَوَاتِنَا وَبَنَاتِنَا ، فَذَكَرَ كَفْرَهُنَّ لِحَقِّ الرِّجَالِ ، وَتَضْيِعَهُنَّ لِحَقِّهِ » .^(١)

وأیضا فی رواية أخرى عنه، أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، يقول : « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلَا تَسْتَكْبِرُوا بِهِ » .^(٢)

وأیضا فی رواية أخرى عنه، أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، يقول : « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلَا تَسْتَكْبِرُوا بِهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ » .^(٣)

(١) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الأوسط ٨٦/٣ (٢٥٧٤) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه أحمد ٤٢٨ / ٣ - (١٥٥٦٨) ٤٤٤/٣ - (١٥٧٠٦ - ١٥٧٠٨) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط . وأبو يعلى في المفاريد ٤١/١ (٣٠) وفي المسند ٨٨/٣ (١٥١٨) وصححه محققه حسين سليم أسد . والبيهقي في الشعب ٥٣٢/٢ (٢٦٢٤) وقال الهيثمي في المجمع ١٢٨/٤ (٦٣٠٣) : رجال الجميع ثقات ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٣٢/١ (٢٦٠) .

(٣) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة ١٦٨/٢ (٧٧٤٢) . والإمام أحمد في المسند ٤٢٨ / ٣ (١٥٥٧٤) وصححه شعيب الأرناؤوط . وعبد الرؤوف المناوي في "فيض القدير شرح الجامع الصغير" ٦٤/٢ (١٣٣٨) . وصححه شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٣٢/١ (٢٦٠) . وانظر كنز العمال ٧٩٣/١ (٢٢٧٠) .

وأيضاً في رواية أخرى عنه، أنه سمع النبي - ﷺ - ، يقول : « اقرءوا القرآن، واعمَلُوا بِهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ » .^(١)



وأيضاً في رواية أخرى عنه، أنه سمع النبي - ﷺ - ، يقول : « اقرءوا القرآن، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِهِ » .^(٢)



وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، قَالَ : « اقرءوا القرآن ، لا تأكلُوا بِهِ ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَعَلَّمُوا الزُّهْرَاوِينَ : سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، وَآلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا يَجِيئَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا عَمَامَتَانِ أَوْ غَيَاتَانِ أَوْ كَفْرَقَيْنِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ ، يَشْفَعَانِ لِصَاحِبِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ » .^(٣)



- (١) [صحيح] ، أخرجه أبو بكر الشيباني في الأحاد والمثاني ١٣٥/٤ (٢١١٦) . وقال المناوي في "فيض القدير" (٦٥/٢) : قال ابن حجر في الفتح : سنده قوى . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١١٦٨) .
- (٢) [صحيح] ، أخرجه البزار في مسنده ٢٥٣/٣ (١٠٤٤) وقال الهيثمي في المجمع ٣٤٧/٧ (١١٦٨٣) : رواه أحمد والبزار بنحوه ورجال أحمد ثقات .
- (٣) [حسن] ، أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٤٤/٨ (٨٨٢٣) .

ديباجة هذا الحديث:

فقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَي : [تعلموا قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه ، أو كيفية العمل به] .
 وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَي : [تعلموا بعض ذلك] .
 وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَي : [تعلموا كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام ، والأمر للوجوب أو للاستحباب .
 والرَّاجِحُ أَنَّ الْمَعْنَى الْمُرَادُ هُوَ : [تعلموا قراءة القرآن ، وكيفية أدائه ، وتلاوته ، وحفظه] ؛ لدلالة السياق عليه .



وقوله : « اقرءوا القرآن » ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ ، أَي : [احفظوا القرآن] ، أو [اقرؤوه للعبادة] ، أو : [أكثروا من قراءته] ، أو : [اقرؤوه على المشايخ لتتعلّموا منهم كيفية قراءته وحفظه] .
 وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ هُوَ : [كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام ، والقراءة تكون : للحفظ ، أو للعلم ، أو للتعبد ، أو لكل ذلك جميعا ، والأمر للوجوب أو للاستحباب .
 والمَعْنَى الْمُرَادُ هُوَ : [اقرأوا القرآن على أهله لتتعلّموا منهم قراءته وتلاوته وحفظه] ؛ لدلالة السياق عليه .



الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقوله : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوا بِهِ » ، أي : تعلموا قراءته ، وأتقنوا حفظه ،
واتلوه حق تلاوته ، والتزموا أحكامه وشرائعه ، واجتنبوا نهيه وزجره .
وهذا الأمر للوجوب .



وقوله : « وَلَا تَسْتَأْذِنُوا بِهِ » ، أي : لا تكتموا به ، ولا تخصصوا به أنفسكم ، بل
علموه الناس ، وأفشوه ، وانشروه ، وادعوا إليه ، فعن عبد الله بن سعيد
قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : « يراد للعلم : الحفظ ، والعمل ،
والاستماع ، والإنصات ، والنشر » .^(١)



وقوله : « وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ » ، أي : لا تقرأوه من أجل عوض الدنيا وأعراضها ،
وهذا النهي للوجوب .



وقوله : « وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ » ، أي : أي لا تقرأوه من أجل الاستكثار والتوسع
من أعراض الدنيا ، وهذا النهي للوجوب أيضا .



وقوله : « فَإِذَا عَلِمْتُمُوهُ ؛ فَلَا تَغْلُوا فِيهِ » ، فالغلو : هو التكلف والتشدد وتجاوز
الحد ، وهذا النهي للوجوب أيضا .

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه الدارمي في سننه (٣٣٠) ، وقال حسين سليم أسد : اسناده صحيح .

أنواع الغلو في القرآن:

(١) _ الغلو في الإكثار من قراءته ؛ بحيث يشغله عن واجباته الضرورية ؛ فأما إذا لم يشغله عن واجباته الضرورية : فيستحب له الإكثار من قراءته قدر المستطاع .

(٢) _ الغلو في أحكام ترتيله وتجويده ؛ وذلك بأن يتجاوز القارئ حدود ما ورد فيها بزيادة أو نقصان ، كما قال أبر العلاء الهمداني في "التمهيد": تجويد القراءة وتحبيرها : هو تصحيح الحروف وتقويمها، وإخراجها من مخارجها، وترتيبها مراتبها ، وردها إلى أصولها، وإلحاقها بنظائرها ، من غير إفراط يؤدي إلى التشنيع ، ولا نقصان يُفضي إلى التضييع، بل بملاحظة الرفق والسهولة ، ومجانبة الشدة والصعوبة ، ومتى أَخْلَّ التالي بشيء من وصفها ؛ فقد أزالها عن حدها ووصفها .^(١)

(٣) _ الغلو في قراءته بسرعة مفرطة ، كما قال أبو عبيد : قوله « لَا تَغْلُوا فِيهِ » ، أي : لا تبالغوا في تلاوته بسرعة في أقصر مدة ، فإن ذلك ينافي التدبر غالبا ؛ ولهذا قابله بقوله : « وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ » ، أي : لا تتركوا تلاوته .^(٢)

(١) التمهيد في معرفة التجويد ، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني العطار ، تحقيق الدكتور

غانم قدوري الحمد - ص ٦٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٨٣ .

(٤) _ الغلو في طريقة نطقه والتلفظ به ، وذلك بأن يتشدد ويتعسف ويتكلف ويخرج عن حدود الطبيعة ؛ كما قال الإمام ابن الجزري في "النشر" : فليس التجويد بتمضيغ اللسان ، ولا بتقوير الفم ، ولا بتعويج الفك ، ولا بترعيد الصوت ، ولا بتمطيط الشد ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتظنين الغنات ، ولا بحصرمة الراءات ، قراءة تنفر عنها الطباع ، وتمجها القلوب والأسماع ، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة ، التي لا مضغ فيها ولا لوك ، ولا تعسف ولا تكلف ، ولا تصنع ولا تنطع ، لا تخرج عن طباع العرب ، وكلام الفصحاء ، بوجه من وجوه القراءات والأداء^(١) .

(٥) _ الغلو في التغني به ، بحيث يتجاوز ما تقضيه الفطرة وتسمح به السجية .

(٦) _ الغلو في تفسيره وتأويله ؛ وذلك بأن يتأوله على غير معناه ، أو يصرفه عن وجهه بلا صارف .



وأما قوله : « وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ » ، فالجفاء : ترك الشيء والبعد عنه ، والمراد أي : تعاهدوا القرآن بالقراءة والمدارسة ، ولا تتركوا قراءته ، ولا تبتعدوا عن تلاوته ، وفي هذا دليل على أن المراد بقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » أي : [تعلموا قراءته ، وكيفية أدائه ، وتلاوته] ، والأمر للوجوب أو للاستحباب .



(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/٢٤٠ .

وهذا هو التأويل والمعنى على أننا قد عاملنا كل رواية على أنها حديث مستقل، فتكون كل رواية حينئذٍ مستقلة بأحكامها وما تحتمله من التأويل والمعاني .

والصحيح : أن هذه عدة روايات لحديث واحد ؛ فتكون طريقة التعامل معها كالآتي :

- (١) _ فإذا أن نجتمع بينها ، ويُستنبط المعنى العام من مجموعها .
- (٢) _ وإما أن بعضها يفسر بعضا .
- (٣) _ وإما أن بعضها يخصص البعض أو يعممه .
- (٤) _ وإما أن بعضها يقيد البعض أو يطلقه . كما هو مقرر ، وإليك بيان ذلك . ←

* * *

المعنى على طريقة الجمع:

فقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، أي : [تعلموا قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه ، أو كيفية العمل به] ، أو : [تعلموا كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام .

وقوله : « اِقْرَأُوا الْقُرْآنَ » ، أي : [احفظوه] ، أو [اقرؤوه للعبادة] ، أو : [أكثروا من قراءته] ، أو : [اقرؤوه على المشايخ لتعلموا كيفية قراءته وتحفظوه] ، أو : [كل ذلك جميعا] .

ويكون معناه على طريقة الجمع بينها ، هو : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « اِقْرَأُوا الْقُرْآنَ » ، أي : [تعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه] .

* * *

المعنى على طريقة التفسير:

أولاً: تفسير الرواية الأولى للثانية:

فقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « اقرءوا الْقُرْآنَ » ، أي : [اقرؤوه لتعلموا قراءته
وكيفية أدائه وتلاوته من أهله العلماء به] .

* * *

ثانياً: تفسير الرواية الثانية للأولى:

فقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « اقرءوا الْقُرْآنَ » ، أي : [تعلموا قراءته وكيفية
أدائه وتلاوته من أهله العلماء به] .

* * *

المعنى على طريقة التخصيص:

أولاً: تخصيص الرواية الثانية للأولى:

فقوله في الرواية للأولى : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يُحتمل أن يكون المعنى المراد أي : [تعلموا قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه ، أو كيفية العمل به] ، أو : [تعلموا كل ذلك جميعاً] ؛ لأن اللفظ عام .

فيكون قوله في الرواية الثانية : « اقرءوا القرآن » ، مخصص لهذا العموم ويقصره على تعلم قراءته ، وكيفية أدائه ، وتلاوته .

ويكون معنى قوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « اقرءوا القرآن » ، على طريقة التخصيص هو أي : [تعلموا من علوم القرآن : علم قراءته ، وكيفية أدائه ، وتلاوته] .

* * *

ثانيا: تخصيص الرواية الأولى للثانية:

فقوله في الرواية الثانية : « اقرءوا القرآن » ، فالقراءة تكون للأغراض التالية :

- (١) _ قراءة للحفظ .
- (٢) _ قراءة للتعلم .
- (٣) _ قراءة للتعبد .
- (٤) _ قراءة للثبوت .
- (٥) _ قراءة للمدرسة .
- (٦) _ قراءة من أجل كل ذلك .

فعلى ذلك يحتمل أن يكون المراد هو ، أي : [احفظوا القرآن] ، أو [اقرؤوه على أهله لتتعلموا منهم كيفية قراءته] ، أو [اقرؤوه قراءة عادية للعبادة] ، أو [أكثروا من قراءته] ، أو [كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام .

ويكون قوله في الرواية الثانية : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، مخصص لهذا العموم ويقصره على القراءة على المشايخ بغرض تعلم قراءته ، وكيفية أدائه ، وتلاوته .

فيكون معنى قوله : « اقرءوا القرآن » ، « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، على طريقة التخصيص هو أي : [اقرؤوه على أهله ؛ لتتعلموا منهم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه] .

* * *

المراد من هذا التخصيص:

والمراد من هذا التخصيص : هو تحديد فرد معين من أفراد العموم لزيادة العناية والاهتمام به ، أو لمدحه والتنويه على فضله وشرفه ومكانته ؛ وذلك دون إهمال باقي أفراد العموم أو التقليل من شأنهم ؛ وذلك على حد قوله سبحانه : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّى السَّبِيلِ وَالسَّابِقِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، فإن نصب (الصابرين) على المدح أو الاختصاص لا يعني إهمال باقي أفراد العموم ؛ وأيضا كما في وقوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢] ، فإن نصب (المقيمين الصلاة) على المدح أو الاختصاص لا يعني أيضا إهمال باقي أفراد العموم .

* * *

من فقه هذا الحديث:

قوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، يدل على الأحكام الشرعية الآتية :

(١) _ أن قراءة القرآن الكريم علم من العلوم الشرعية الضرورية التي جاء بها الإسلام وأمر بها .

(٢) _ أن للقرآن الكريم طريقة خاصة في أدائه وقراءته ، وهي ليست كالقراءة العادية .

(٣) _ أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجدة ؛ بل يجب أن يُتَعَلَّم ويُتَلَقَى من أهله .

(٤) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية ، فيجب أن يقرأ القرآن كما ورد وضح عن النبي - ﷺ - ، من غير زيادة أو نقصان ، أو تبديل أو تغيير أو تحريف .

* * *

خلاصة هذا الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يأمر بتعلم قراءة القرآن الكريم وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه ، ويأمر بكثرة قراءته ، ويرغب فيها ، ويدعو إلى تخصيص الوقت لذلك ، ويحذر من الغفلة عنها ، ويأمر بالتزام شرائعه ، والعمل بأحكامه، والوقوف عند حدوده ، وينهى عن التشدد والغلو في قراءته وتأويله .

وأيضاً فإن هذا الحديث الشريف يشير إلى أنه ينبغي لقارئ القرآن الكريم أن يكون عالماً بما يقرأ ، ضابطاً له ، عاملاً به ، مخلصاً لله تعالى فيه ؛ كما قال علي بن أبي طالب - عليه السلام - : « يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ !، اَعْمَلُوا بِهِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ : مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلِمَ ، وَوَافَقَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يُخَالِفُ سَرِيرَتَهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَيُخَالِفُ عَمَلَهُمْ عِلْمَهُمْ ، يَجْلِسُونَ حَلَقًا فَيَبْهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّىٰ إِنْ أَحَدَهُمْ لَيَغْضَبُ عَلَىٰ جَلِيسِهِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَيَدْعُهُ ، أَوْلَيْكَ لَا تَضَعُدْ أَعْمَالَهُمْ فِي مُجَالَسَتِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ » .^(١)

وهذا الحديث الشريف يشير كذلك إلى أنه ينبغي لقارئ القرآن أن لا يتخذه وسيلة للتكسب أو السؤال ، وأن لا يقرأه من أجل أعراض الدنيا ، فإن القرآن الكريم أجل من ذلك وأعظم وأشرف ، كما سبق من حديث أبي سعيد الخدري - عليه السلام - ، أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول : « تَعَلَّمُوا

(١) ذكره الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/٨٩ (٣١) . وابن عساكر (٥٠٩/٤٢) . والهندي في كنز العمال ١٠/٤٨٧ (٢٩٤١٩) وعزاه لكتاب أنس العاقل لأبي

الغنائم والدارقطني من حديث ابن مردك.

→ الْقُرْآنَ ، وَسَلُّوا اللَّهَ بِهِ الْجَنَّةَ ، قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُهُ لِلَّهِ « (١) ، وقد أراد النبي - ﷺ - بذلك أن يحفظ للقرآن مكانته ، وللقارئ كرامته ، لأن في سؤال الناس ذلة وصغار ، ولا يليق بمن يحمل كتاب الله أن تكون له حاجة إلى الناس ؛ فإن كان القارئ معسرا ، فعليه أن يعمل ويكف نفسه وأهله ولا يكن عالة على غيره ، فعن سفيان الثوري قال : « قدمت البصرة فجلست إلى يوسف بن عبيد ، فإذا فتيان كأن على رءوسهم الطير ، فقلت : يا معشر القراء ، ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق ، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس ، فرفع يونس رأسه إليهم فقال : قوموا ، فلا أعلمن أحدا منكم جالسني حتى يكسب معاشه من وجهه ، فتفرقوا ، قال سفيان : فوالله ما رأيتهم عنده بعده « (٢) .

وعن أبي حماد المبارك قال : سمعت سفيان يقول لعلي بن الحسن فيما يوصيه : يا أخي عليك بالكسب الطيب وما تكسب بيدك ، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه ، فإن الذي يأكل أوساخ الناس مثله : مثل عليته لرجل وسفله ليس له ، فهو لا يزال على خوف أن يقع سفله وتهدم عليته ، فالذي يأكل أوساخ الناس ؛ يتكلم بهوى ، ويتواضع للناس مخافة أن يُمسكوا عنه ، ويا أخي إن تناولت من الناس شيئا ؛ قطعت لسانك ، وأكرمت بعض الناس ، وأهنت بعضهم ، مع ما ينزل بك يوم القيامة ، فان الذي يُعطيك شيئا من ماله فإنما هو وسخه - وتفسير

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٨٢/٦ .

→ وسخه : تطهير عمله من الذنوب - وإن أنت تناولت من الناس شيئا؛ إن دعوك إلى منكر أحببهم ، وإن الذي يأكل أوساخ الناس : كالرجل له شركاء في شيء ينبغي له أن يقاسمهم، يا أخي !، جوع وقليل من العبادة: خير من أن تشبع من أوساخ الناس وكثير من العبادة ، وقد بلغنا أن رسول الله - ﷺ - قال : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَخَذَ حَبْلًا ثُمَّ اخْتَطَبَ حَتَّى يَذْبَرَ ظَهْرَهُ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَقُومَ عَلَى رَأْسِ أَخِيهِ يَسْأَلُهُ أَوْ يَرْجُوهُ » ؛ وبلغنا أن عمر بن الخطاب - ﷺ - قال : « مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ حِمْدَنَا ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلِ اتَّهَمْنَا » ، وقال أيضا : « يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ !، ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ ، وَلَا تَزِيدُوا الْخُشُوعَ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ ، اسْتَبِقُوا فِي الْخَيْرَاتِ ، وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى النَّاسِ ، فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ » وقال علي بن أبي طالب - ﷺ - : « إِنَّ الَّذِي يَعِيشُ مِنْ أَيْدِي النَّاسِ كَالَّذِي يَغْرُسُ شَجْرَةً فِي أَرْضٍ غَيْرِهِ » فاتق الله يا أخي فإنه ما نال أحد من الناس شيئا إلا صار حقيرا ذليلا عند الناس ، والمؤمنون شهود الله في الأرض ، وإياك أن تكسب خبيثا فتنتفقه في طاعة الله، فإن تركه فريضة من الله واجبة ، وإنه طيب لا يقبل إلا طيبا، أرايت رجلا أصاب ثوبه بول ثم أراد أن يطهره فغسله ببول آخر .^(١)

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : ومن آداب حملة القرآن : أن يكون على أكمل الأحوال ، وأكرم الشمائل ، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه ، إجلالا للقرآن ، وأن يكون مصونا عن دنياه الاكتساب ، شريف النفس ، مترفع على الجبايرة والجفأة من أهل الدنيا ، متواضعا للصالحين وأهل الخير والمساكين ، وأن يكون متخشعا ذا سكينه ووقار،

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٧١٧ .

← فقد جاء عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، أنه قال : « يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ ! ، ازْفَعُوا رُءُوسَكُمْ ، فَقَدْ وَضَحَ لَكُمْ الطَّرِيقُ ، فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ، وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى النَّاسِ » ، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بِلَيْلِهِ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ ، وَبِنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ مُفْطِرُونَ ، وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ ، وَبِبُكَائِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ ، وَبِصَمْتِهِ إِذِ النَّاسُ يَخُوضُونَ ، وَبِخُشُوعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْتَالُونَ » . وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، قال : « إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ » ، وعن الفضيل بن عياض - رحمه الله - ، قال : « يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَلَّا تَكُونَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَحَدٍ : مِنَ الْخُلَفَاءِ فَمَنْ دُونَهُمْ » . وعنه أيضا ، قال : « حَامِلِ الْقُرْآنِ حَامِلِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْهُوَ مَعَ مَنْ يَلْهُوُ ، وَلَا يَسْهُوَ مَعَ مَنْ يَسْهُوُ ، وَلَا يَلْغُوَ مَعَ مَنْ يَلْغُوُ ، تَعْظِيمًا لِحَقِّ الْقُرْآنِ » .^(١)



(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ٢٨/١ .

الفصل السادس والثلاثون

فضل تَعَلَّمَ القرآن الكريم وحفظه والعمل به

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الْقُرْآنُ حِكْمَةٌ ، فَمَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي شَبَابِهِ : خُلِطَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، أَلَا وَإِنَّ النَّارَ لَا تَمَسُّ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ ، وَلَا جَسَدًا اجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ ، وَأَمَّنَ بِمُحْكَمِهِ ، وَوَقَّفَ عِنْدَ مُشَابِهِهِ ، وَلَمْ يَتَدَخَّرْ فِيهِ » .^(١)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه سهل بن عبد الله التستري - رحمه الله تعالى - في تفسيره - الجزء الأول - تفسير قول الله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٦٩] . قال : وأخبرني محمد بن سوار عن عُقَيْلِ بْنِ الزُّهْرِيِّ عن ابن المسيب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ... الحديث . وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الشيخين ما عدا محمد بن سوار خال سهل وهو مقبول كما في التقريب ٤٨٢/١ (٥٩٤١) . وللحديث أيضا طرق وشواهد كثيرة قد سبق ذكرها فهو بها صحيح إن شاء الله تعالى .

الديباجة:

قوله : « فَمَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي شَبَابِهِ » ، فيحتمل أن يكون المعنى المراد هو أي : [تعلم قراءته ، أو كيفية تلاوته ، أو حفظه ، أو علومه ، أو تفسيره ، أو أحكامه ، أو شرائعه ، أو كيفية العمل به] .
ويحتمل أن يكون المعنى المراد هو : [تعلم كل ذلك جميعا] ؛ لأن اللفظ عام .



وقوله : « أَلَا وَإِنَّ النَّارَ لَا تَمَسُّ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ » ، أي : حَفِظَ الْقُرْآنَ (حروفه وحدوده) ، وفيه دلالة على أن المراد بقوله أولا : « فَمَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ » أي : [تعلم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه] .



وقوله : « فِي شَبَابِهِ » ، أي في شبابه ؛ وهذا الحديث قد خرج على الغالب ؛ فهو لا يمنع الشيوخ والكهول من الدخول فيه أيضا كما سبق وبيننا في حديث المتتبع .



وقوله : « وَلَمْ يَتَّبِعْ فِيهِ » أي قرأه كما أنزله الله ، وَتَأَوَّلَهُ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ ، وعمل به على سنة رسوله - ﷺ - ، من غير زيادة أو نقصان أو تبديل أو تحريف أو تغيير .



الخلاصة:

إن هذا الحديث الشريف يُشير إلى فضيلة تَعَلُّم وحفظ القرآن الكريم ، وإن في قوله : « فَمَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي شَبَابِهِ خُلِّطَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ » ، دليل على أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجدة ، ولا يؤخذ من الصحف ، بل إن قراءته علم قائم بذاته ، فيجب أن يتلقى بالمشافهة من أهله ، لأن للقراءة قواعد وأحكام ومقادير لا يمكن ضبطها إلا بالتلقي والمشافهة ، وفي هذا أيضا محافظة على الأسانيد المتصلة بالنبي - ﷺ - ، حيث إن الإسناد شرط في صحة القراءة وقبولها ؛ والرواية بالإسناد شرف هذه الأمة ، وهو من خصائصها ومميزاتها التي ميزها الله بها .

وهذا الحديث الشريف يُشير أيضا إلى أصالة هذا العلم وإلى ضرورة تَعَلُّم القرآن الكريم وتعليمه ، وحفظه ، وتعاهده ، ومدارسته ، وتخصيص الوقت لذلك ؛ وأن هذا هو هدي نبينا - ﷺ - والسلف الصالح ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



* * *

الفصل السابع والثلاثون

فضل تعلم قراءة القرآن الكريم وكيفية تلاوته وحفظه

عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - ، قال : « اقرءوا القرآن ، وَلَا يَغُرَّنْكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَذِّبَ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ » .^(١)



وفي رواية أخرى عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - ، قال : « فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَذِّبَ قَلْبًا وَعَاءً لِلْقُرْآنِ » .^(٢)



- (١) [صحيح] ، أخرجه البخاري في أفعال العباد ٨٧/١ (٢٧٣) . وابن أبي شيبة في المصنف ١٣٣/٦ (٣٠٠٧٩) - ٧١٣٠ (٣٤٧٣٢) . وابن عساكر في تاريخه (٧/٦٢) . والدارمي ٥٢٤/٢ (٣٣١٩) ، وصححه حسين سليم أسد ، وصححه أيضا الحافظ ابن حجر في الفتح ٧٩/٩ . كلهم عن أبي أمامة - رضي الله عنه - ، موقوفا عليه من قوله - وقد صرح برفعه في رواية تمام بن محمد الرازي في فوائده ٢٦١/٢ (١٦٩٠) ولكن ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٠٦٨) . وأخرجه الديلمي ١٥٥/٥ (٧٧٩٨) عن عقبة بن عامر كما في جامع الأحاديث ١٩٦/١٧ (١٧٩٣٠) ولم أقف على إسناده ، وله حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالرأي .
- (٢) [حسن] ، أخرجه أحمد في الزهد ٢٠٤/١ . والدارمي ٥٢٤/٢ (٣٣٢٠) .

الديباجة:

قوله : « اقرءوا القرآن » ، فإن القراءة تكون للأغراض التالية :

- (١) _ قراءة للحفظ .
- (٢) _ قراءة للتعلم .
- (٣) _ قراءة للتعبد .
- (٤) _ قراءة للتثبيت .
- (٥) _ قراءة للمدارسة .
- (٦) _ قراءة من أجل كل ما مضى .

فعلى هذا فيحتمل أن يكون المعنى المراد من قوله : « اقرءوا القرآن » ، أي : [احفظوا القرآن] ، أو : [اقرؤوه على أهله لتتعلموا منهم كيفية قراءته] ، أو : [اقرؤوه للعبادة] ، أو : [أكثروا من قراءته] ، أو : [كل ذلك جميعاً] ؛ لأن اللفظ عام .

وقوله : « وَعَى الْقُرْآنَ » ، أي : حَفِظَ القرآن (حروفه وحدوده) ، وفيه دليل على أن المراد بقوله أولاً : « اقرءوا القرآن » ، أي : [اقرؤوه على أهله لتتعلموا منهم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه] ؛ ويدل عليه : أنه لو أراد به مجرد الحفظ لقال : (أَوْعُوا الْقُرْآنَ ..) فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَذِّبَ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ) ؛ ولو أراد به مجرد القراءة العادية لقال : (اقرءوا القرآن ..) فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَذِّبَ لِسَانًا قَرَأَ الْقُرْآنَ) ؛ فدل ذلك على أنها قراءة من أجل التعلم والحفظ .

الخلاصة:

أن هذا الأثر العظيم يشير إلى فضيلة تَعَلُّم القرآن الكريم وتعليمه ، وحفظه ،
وتعاهده ، ومدارسته ، وتخصيص الوقت لذلك ؛ وأن هذا هو هدي نبينا
ﷺ - والسلف الصالح ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويدعو
إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



* * *

الفصل الثامن والثلاثون

المد : وتوقيفية القراءة

عن مسعود بن يزيد الكندي ، قال : « كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - ﷺ - يُقْرَأُ الْقُرْآنَ رَجُلًا ، فَقَرَأَ الرَّجُلُ : ﴿ إِنَّمَا أَلْصَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ^(١) ، "مُرْسَلَةً" ، - أي : بقصر المد المتصل - ؛ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - ﷺ - : « مَا هَكَذَا أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ، قَالَ : كَيْفَ أَقْرَأَكَهَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ ، قَالَ : « أَقْرَأْنِيهَا : ﴿ إِنَّمَا أَلْصَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ، "فَمَدَّهَا" ^(٢) . » .

* * *

(١) [التوبة : ٦٠] .

(٢) [صحيح] ، أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢٥٧/٥ . وابن الجزري في النشر ٣٥٩/١ وقال : وهذا حديث حسن جليل حجة ونص في الباب ، (رجال إسناده ثقات) . وأخرجه الطبراني في الكبير ١٣٧/٩ (٨٦٧٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢١/٧ (١١٥٩٦) : رواه الطبراني (ورجاله ثقات) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥ / ٢٧٩ (٢٢٣٧) ، وقال : استدل به ابن الجزري على وجوب مد المتصل ، وذكر أن قصره غير جائز عند أحد من القراء . تنبيه : وقع في " الكبير " : (فمددها) وفي " النشر " : (فمدوها) وفي " المجمع " : (فمدوها) ، ولعل الصواب ما أثبتته . وقال السيوطي في الإتقان ٢٥٧/١ (١٢٥٨) : وهذا حديث حسن جليل حجة ونص في الباب ، (رجال إسناده ثقات) .

ديباجة هذا الأثر:

قوله : « فَقَرَأَ الرَّجُلُ : ﴿ إِنَّمَا أَلْصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ، " مُرْسَلَةً " ،
أي : قرأها بقصر المد المتصل .



وقوله : « فَمَدَّهَا » ، أي : قرأها بمد المتصل .



وقوله : « مَا هَكَذَا أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ، فأنكر ابن مسعود - ﷺ - على ذلك الرجل قراءته لكلمة (لِلْفُقَرَاءِ) بدون مد ، وهذا يدل على أن القراءة عندهم سنة متبعة ، وأنهم لا يُرخصون في مخالفتها ، وهذا الإنكار الصريح من ابن مسعود - ﷺ - ليس له تعلق بصحة المعنى أو فسادها ، أو إقامة الحروف أو كونها صحيحة لغة أم لا ؛ بل هو إنكار للصورة الصوتية التي سمعها من هذا الرجل ، لأنها مخالفة للصورة الصوتية التي سمعها من النبي - ﷺ - ؛ وهذا يدل أيضا على أن للقرآن الكريم صورة صوتية معينة ، يجب حفظها ، والمحافظة عليها ، ولا يجوز مخالفتها ، أو العدول عنها ؛ وكونه أنكر قراءة الرجل مع أنها صحيحة لغة ، ولم يتغير معنى الكلمة بالمد أو بالقصر ! ، فهذا يدل على أن القراءة توقيفية ، وأن القرآن لا يقرأ بالسجية ، وأنه لا يؤخذ من الصحف ، بل القراءة علم قائم بذاته ، يجب أن يتلقى بالمشاهدة من أفواه المشايخ .



خلاصة هذا الأثر:

إن هذا حديث جليل ، وأصل كبير ، يدل على أصالة هذا العلم ، وأنه من العلوم الشرعية الأساسية الضرورية ، ويدل أيضا على توقيفية قراءة القرآن الكريم ، وأنه لا يجوز لأحد أن يقرأه بسجيته دون توقيف ، وأن للقراءة قواعد وأحكام ، وللأحكام مقادير ، لا يمكن ضبطها إلا بالتلقي والمشافهة .

وهذا الحديث يشير كذلك إلى ضرورة تعلمه وتعليمه ، وتلقيه بالمشافهة ، وتعاهده ، ومدارسته ، وتخصيص الوقت لذلك ، وأن هذا هو هدي نبينا - ﷺ - والسلف الصالح ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



الفصل التاسع والثلاثون

قراءة المُعَلِّمِ على المُتَعَلِّمِ

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رضي الله عنه - ، قَالَ : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ !، إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ : بِاللهِ آمَنْتُ ، وَعَلَى يَدِكَ أَسَلَمْتُ ، وَمِنْكَ تَعَلَّمْتُ ، قَالَ : فَرَدَّ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - ، الْقَوْلَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَذُكِرْتُ هُنَاكَ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، بِاسْمِكَ وَنَسَبِكَ ، فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، قَالَ : فَأَقْرَأْ إِذَا يَا رَسُولَ اللهِ » .^(١)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي - رضي الله عنه - : « إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ : ﴿ لَمَّا كَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ ^(٢) ، قَالَ : وَسَمَانِي ؟ ، قَالَ نَعَمْ ، فَبَكَى » .^(٣)

- (١) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠٠/١ (٥٣٩) ، وفي الأوسط ١٤١/١ (٤٤٤) .
والضياء في المختارة ٤١/٤ (١٢٦٧) . وأبو نعيم في الحلية ٢٥١/١ . وقال الهيثمي في
المجمع ٥١٦/٩ (١٥٧٢٠) : رواه الطبراني في الأوسط بأسانيد ورجال الرواية الأولى وثقوا .
(٢) [سورة البينة : ١] .
(٣) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٣٥٩٨ - ٤٦٧٦) . ومسلم (٧٩٩/٢٤٦ - ١٢٢) وغيرهما .

وعبد الرحمن بن أبي عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « يَا أَبِي ، أَمَرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ كَذَا وَكَذَا » . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، وَقَدْ ذُكِرْتُ هُنَاكَ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ، فَفَرِحْتَ بِذَلِكَ ؟ ، قَالَ : وَمَا يَمْنَعُنِي ؟ ، وَاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، يَقُولُ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] ، قَالَ مُؤَمَّلٌ : قُلْتُ لِسُفْيَانَ : هَذِهِ الْقِرَاءَةُ فِي الْحَدِيثِ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ .^(١)

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أُعْرِضَ الْقُرْآنَ عَلَيْكَ » ، قَالَ : وَسَمَّانِي لَكَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؟ ، قَالَ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، هَكَذَا قَرَأَهَا أَبِي .^(٢)

وفي رواية أخرى : « أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - ، قَرَأَ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ » .^(٣)

(١) [حسن لغيره] ، أخرجه الإمام أحمد ١٢٣/٥ (٢١١٧٥) .

(٢) [حسن] ، أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٢٢/٥ (٢١١٧٤) وصححه شعيب الأرناؤوط .

(٣) [حسن] ، أخرجه أبو داود في سننه ٤٢٨/٢ (٣٩٨١) وقال الألباني : حسن صحيح .

وعن أبي حبة البدري - رضي الله عنه - ، قال : « لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ لَمَّا نَزَلَتْ ﴾ لَمَّا نَزَلَتْ ﴾ ، قَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا مُحَمَّدُ - رضي الله عنه - ، إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ أَبِي بَن كَعْبٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - رضي الله عنه - : يَا أَبَتِي !، إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُفْرِكَ هَذِهِ السُّورَةَ ، فَبَكَى ، وَقَالَ : ذُكِرْتُ ثَمَّةً ؟ ، قَالَ : نَعَمْ .^(١)



وفي رواية أخرى عن أبي حبة البدري - رضي الله عنه - ، قال : « لَمَّا أَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ - رضي الله عنه - أَبِي بَن كَعْبٍ ، قَالَ : إِنَّ جَبْرِيلَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفْرِكَ : ﴿ لَمَّا نَزَلَتْ ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، فَقَالَ أَبَتِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ !، أَوْ قَدْ ذُكِرْتُ هُنَاكَ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَبَكَى .^(٢)



(١) [حسن] ، أخرجه أحمد ٤٨٩/٣ (١٦٠٤٤) . وقال الهيثمي (٣١٢/٩) : فيه على بن زيد وهو حسن الحديث وبقيه رجاله رجال الصحيح . وابن قانع (٤٨/٣) . وابن أبي شيبه ١٣٩/٦ (٣٠١٣٥) ، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ٢٠/٤ (١٩٦٥) .

(٢) [حسن] ، أخرجه الطبراني في الكبير ٣٢٧/٢٢ (٨٢٣) . وأبو نعيم (٢٥٤/٦) ، وابن عساكر (٣٢٠/٧) .

ديباجة الحديث:

قال الإمام عاصم - رحمه الله - : « قلت للطفيل بن أبي بن كعب - رضي الله عنه - :
إلى أي معنى ذهب أبوك في قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له : « أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ
الْقُرْآنَ عَلَيْكَ » ؟ ، فقال : « لِيَقْرَأَ عَلَيَّ فَأَخَذُوا أَلْفَاظَهُ » .^(١)

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله تعالى - : معنى هذا الحديث : أن
يتعلم أبي - رضي الله عنه - قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ لا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يتعلم قراءة أبي - رضي الله عنه - .^(٢)

وقال الإمام أبو عمرو الداني - رحمه الله تعالى - : هذا الحديث أصل كبير في
وجوب معرفة تجويد الألفاظ وكيفية النطق بالحروف على هيئتها
وصيغتها ، وأن ذلك لازم لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه ، وواجب
على جميع المتصدرين أن يأخذوه ويعلموه ، اقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم -
في ما أمر به ، واتباعاً له ، على ما أكده بفعله ، ليكون سنة يتبعها القراء
ويقتدي بها العلماء .^(٣)

(١) السبعة لابن مجاهد ٥٥/١ .

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٧ . والسبعة لابن مجاهد ٥٥/١ .

(٣) التحديد في الإتيان والتجويد ص ٧٩ ، دراسة وتحقيق : الدكتور غانم قدوري الحمد ، طباعة
دار عمار بعمان ، سنة ٢٠٠٠م / ١٤٢١هـ .

وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - عند شرحه لهذا الحديث : وفي الحديث فوائد كثيرة . منها : استحباب قراءة القرآن على الحذاق فيه وأهل العلم به والفضل ، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ، ومنها : المنقبة الشريفة لأبِّي بقراءة النبي - ﷺ - ، ولا يُعَلَّمُ أحد من الناس شاركه في هذا ، ومنها : منقبة أخرى له بذكر الله تعالى له ، ونصه عليه في هذه المنزلة الرفيعة ، ومنها : البكاء للسرور والفرح مما يبشر الإنسان به ويعطاه من معالي الأمور .^(١)

وقال في موضع آخر : وأما بكاؤه ، فبكاء سرور واستصغار لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة وإعطائه هذه المنزلة . والنعمة فيها من وجهين : أحدهما كونه منصوباً عليه بعينه ، ولهذا قال : وسماني ؟ معناه نَصَّ عَلَيَّ بعيني ، أو قال اقرأ على واحد من أصحابك ، قال : بل سماك ، فتزايدت النعمة . والثاني قراءة النبي - ﷺ - ؛ فإنها منقبة عظيمة له لم يشاركه فيها أحد من الناس . وقيل : إنما بكى خوفاً من تقصيره في شكر هذه النعمة .

وأما تخصيص هذه السورة بالقراءة : فلأنها مع وجازتها : جامعة لأصول وقواعد ومهمات عظيمة ، وكان الحال يقتضي الاختصار .

واختلفوا في الحكمة في قراءته - ﷺ - على أبي - ﷺ - ، والمختار : أن سببها أن تستن الأمة بذلك في القراءة على أهل الإتقان والفضل ، ويتعلموا آداب القراءة ، ولا يأنف أحد من ذلك . وقيل : للتنبية على

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٨٦/٦ .

﴿جلالة أُبَيِّ - ﷺ - وأهليته لأخذ القرآن عنه ، وكان يعده رأساً وإماماً في إقراء القرآن ، وهو أجلّ ناشريه أو من أجلهم ، ويتضمن معجزة لرسول الله - ﷺ - .

وقال المازري ، والقاضي : وأما الحكمة في أمره بالقراءة على أُبَيِّ : هي أن يتعلم أُبَيُّ ألفاظه ، وصيغة أدائه ، ومواضع الوقوف ، وصنع النغم في نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره ، بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره، ولكلٍ ضرب من النغم مخصوص في النفوس، فكانت القراءة عليه ليتعلم منه .

وقيل : قرأ عليه لِيَسُنَّ عرض القرآن على حفاظه البارعين فيه ، المجيدين لأدائه ، وَلِيَسُنَّ التواضع في أخذ الإنسان القرآن وغيره من العلوم الشرعية من أهلها ، وإن كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك ، ولينبه الناس على فضيلة أُبَيِّ - ﷺ - في ذلك، ويحثهم على الأخذ منه ، وكان كذلك فكان بعد النبي - ﷺ - رأساً وإماماً مقصوداً في ذلك مشهوراً به . والله أعلم .^(١)

* * *

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢١/١٦ ، فتح الباري .

خلاصة هذا الحديث:

إن هذا حديث جليل ، وهو أصل كبير ، يدل على أصالة هذا العلم ، وشرف نسبته ، وأنه من العلوم الشرعية الأساسية الضرورية .



وهذا الحديث الشريف يدل أيضا على توفيقية قراءة القرآن الكريم ، وأنه لا يجوز لأحد أن يقرأ بسجيته دون توقيف ، وأن للقراءة قواعد وأحكام ومقادير ، لا يمكن ضبطها إلا بالتلقي والمشاهدة .



وهذا الحديث الشريف يشير كذلك إلى سنية تلقي القرآن الكريم بالمشاهدة ، وإلى ضرورة تعلمه ، وتعليمه ، ومدارسته ، وتخصيص الوقت لذلك ، وأن هذا هو هدي نبينا - ﷺ - والسلف الصالح ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



الفصل الأربعون

تعلم القراءة والعلم معا

روى الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « كَانَ الرَّجُلُ مِمَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ ؛ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ » .^(١)

وروى عطاء ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : « حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يَقْرَأُونَنَا : أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ مِنَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُحَلِّفُوا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا » .^(٢)

(١) [صحيح] ، أخرجه الطبري في تفسيره ٨٠/١ وقال الشيخ أحمد شاکر - رحمه الله - : هذا إسناد صحيح ، وهو موقوف على ابن مسعود ، ولكنه مرفوع معنى ، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الطبري في تفسيره ٨٠/١ وقال الشيخ أحمد شاکر - رحمه الله - : هذا إسناد صحيح متصل . أبو عبد الرحمن : هو السلمي ، واسمه عبد الله بن حبيب ، وهو من كبار التابعين ، وقد صرح بأنه حدثه الذين كانوا يقرئونه ، وأنهم "كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم" ، فهم الصحابة - رضى الله عنهم - ، وإبهام الصحابي لا يضر ، بل يكون حديثه مسندًا متصلًا .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : « كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ لَمْ نَتَعَلَّمْ مِنَ الْعَشْرِ الَّذِي نَزَلَتْ بَعْدَهَا حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِ » ، قيل لشريك : من العمل ؟ ، قال : نعم .^(١)



وفي رواية أخرى عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : « حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُفَرِّئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - : أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَشْرَ آيَاتٍ ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، قَالُوا : فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ » .^(٢)



وعن خالد بن دينار أبي خلدة ، عن أبي العالية ، قال : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ : خَمْسَ آيَاتٍ ، خَمْسَ آيَاتٍ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَأْخُذُهُ : خَمْسًا ، خَمْسًا » .^(٣)



- (١) [صحيح] ، أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه ٧٤٣/١ (٢٠٤٧) . والبيهقي في الشعب ٣٢٠/٢ (١٩٥٣) وفي السنن ١١٩/٣ (٥٠٧٢) .
- (٢) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة ١١٧/٦ (٢٩٩٢٩) . والإمام أحمد ٤١٠/٥ (٢٣٥٢٩) وحسنه شعيب الأرنؤوط . وهو صحيح بما قبله وما بعده .
- (٣) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١٧/٦ (٢٩٩٣٠) موقوفا على أبي العالية . وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٢٨٧/١٣ (٧٢٥٤) . والبيهقي في شعب الإيمان ٣٣١/٢ (١٩٥٩) عن علي أبي العالية عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

وفي رواية أخرى عن أبي خلدة ، قال : سمعت أبا العالية يقول : « تَعَلَّمُوا
الْقُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ ، فَإِنَّهُ أَحْفَظُ لَكُمْ ، فَإِنَّ جَبْرِيلَ - عليه السلام - كَانَ يَنْزِلُ بِهِ
خَمْسَ آيَاتٍ ، خَمْسَ آيَاتٍ » .^(١)



وفي رواية عن أبي خلدة ، عن أبي العالية ، قال : قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
: « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ : خَمْسَ آيَاتٍ = خَمْسَ آيَاتٍ ، فَإِنَّ جَبْرِيلَ - عليه السلام -
نَزَلَ بِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - خَمْسَ آيَاتٍ ، خَمْسَ آيَاتٍ » .^(٢)



وعن ابن عباس - رضي الله عنه - ، قال : « فَصَلَ الْقُرْآنَ مِنَ الذِّكْرِ فَوَضَعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ
فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَجَعَلَ جَبْرِيلُ - عليه السلام - يَنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -
﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان : ٣٢] ، قال سفيان : خَمْسَ آيَاتٍ وَنَحْوَهَا » .^(٣)



وعن أبي نضرة العبدى ، قال : « كَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ - رضي الله عنه - يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ:
خَمْسَ آيَاتٍ بِالْغَدَاةِ ، وَخَمْسًا بِالْعِشِيِّ ، وَيُحْبِرُ أَنَّ جَبْرِيلَ - عليه السلام - نَزَلَ
بِالْقُرْآنِ خَمْسَ آيَاتٍ ، خَمْسَ آيَاتٍ » .^(٤)



- (١) [صحيح] ، أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢١٩/٦ موقوفا على أبي العالية . وأخرجه الخطيب
في تاريخ بغداد والبيهقي في الشعب عن علي أبي العالية عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .
(٢) [صحيح] ، أخرجه الخطيب في تاريخه ٢٨٧/١٣ (٧٢٥٤) . والبيهقي في الشعب ٣٣١/٢
(١٩٥٩) . وذكره ابن كثير في مسند الفاروق (١٧٠/١) وقال في تفسيره ٧٥/١ : (سنده جيد) .
(٣) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ٣٢/١٢ (١٢٣٨١) . والنسائي في السنن ٧/٥
(٧٩٩١) . والحاكم في المستدرک ٦٦٧/٢ (٤٢١٦) وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص .
(٤) [سنده ضعيف] ، أخرجه ابن عساکر في تاريخه ٣٩١/٢٠ وفيه يحيى بن المتوكل ضعيف .

وعن أبي رجاء ، قال : « كَانَ أَبُو مُوسَى - ﷺ - يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ : خَمْسَ آيَاتٍ ،
خَمْسَ آيَاتٍ » .^(١)



وعن غنيم بن قيس ، قال : « كَانَ أَبُو مُوسَى - ﷺ - يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ : فِي هَذَا
الْمَسْجِدِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رِجْلَيْهِ ، يُعَلِّمُنَا : آيَةً ، آيَةً » .^(٢)



وعن إسماعيل - ابن أبي خالد - ، قال : « كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُعَلِّمُنَا : خَمْسًا ،
خَمْسًا » .^(٣)



وعن أبي بكر بن عياش ، قال : « قَالَ لِي عَاصِمٌ : أَقْرَأْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ آيَةً ، آيَةً ،
فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يَثْبُتَ فِي قَلْبِكَ وَتَقْوَى عَلَيْهِ ، قَالَ : فَخَشِيتُ أَنْ يَمُوتَ
الشَّيْخُ وَلَا أَشْتَكِمُلُ قِرَاءَتِي ، قَالَ : فَتَحَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ كُلَّ
يَوْمٍ : خَمْسَ آيَاتٍ ، خَمْسَ آيَاتٍ » .^(٤)



- (١) [سنده ضعيف] ، أخرجه الذهبي في معرفة القراء الكبار ٥٩/١ .
(٢) [سنده ضعيف] ، أخرجه ابن بطه في الإبانة ٣١١/١ (١٣٣٢) . والفريابي في القدر ٥١/١ .
(٣) [صحیح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١٧/٦ (٢٩٩٣١) .
(٤) [صحیح] ، أخرجه الإمام أحمد في العلل ٢٠٤/٣ (٤٨٧٧) .

ديباجة هذه الآثار:

قوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا عَشْرَ آيَاتٍ » ، « تَعَلَّمْ عَشْرَ آيَاتٍ »
 « يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ » ؛ فيحتمل أن يكون المعنى المراد هو أي : [تَعَلَّمْ
 قراءتها ، أو كيفية تلاوتها ، أو حفظها ، أو علومها ، أو تفسيرها ، أو
 أحكامها ، أو شرائعها ، أو كيفية العمل بها] .
 ويحتمل أيضا أن يكون المعنى المراد هو : [أنهم تَعَلَّمُوا بعض هذه
 الأمور المذكورة] .

ويحتمل كذلك أن يكون المعنى المراد هو : [أنهم تَعَلَّمُوا كل ذلك] ؛
 لأن اللفظ عام .

وقوله : « فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ
 وَالْعَمَلِ » ، وأيضا قوله : « لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ ، وَالْعَمَلَ
 بِهِنَّ » ، وقوله : « فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، وَالْعَمَلَ جَمِيعًا » ... إلخ :

ففي كل هذا دليل على أن المعنى المراد بقوله أولا : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ،
 « كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا عَشْرَ آيَاتٍ » ، « تَعَلَّمْ عَشْرَ آيَاتٍ » ، « يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ »
 هو : [تَعَلَّمْ قراءتها ، وكيفية أدائها ، وتلاوتها ، وحفظها] .

وقوله : « حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا » ، وقوله أيضا : « حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا »
 أي : [يعلموننا قراءة القرآن الكريم وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه] .

وفيه دليل أيضا على أن المراد بقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « كُنَّا إِذَا
 تَعَلَّمْنَا عَشْرَ آيَاتٍ » ، « تَعَلَّمْ عَشْرَ آيَاتٍ » ، « يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ » ؛ هو :
 [تعلم قراءتها ، وكيفية أدائها ، وتلاوتها ، وحفظها] .



وقوله : « يَقْرِئُونَ » ، أي : يتعلمون قراءة القرآن وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه
 من النَّبِيِّ - ﷺ - .

وفيه دليل أيضا على أن المراد بقوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « كُنَّا إِذَا
 تَعَلَّمْنَا عَشْرَ آيَاتٍ » ، « تَعَلَّمْ عَشْرَ آيَاتٍ » ، « يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ » ؛ هو :
 [تعلم قراءتها ، وكيفية أدائها ، وتلاوتها ، وحفظها] .



وفي هذا كله دليل على أن تلقي القرآن الكريم سنة عن النَّبِيِّ - ﷺ - والسلف
 الصالح ؛ وهذا يدل على أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجدة ، وأنه لا
 يؤخذ من الصحف ، بل قراءة القرآن علم قائم بذاته ، ويجب أن يتلقى
 بالمشافهة من أفواه المشايخ .

* * *

من فقه هذا الأثر:

قوله : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ » ، « تَعَلَّمْ عَشْرَ آيَاتٍ » ، « يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ » ؛ يدل على الأحكام الآتية :

(١) _ أن قراءة القرآن الكريم علم من العلوم الشرعية الضرورية التي جاء بها الإسلام ، وأمر بها .

(٢) _ أن للقرآن الكريم طريقة خاصة في أدائه وقراءته ، وهي ليست كالقراءة العادية .

(٣) _ أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجدة ؛ بل يجب أن يتعلم ويتلقى من أهله .

(٤) _ أن قراءة القرآن الكريم توقيفية ، فيجب أن يقرأ القرآن كما ورد وضح عن النبي - ﷺ - ، من غير زيادة أو نقصان ، أو تبديل أو تغيير أو تحريف .

(٥) _ أن تلقي قراءة القرآن الكريم ومعرفة كيفياتها : سنة عن النبي - ﷺ - والسلف الصالح .

* * *

خلاصة هذه الآثار:

إن هذه الآثار العظيمة تشير إلى فضيلة الصحابة الكرام - ﷺ - وأنهم كانوا حريصين على تلقي القرآن من رسول الله - ﷺ - وتعلم ما فيه من العلم والعمل معا؛ وفي هذا دلالة على أصالة هذا العلم، وأنه من العلوم الشرعية الأساسية الضرورية الواجبة.

وتدل هذه الآثار العظيمة أيضا على توقيفية قراءة القرآن الكريم، وأنه لا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن بسجيته من دون توقيف، لأن للقراءة قواعد وأحكام وكيفيات ومقادير لا يمكن ضبطها إلا بالتلقي والمشافهة.

وتدل هذه الآثار العظيمة كذلك على ضرورة تلقي وتعلم قراءة القرآن الكريم وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه وعلمه والعمل به وتخصيص الوقت لذلك، وأن هذا هو هدي نبينا - ﷺ - والسلف الصالح، وأن الله يريد ذلك، ويحبه، ويرضاه، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه.



الفصل الواحد والأربعون

اقْرءُوا فكلُّ حَسَنٌ

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - ، قال : « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَفِينَا الْعَجْمِيُّ ، وَالْأَعْرَابِيُّ ، قَالَ : فَاسْتَمَعَ ، فَقَالَ : اقْرءُوا فكلُّ حَسَنٌ ، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يَقَامُ الْقِدْحُ ، يَتَعَجَّلُونَهُ ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » .^(١)

وعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - ، قال : « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَيُقْرئُهُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ ، فِيكُمْ الْأَسْوَدُ وَالْأَحْمَرُ ، اقْرءُوا الْقُرْآنَ ، اقْرءُوا الْقُرْآنَ ، اقْرءُوا الْقُرْآنَ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَقْوَامٌ يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ ، يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ كَمَا يَقَامُ السَّهْمُ ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » .^(٢)

(١) [صحيح] ، أخرجه أحمد ٣/٣٩٧ (١٥٣٠٨) وصححه محققه شعيب الأرنؤوط . والبغوي في شرح السنة ١/٤٤٥ . ومحمد بن عبد الواحد بن محمد الأصبهاني في مجلس إملاء أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد الدقاق في رؤية الله تبارك وتعالى ١/١١٠ (٢٢٩) . وأبو داود ١/٢٨٠ (٨٣٠) ، وصححه محققه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/١٥٦ (٧٤٠) ، وفي "السلسلة الصحيحة" ١/٥٢٠ (٢٥٩) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ٦/٢٠٦ (٦٠٢٢) .

وفي رواية أخرى عن سهل - رضي الله عنه - ، قال : « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمًا وَنَحْنُ نَقْتَرِي ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ، كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ ، وَفِيكُمْ الْأَحْمَرُ ، وَفِيكُمْ الْأَبْيَضُ ، وَفِيكُمْ الْأَسْوَدُ ، أَقْرَأُوهُ ، قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ أَقْوَامٌ يَقِيمُونَهُ كَمَا يَقَوْمُ السَّهْمُ ، يَتَعَجَّلُ أَجْرُهُ ، وَلَا يَتَأَجَّلُهُ » .^(١)



وفي رواية أخرى عن سهل - رضي الله عنه - ، قال : « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَنَحْنُ يَقْرَأُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ، كِتَابٌ وَاحِدٌ ، فِيكُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ ، أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، أَقْرَأُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَقْوَامٌ يَقِيمُونَهُ ، كَمَا يَقَامُ السَّهْمُ ، وَلَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » .^(٢)



وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ، أَنَّهُ خَرَجَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : « إِنَّ فِيكُمْ خَيْرًا مِنْكُمْ ، يَعْنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، وَتَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فِيكُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ ، وَسَيَأْتِي زَمَانٌ يَقْرَأُونَ فِيهِ الْقُرْآنَ ، يَتَثَقَّفُونَهُ كَمَا يَتَثَقَّفُ الْقَدْحُ ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُمْ ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهَا » .^(٣)



- (١) [صحيح] ، أخرجه ابن حبان في "صحيحه" ٣٦/٣ (٧٦٠) - ١٢٠/١٥ (٦٧٢٥) وصححه شعيب الأرنؤوط . وأبو داود ٢٨٠/١ (٨٣١) ، وقال الألباني : حسن أو صحيح .
 (٢) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠٦/٦ (٦٠٢٢) .
 (٣) [حسن لغيره] ، أخرجه أحمد ١٥٥/٣ (١٢٦٠٣) - ١٤٦/٣ (١٢٥٠٦) .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وأخرج الإمام أحمد عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال :
 « دَخَلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - الْمَسْجِدَ ؛ فَإِذَا فِيهِ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، قَالَ :
 اقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ
 الْقَدْحِ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » .^(١)

وفي رواية عن محمد بن المنكدر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اقْرَأُوا
 الْقُرْآنَ وَسَلُّوا اللَّهَ بِهِ ، فَإِنَّهُ سَيَقْرَأُهُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقَدْحِ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا
 يَتَأَجَّلُونَهُ » .^(٢)

وفي رواية أخرى عن محمد بن المنكدر ، قال : « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
 عَلَى قَوْمٍ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ : اقْرَأُوا ، فَكُلُّ كِتَابِ اللَّهِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ
 قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقَدْحِ وَيَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » .^(٣)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه أحمد ٣٥٧/٣ (١٤٨٩٨) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط . وحسنه

الألباني في صحيح الجامع (١١٦٧) .

(٢) [صحيح مرسل] ، أخرجه البيهقي في الشعب ٥٣٨/٢ (٢٦٤١) . وابن أبي شيبة ١٢٥/٦

(٣٠٠٠٤) هكذا مرسلا ، ووصله غيرهما .

(٣) [صحيح مرسل] ، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٨٢/٣ (٦٠٣٤) هكذا موقوف على محمد

بن المنكدر ، ووصله غيره .

ديباجة الحديث:

قوله : « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - » ، أي : خرج علينا من أحد بيوته ،
ونحن في المسجد .

وقوله : « وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ » ، أي : [ونحن نتعلم قراءة القرآن وكيفية أدائه
وتلاوته وحفظه] ، ويدل عليه قرينة الحال التي كانوا عليها ، والسياق ،
ولتفسيره بذلك في الروايات الأخرى .

وقوله : « دَخَلَ النَّبِيُّ - ﷺ - الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا فِيهِ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ » ، أي :
[يتعلمون قراءة القرآن وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه] ، ويدل عليه قرينة
الحال التي كانوا عليها ، والسياق ، ولتفسيره بذلك في الروايات الأخرى
أيضا .

وقوله : « وَيُقْرَأُ بَعْضُنَا بَعْضًا » ، « وَنَحْنُ يُقْرَأُ بَعْضُنَا بَعْضًا » ، أي : [يعلم
بعضنا بعضا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه] ، وهذه الجملة تفسر ما
قبلها .

وقوله : « وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ » ، أي : [نتعلم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته
وحفظه] ، وهذه الجملة تفسر ما قبلها أيضا .

وقوله : « إِنَّ فِيكُمْ خَيْرًا مِنْكُمْ » ، أي : هو النبي - ﷺ - ، كما فُسر بذلك في الحديث ، ولأنه ليس هناك من هو خير من الصحابة - ﷺ - في عصرهم والعصور التي بعدهم غير النبي - ﷺ - ، وقد يراد به النبي - ﷺ - وأئمة الصحابة وعلمائهم وخيارهم ، ويؤيده ما ورد في بعض طرق الحديث في مسند عبد الله بن المبارك ، قال : « وَفِيكُمْ الْأَخْيَارُ » ، بصيغة الجمع هكذا .

وقوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » ، أي : على نعمة القرآن ، واجتماع الصحابة على قراءته وتعلمه وتعليمه ، وعدم اختلافهم فيه ، رغم تعدد قراءاته واختلاف حروفه .

وقوله : « كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ » ، أي : هو كتاب واحد ، ذو قراءات متعددة ، فكل قراءة = جزء منه ، والكتاب هو مجموع هذه القراءات ، وهي يكمل بعضها بعضا ، ويفسر بعضها بعضا ، ويخصص بعضها بعضا ، وليس بينها تضاد ولا تضارب في المعنى ، بل كله حسن ، وكله منزل من عند الله تبارك وتعالى .

وقوله : « وَتَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » ، أي : تقرؤونه للتعبد ، أو لتعلم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته ، أو للمدارسة ، أو للحفظ ، أو للتثبيت ، أو لكل ذلك جميعا .

وقوله : « فَيَكُمُ الْأَحْمَرُ » ، فهو وصف لحمرة البشرة ، وهم عامة الروم ، ومنهم صهيب - ﷺ - ، وقد يشاركهم غيرهم في حمرة البشرة ؛ كما هو الحال في بعض العرب والفرس والترك .



وقوله : « وَالْأَبْيَضُ » ، أي : إشارة إلى بياض البشرة ، وهو لون عامة العرب والفرس والترك .



وقوله : « وَالْعَرَبِيُّ » ، أي : هم العرب خاصة وهم أبناء عدنان بن إسماعيل ، ويعرب بن قحطان .



وقوله : « وَالْعَجَمِيُّ » ، قال الطَّبِيُّ : هُم غَيْرُ الْعَرَبِيِّ ، أي : مِنَ الْفَارِسِيِّ ، وَالرُّومِيِّ وَالْحَبَشِيِّ ، كسلمان ، وصهيب ، وبلال .



وقوله : « وَفِيكُمُ الْأَسْوَدُ » ، أي : إشارة إلى سمار البشرة ، وهو لون عامة أهل الحبشة والسودان ، كبلال وغيره ، وقد يشاركهم غيرهم .



وقوله : « وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ » ، قال الطَّبِيُّ : الْأَعْرَابُ - هم ساكنو البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار ولا يدخلونها إلا لحاجة ، وقد يراد به الْعَرَبُ عموماً ؛ لأنه ورد في مقابل الأعجمي .



وقوله : « اقرءوا الْقُرْآنَ » ، أي : اقرءوه للتعبد ، أكثروا من قراءته أو ، أو اقرءوه لتعلم قراءته وكيفية أدائه وتلاوته ، أو اقرءوه للمدارسة ، أو للحفاظ ، أو للثبت ، أو لكل ذلك جميعا ؛ والمراد ، أي : [اقرءوه لتعلموا قراءته وكيفية أدائه وتلاوته وحفظه] ، وذلك لدلالة القرينة عليه ، وهي الحالة التي كانوا عليها أثناء صدور هذا الأمر ، إذ كانوا يتعلمون قراءة القرآن في المسجد ، كما صرح هو بقوله : « وَنَحْنُ نَقْرَأُ » ، وقوله : « وَيُقْرَأُ بَعْضُنَا بَعْضًا » ، وقوله : « وَنَحْنُ يُقْرَأُ بَعْضُنَا بَعْضًا » ، وهذا على حد قوله - ﷺ - : « خَيْرُكُمْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَأَقْرَأَهُ » ^(١) ، أي : [خيركم من تعلم قراءته ، وعلمها لغيره] ، والأمر في قوله : « اقرءوا الْقُرْآنَ » للوجوب أو الاستحباب .



وقوله : « اقرءوا الْقُرْآنَ ، اقرءوا الْقُرْآنَ ، اقرءوا الْقُرْآنَ » ، هذا التكرار يقوي القول بالوجوب ، وفائدة هذا التكرار : إما لتأكيد الأمر الأول ، وإما أنهم كانوا جماعات متعددة ويتعلمون القرآن بعدة وجوه مختلفة ، أي : على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم ، بحيث إن كل واحد منهم كان يتعلم بقراءة غير قراءة صاحبه ، فأراد النبي - ﷺ - أن يُصَوِّبَ كل قراءة من القراءات التي كانوا يقرءونها ؛ فكرر الأمر بالقراءة ليتناسب تكرار الأمر مع تعدد المجموعات أو القراءات التي تقرء ، ثم صوبها جميعا بقول : « اقرءوا ، فَكُلُّ حَسَنٌ » ، ويدل عليه قوله : « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَيُقْرَأُ بَعْضُنَا بَعْضًا » .



(١) [حسن] ، سبق تخريجه .

معنى قوله: « اقرءوا فكلُّ حسنٌ »:

إن مفعول قوله: « اقرءوا » هو (القرآن) أو (كتاب الله) ؛ أي « اقرءوا القرآن »
أو « اقرءوا كتاب الله » .

والتنوين في قوله: « فكلُّ » ، عوض من المضاف إليه ، أي : « اقرءوا ، فكلُّ
قراءته حسنٌ » أي : (كُلُّ قِرَاءَتِهِ عَلَى أَيِّ حَرْفٍ مِنَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الَّتِي
أُنزِلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ حَسَنٌ) ؛ على حد قوله تعالى : ﴿ كُلُّ ءَامَنٌ ﴾ ، أي :
كل واحد منهم آمن .

وليس المراد بالقراءة هنا : هي قراءة الأفراد الموصوفين (العربي والعجمي
والرومي) كيفما جاءت وعلى أي وجه كانت ؛ بل المراد بالقراءة هنا:
القراءات القرآنية التي أنزل عليها القرآن ، والتي هي في مجموعها:
كتاب الله عز وجل ؛ كما أشار إلي ذلك في رواية محمد بن المنكدر
بقوله : « اقرءوا : فكلُّ كتاب الله » .

فعلى هذا يكون معنى قوله : « اقرءوا ، فكلُّ حسنٌ » ، أي : [اقرءوا القرآن ،
فكلُّ قراءته (على أي حَرْفٍ مِنَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الَّتِي أُنزِلَ عَلَيْهَا) حَسَنٌ ؛
لِأَنَّ الْكُلَّ كِتَابُ اللَّهِ] .

الكتاب الأول - الفصول من الأصول

وليس المراد من قوله : « أَقْرَأُوا ، فَكُلُّ حَسَنٍ » - كما ظن بعضهم - هو تحسين قراءة العربي أو العجمي أو الرومي كيفما جاءت وعلى أي وجه كانت ؛ فمن ظن ذلك فقد أخطأ الفهم ، وجانب الصواب ، وخالف القوم ، وأحدث قولاً لم يُسبق إليه .

قلت : وقد يكون التنوين عوض من مفعول قوله : « أَقْرَأُوا » ، وهو : (القرآن)، أي : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، فَكُلُّ الْقُرْآنِ حَسَنٌ » .

وليس معنى هذا أن هناك أكثر من قرآن أو أن القرآن متعدد ؛ بل إن كتاب الله واحد ؛ وأما المتعدد فهو قراءته ؛ والكل كتاب الله ؛ كما صرح النبي - ﷺ - بذلك في نفس الحديث بقوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ ، كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ » ؛ وأما قراءته فهي المتعددة ؛ والقرآن هو مجموع هذه القراءات .

فالمراد بالقرآن أولاً : (كتاب الله) ؛ وأما المراد بالقرآن ثانياً : (قراءته)، وذلك على حد قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾^(١) ، أي : قراءة الفجر .

وعلى هذا يكون معنى قوله : « أَقْرَأُوا ، فَكُلُّ حَسَنٍ » ، أي : [أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، فَكُلُّ الْقِرَاءَةِ (عَلَى أَيِّ حَرْفٍ مِنَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الَّتِي أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ) حَسَنٌ ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ كِتَابُ اللَّهِ] ؛ وهو نفس الوجه الأول .

(١) [الإسراء : ٧٨] .

وليس المراد من قوله : « أَقْرَأُوا ، فَكُلُّ حَسَنٍ » - كما ظن بعضهم - هو إباحة القراءة للعربي أو العجمي أو الرومي أن يقرؤوا القرآن كيفما شاؤوا أو كيفما تيسر على ألسنتهم من لغاتهم ولهجاتهم المختلفة دون توقيف، فهذا لم يرد عن أحد أبداً، بل ورد خلافاً، فإن الله عز وجل لم يأذن لأحد حتى نبيه - ﷺ - وهو العربي الفصيح والقرشي الصريح: أن يقرأ القرآن كيفما شاء دون توقيف، فقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَآتَبِعْ قُرْآنَهُ ﴾، قال ابن عباس - رضى الله عنه - في تفسيرها: « فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا آتَاهُ جِبْرِيلُ - رضى الله عنه - اسْتَمَعَ ؛ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ - رضى الله عنه - قَرَأَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - كَمَا قَرَأَهُ »^(١)، وفي رواية: « قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ »^(٢)، وفي رواية: « قَرَأَهُ كَمَا أَقْرَأَهُ »^(٣).

وعن كعب بن مالك الأنصاري - رضى الله عنه -، قال: « كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ - رضى الله عنه - ، فَقَرَأَ رَجُلٌ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ : [عَتَى حِينَ] ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ - رضى الله عنه - : مَنْ أَقْرَأَكَ هَكَذَا ؟ ، قَالَ : (ابْنُ مَسْعُودٍ - رضى الله عنه -) ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ - رضى الله عنه - : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، وَجَعَلَهُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، أَقْرَأِ النَّاسَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ ، وَلَا تُقْرِئْهُمْ بِلُغَةِ هَذَيْلٍ ، وَالسَّلَامُ »^(٤).

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) [صحيح] ، سبق .

(٣) [صحيح] ، سبق .

(٤) [صحيح] ، أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ٤٦٧/١ ، ١٧٦/٢ . والخطيب في تاريخ بغداد

. ٤٠٦/٣ . وابن عبد البر في التمهيد ٢٧٨/٨ .

وأيضاً فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن خلود العصري ، قال : « لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا سَلْمَانُ - ﷺ - ، أَتَيْنَاهُ لِيَسْتَقْرِنَنَا الْقُرْآنَ ، فَقَالَ : الْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ ، فَاسْتَقْرِنُوهُ رَجُلًا عَرَبِيًّا ، فَاسْتَقْرَأْنَا زَيْدَ بْنَ صَوْحَانَ - ﷺ - ، فَكَانَ إِذَا أَخْطَأَ : أَخَذَ عَلَيْهِ سَلْمَانُ ، وَإِذَا أَصَابَ قَالَ : أَيُّمُ اللَّهِ ! »^(١).

فلو كان مراد النبي - ﷺ - هو تحسين قراءة الموجودين مع اختلاف أجناسهم ولغاتهم = لما امتنع سلمان - ﷺ - (وخاصة بعد أن حسن النبي - ﷺ - قراءته) من إقراء الناس بحجة أن القرآن عربي .
ومع أن سلمان - ﷺ - كان عالماً بالقراءة ، بدليل أنه كان يصوب قراءة زيد بن صوحان - ﷺ - إذا أخطأ ، ويقرُّ بصحتها إذا أصاب بل ويشي عليها ؛ إلا أن هناك بعض الأحكام التي يصعب على غير العرب إتقانها ؛ فلذلك أمرهم سلمان - ﷺ - أن يتلقوه من رجل عربي صريح فصيح .

وعن عطاء قال: سمعت عبيد بن عمير يقول : اجتمعت جماعة فيما حول مكة ، قال حسبت أنه قال : في أعلى الوادي ههنا وفي الحج ، قال: فحانت الصلاة فتقدم رجل من آل أبي السائب أعجمي اللسان ، قال: فأخره المسور بن مخرمة - ﷺ - وقدم غيره ، فبلغ عمر بن الخطاب - ﷺ - فلم يُعْرِفْهُ بشيء حتى جاء المدينة ، فلما جاء المدينة عَرَفَهِ بذلك ، فقال المسور بن مخرمة - ﷺ - : أنظرنني يا أمير المؤمنين ، إن الرجل كان أعجمي اللسان وكان في الحج فخشيت أن يسمع بعض الحاج قراءته فيأخذ بعجمته ، فقال: هنالك ذهبت بها؟ ، فقال نعم ، فقال: قد أصبت»^(٢).

(١) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة ١١٧/٦ (٢٩٩٩٢٨) - ٤١٠/٦ (٣٢٤٦٨) .
(٢) [صحيح] ، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨٩/٣ (٤٠٩٦) .

وقوله : « وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ » ، أي : من بعدكم ، فهذا إخبار من النبي - ﷺ - بما يكون بعده ، وهو لا ينطق عن الهوى .



وقوله : « يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ » ، و« يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ كَمَا يُقَامُ السَّهْمُ » ، أي : كما تقام عصا السهم أو القدح بلا اعوجاج ، لأن عصا السهم أو القدح لا تكون معوجة ، بل تكون معتدلة مستقيمة .



وقوله : « يَتَّقُونَهُ كَمَا يَتَّقُ الْقِدْحُ » ، قال صاحب القاموس : (ثقف) ، ككرم وفرح (ثقفا) ، (وثقفا) ، (وثقافة) ، أي : [صار حاذقا ، خفيفا ، فطنا : فهو ثقف] .^(١)

قلت : فهذه الأوصاف المذكورة إنما هي كناية عن جودة قراءتهم وحسنها وخفتها واستقامتها ، أي : أنهم يقرؤونه قراءة في غاية الإتقان والمهارة ؛ ولكن نواياهم غير خالصة لله تعالى ؛ فالذم الذي ورد في هذا الحديث موجه لسوء نيتهم ؛ وليس لجودة قراءتهم ، كما فسره بذلك في قوله : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ ، يَتَعَجَّلُونَهُ ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » ، وكما قال في الرواية الأخرى : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَسَلُّوا اللَّهَ بِهِ ، فَإِنَّهُ سَيَفْرَأُهُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ ، يَتَعَجَّلُونَهُ ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » ، وأيضا في الرواية الأخرى بقوله : « يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » .



(١) القاموس ٣ / ١٢١ .

وقوله : « يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » ، و « يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » ، أي : أنهم يقرؤونه من أجل عوض الدنيا وأعراضها ، لا من أجل وجه الله عز وجل ودخول الجنة ، فهم لا يخلصون فيه النية لله تعالى وهذا هو سبب ذمهم وعدم قبول قراءتهم ، وقد ورد عن عبد الرحمن بن شبل - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ » .^(١)

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - ، أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَسَلُّوا اللَّهَ بِهِ الْجَنَّةَ ، قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُهُ لِلَّهِ » .^(٢)

وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ أَلِ اللَّهِ بِهِ ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِي أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَسْأَلُونَ النَّاسَ بِهِ » .^(٣)

وقوله : « لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ » ، أي : لا يرتفع فوق رؤوسهم ، وهو كناية عن عدم قبول قراءتهم .

* * *

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) [صحيح] ، سبق .

(٣) [صحيح] ، سبق .

خلاصة هذا الحديث:

إن هذا حديث عظيم ، وأصل كبير ، يحتوي على عدد من الدلالات والإشارات ، منها أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، وكلها شافٍ كافٍ ، وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يقرؤون القرآن الكريم على هذه الحروف جميعاً ؛ فيقرأ بعضهم على حرف وبعضهم على حرف غيره ... ، وهكذا ؛ فحسن النبي - صلى الله عليه وسلم - قراءتهم جميعاً على أي حرف من الأحرف السبعة ، ثم أشار إلى أنه سيأتي أقوام من بعدهم يتقنون القراءة ولكنهم لا يخلصون فيها لله تعالى ، فلهذا لا ترتفع قراءتهم فوق رؤوسهم شبرا ، ولا تقبل منهم ؛ لأن الإخلاص شرط في قبول العمل ، وهذا الحديث يعد من معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه أخبر بما سيكون بعده وقد وقع ما أخبر عنه .

وهذا الحديث الشريف يشير كذلك إلى فضيلة الاجتماع لقراءة القرآن الكريم ومدارسته وحفظه ، وأنه كان للصحابة - رضي الله عنهم - مجالس خاصة يتدارسون فيها القرآن ، ويعلم بعضهم بعضاً ، وفي هذا دلالة على أصالة هذا العلم وتوقيفاته ، وأنه من العلوم الشرعية الواجبة ، ويشير أيضا إلى ضرورة تلقيه بالمشافهة ، وأهمية تعلمه وتعليمه ، وتعاهده ، ومدارسته ، وتخصيص الوقت لذلك . وأن هذا هو هدي نبينا - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح ، وأن الله يريد ذلك ، ويحبه ، ويرضاه ، ويدعو إليه صفوة عباده وأحبهم إليه .



* * *

الفصل الثاني والأربعون

عدم جواز القراءة باللغات واللهجات
التي لم تثبت في العرصة الأخيرة

عن كعب بن مالك الأنصاري - رضي الله عنه - ، قال : « كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ - رضي الله عنه - ، فَقَرَأَ رَجُلٌ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ : [عَتَى حِينَ] ^(١) ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ - رضي الله عنه - : مَنْ أَقْرَأَكَ هَكَذَا ؟ ، قَالَ : ابْنُ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - ؛ فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، وَجَعَلَهُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، أَقْرَأِ النَّاسَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ ، وَلَا تُفَرِّطْهُمْ بِلُغَةٍ هَذِيلٍ ، وَالسَّلَامُ » . ^(٢)

* * *

(١) [يوسف : ٣٥] .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ١/٤٦٧ - ٢/١٧٦ . وأبو عمرو الداني في

"التحديد في الإتقان والتجويد" ص (٨٠) . والخطيب في تاريخ بغداد ٨/٢٧٨ . وابن عبد البر

في التمهيد ٨/٢٧٨ من طريق أبي داود . وانظر كنز العمال ٢/٦٩٧ (٤٨١٣) . والدر المشور

ديباجة هذا الأثر:

قوله : « مَنْ أَقْرَأَكَ هَكَذَا » ، أي : من علمك أن تقرأها هكذا ، وفي هذا إشارة إلى أن القرآن لا يقرأ بالسجية ؛ ولكن بالتلقي والمشافهة من أفواه المشايخ .

وقوله : « فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ » ، أي : أنزله كله أو معظمه بلغة قريش ؛ لأن قريشا كانت أفصح العرب وكانت تجتمع عندها لغاتهم جميعا ؛ فتنتمي منها أجودها ، وتختار منها أحسنها ؛ فاجتمعت في قريش خلاصة لغة العرب وأفصحها .

وقوله : « أَقْرَأَ النَّاسَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ » ، لا ينقض نزول القرآن على سبعة أحرف ؛ وكذلك لا ينقض بقاء السبعة أحرف إلى اليوم ؛ بل قال ذلك لأن لغات العرب قد اجتمعت جميعا في قريش ؛ إلا ما شذت به كل قبيلة على حدة ، مثل كشكشة قيس ، وتمتمة تميم ، وغيرها ، وهذه لغات يرغب القرآن عنها .

وقوله : « وَلَا تُقْرَأُ بِلُغَةِ هَذِهِ » ، فإنها وإن كانت لغة عربية صريحة فصيحة صحيحة وأنزل عليها القرآن الكريم أيضا ؛ إلا أنها لم تثبت في العرصة الأخيرة .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

قال السيوطي في "المزهر" : « وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة أَلَسْتَهَا ، إذا أتتهم الوفود من العرب تَحَيَّرُوا من كلامهم وأشعارهم أَحْسَنَ لُغَاتِهِمْ وَأَضْفَى كَلَامِهِمْ ، فَاجْتَمَعَ مَا تَحَيَّرُوا مِنْ تِلْكَ اللُّغَاتِ إِلَى سَلَاتِقِهِمُ الَّتِي طُبِعُوا عَلَيْهَا ، فَصَارُوا بِذَلِكَ أَفْصَحَ الْعَرَبِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَجِدُ فِي كَلَامِهِمْ عَنَعَنَةَ تَمِيمٍ وَلَا عَجْرْفِيَّةَ قَيْسٍ وَلَا كَشْكَشَةَ أَسَدٍ وَلَا كَشْكَشَةَ رَيْبَعَةَ وَلَا كَسْرَ أَسَدٍ وَقَيْسٍ . » (١)

وقال الزركشي في "البرهان" : وقد فضل الفراء : لغة قريش على سائر اللغات، وزعم أنهم يسمعون كلام العرب فيختارون من كل لغة أحسنها ، فصفا كلامهم ، وذكر قبح عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وعجرفة قيس . (٢)

وقال الزرقاني في "مناهل العرفان" : « في قبائل مضر شواذ ينزه عنها القرآن الكريم ؛ مثل كشكشة قيس وهي جعل كاف المؤنث شيئا فيقولون في قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴾ (٣) ، (قَدْ جَعَلَ رَبُّشِ تَحْتِشِ سَرِيًّا) ، ومثل تمتمة تميم الذين يجعلون السين تاء فيقولون في الناس : النات ، مع أن هذه لغات لم يحفظ منها شيء في القرآن الكريم . » (٤)

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - نشر دار

الكتب العلمية - بيروت - طبعة الأولى ، ١٩٩٨ - تحقيق : فؤاد علي منصور ١٦٦/١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٨٤/١ .

(٣) [مريم : من الآية ٢٤] .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ١٢٨/١ .

وقال ابن عبد البر : وأنكر آخرون كون كل لغات مضر فى القرآن ؛ لأن فيها شواذ لا يُقرأ بها ، مثل كشكشة قيس ، وعننة تميم ... ، وهذه لغات يُرغب بالقرآن عنها .^(١)



قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : قال البخاري - رحمه الله - : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، قرآنا عربيا بلسان عربي مبين ، حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرني أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، قال : « فَأَمَرَ عُمَانُ - رضي الله عنه - زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ - رضي الله عنه - وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ - رضي الله عنه - وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - رضي الله عنه - وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ : أَنْ يَنْسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ فَاصْتَبُوا بِلسانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ بِلسانِهِمْ ، فَفَعَلُوا »^(٢) ، قال ابن كثير : هذا الحديث قطعة من حديث ، ومقصود البخاري منه ظاهر ، وهو أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش ، وقريش خلاصة العرب ، ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ثنا يزيد أخبرنا شيبان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، يقول : « لَا يُمْلَيْنَ فِي مَصَاحِفِنَا هَذِهِ إِلَّا غِلْمَانُ قُرَيْشٍ ، أَوْ غِلْمَانُ ثَقِيفٍ »^(٣) ، وهذا حديث إسناده صحيح .^(٤)



- (١) التمهيد لابن عبد البر ٢٧٧/٨ . والاستذكار له ٤٨١/٢ ٤٨١/٢ .
 (٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٤٩٨٤) .
 (٣) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص ١٧ . وابن شبة في تاريخ المدينة ١٠١٤/٣ .
 (٤) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٥ .

خلاصة هذا الأثر:

هذا الخبر يدل على توقيفية قراءة القرآن الكريم ، وأنه لا يقرأ بالسجية ، ولا يجوز قراءته بالمعنى أو باللغات واللهجات المختلفة إذا كانت على غير الصفة التي أنزل عليها ، ولم تثبت في العرصة الأخيرة .

قال الإمام أبو عمرو الداني عقب هذا الخبر : « هذا الخبر أصل كبير ، ومعناه تعليم عمر - ؓ - : عبد الله - ؓ - رياضة الألسنة ، وأمره إياه أن يأخذ من يقرئه بالترفة بين الحروف المتشابهة في اللفظ ، المتقاربة في المخرج ، حتى يُؤدِّي القرآن على ما أنزل عليه من القراءات واللغات ، دون ما يجوز من ذلك من كلام العرب ولغاتها إذا كان مخالفا لما أنزل عليه من الأحرف ، ألا ترى أن الفرق بين العين والحاء بحة الحاء ، لولا هي لكانت عينا ، وإنما كانت ذات بحةٍ لهما وجهر العين ، فقد ميز عمر - ؓ - الفرق بينهما ، وأمر عبد الله - ؓ - بتبع ذلك على القارئ وتخليص بيانه للتالين . فيلزم سائر القراء وجميع أهل الأداء استعمال ذلك وتفقدته ، حتى يلفظه بالحروف على هيئتها ، وينطق بها على مراتبها » .^(١)



* * *

(١) التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو الداني ص ٨٠ .

دفع بعض الشبهات:

قال بعضهم : يجوز قراءة القرآن الكريم بأي لغة من لغات العرب كانت ؛ بل ويجوز إبدال كلمة من القرآن مكان كلمة أخرى إذا كانت مؤدية معناها، حتى إن الإمام أبا حنيفة _ رحمه الله تعالى _ قد أجاز القراءة بالفارسية، بشرط أن يؤدي القارئ المعاني كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً .^(١)

وقد استدلل القائلون بهذه الشبهة : بنحو ما ورد عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - أَقْرَأَ رَجُلًا : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿١٢﴾ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿١٣﴾ ﴾^(٢) ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقُولُ : (طَعَامُ الْيَتِيمِ) ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - : (طَعَامُ الْفَاجِرِ) .^(٣)

وعن همام بن الحارث ، قال : كان أبو الدرداء - رضي الله عنه - يُقْرَأُ رَجُلًا : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿١٢﴾ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿١٣﴾ ﴾ ، قال : فجعل الرجل يقول : (إن شجرة الزقوم طعام اليتيم) ؛ قال : فلما أكثر عليه أبو الدرداء ، فرآه لا يفهم ، قال : (إن شجرة الزقوم طعام الفاجر) .^(٤)

(١) انظر تفسير النسفي ١٢٧/٤ وغيره .

(٢) [الدخان : ٤٣، ٤٤] .

(٣) [مرسل] ، أخرجه أبو عبيد ١١١/١ (٦٦٩) .

(٤) [صحيح] ، أخرجه الطبري في تفسيره ٤٣/٢٣ . وعبد الرزاق في مصنفه ٣٦٤/٣ (٥٩٨٦) .

وعن الأعمش ، قال : قرأ أنس - ﷺ - هذه الآية : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْئًا وَأَصْوَبُ قِيلاً) ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنَّمَا نَقَرَأَهَا : ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ ^(١) ، فَقَالَ :
إِنَّ أَقْوَمَ ، وَأَصْوَبَ ، وَأَهْيَأَ ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ وَاحِدٌ . ^(٢)



(١) [سورة المزمل : ٦] .

(٢) [مرسل] ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٦٨٥/٢٣ . وأبو يعلى في مسنده ٨٨/٧ ،
(٤٠٢٢) . وقال الهيثمي في المجمع ٣٢٥/٧ (١١٦١٣) : رواه البزار وأبو يعلى بنحوه ... ،
ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ورجال البزار ثقات . قلت نعم رجاله ثقات ولكن الأعمش
لم يسمع من أنس ، فالحديث مرسل . وقد قال محقق مسند "أبي يعلى" حسين سليم أسد :
(إسناده ضعيف ومتمه منكر مردود) . ونقل المحقق في الحاشية عن أبي بكر بن الأنباري أنه
قال : "حديث لا يصح عن أحد من أهل العلم ؛ لأنه مبنى على رواية الأعمش عن أنس ، فهو
مقطوع ليس بمتصل ، فيؤخذ من قبل أن الأعمش رأي أنسا ولم يسمع منه" . وقال الشيخ أبو
إسحاق الحويني في "النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة" ٧٧/١ (١٧٥) : وهذا سند
ضعيف ؛ لأن الأعمش لم يسمع من أنس ، قال ابن معين : (كل ما روى الأعمش عن أنس ،
فهو مرسل) وكذا قال علي بن المديني وابن المنادي وغيرهما ، ثم إن معنى هذا الحديث
باطل جداً . اهـ .

الجواب على هذه الشبهة:

فأقول وبالله العون والتوفيق : ليس لهؤلاء حجة فيما ذكر ؛ وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : إن هذه الروايات وأمثالها إنما هي حروف من القراءات الشاذة ، التي تُروى على أنها أخبار يُستفاد بما فيها من العلم ؛ ولا يُتعبد بتلاوتها في الصلاة أو خارجها .

.....

قال أبو عبيد في "فضائل القرآن" بعد أن ذكر هذه الرواية وغيرها من القراءات الشاذة : هذه الحروف التي ذكرناها في هذين البابين : (من الزوائد) ؛ لم يروها العلماء ويحملوها على أنها مثل الذي بين اللوحين من القرآن؛ ولا أنهم كانوا يقرءون بها في الصلاة ؛ ولم يجعلوا من جحدها كافراً؛ إنما قرأ في الصلاة ونحكم بالكفر على الجاحد لهذا الذي بين اللوحين خاصة ، وهو ما ثبت في الإمام الذي نسخه عثمان بإجماع من المهاجرين والأنصار وإسقاط لما سواه ، ثم أطبقت عليه الأمة ، فلم يختلف في شيء منه ، يعرفه جاهلهم كما يعرفه عالمهم ، وتوارثه القرون بعضها عن بعض ، وتعلمه الولدان في المكتب ؛ وكانت هذه إحدى مناقب عثمان العظام ؛ وقد كان بعض أهل الزيغ طعن فيه ثم تبين للناس ضلالهم في ذلك .^(١)

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد ١١٧/١ (٧١٤) .

وقال ابن حزم في " الإحكام " مجيباً على ما رواه ابن وهب عن الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - ، قال : حدثني - مالك - ابن أنس ، قال : أقرأ عبد الله بن مسعود - ؓ - رجلاً : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ ، فجعل الرجل يقول : (طعام اليتيم) ، فقال له ابن مسعود - ؓ - : (طعام الفاجر) . قال ابن وهب : قلت لمالك : أتري أن يقرأ كذلك ؟ ، قال : نعم ، أرى ذلك واسعاً ، فقيل لمالك : أفترى أن يقرأ بمثل ما قرأ عمر بن الخطاب - ؓ - : [فامضوا إلى ذكر الله] ؟ ، قال مالك : (ذلك جائز) ، قال رسول الله - ﷺ - : « أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فاقروا منه ما تيسر » ، مثل : (تعلمون) ، (يعلمون) ، قال مالك : لا أرى في اختلافهم في مثل هذا بأساً ، ولقد كان الناس ولهم مصاحف ، والستة الذين أوصى لهم عمر بن الخطاب - ؓ - كانت لهم مصاحف . قال ابن حزم : فكيف يقولون مثل هذا ؟ ، أيجيزون القراءة هكذا ؟ ، فلعمري ! ، لقد هلكوا وأهلكوا وأطلقوا كل بائقة في القرآن ؛ أو يُمنعون من هذا ، فيخالفون صاحبهم في أعظم الأشياء ، وهذا إسناد عنه في غاية الصحة ، [وهو مما أخطأ فيه مالك] مما لم يتدبره ، لكن قاصداً إلى الخير ، ولو أن أمراً ثبت على هذا وجازه بعد التنبيه له على ما فيه ، وقيام حجة الله تعالى عليه في ورود القرآن بخلاف هذا = لكان كافراً ، ونعوذ بالله من الضلال .^(١)

* * *

(١) الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن حزم - مطبعة العاصمة بالقاهرة - ٥٢٨/٤ .

ثانياً: إن هذه الروايات وأمثالها ليست من القرآن ، ولا يقطع لها بذلك ؛ بل وليس لها حكم القرآن ؛ لأنها رواية آحاد ؛ والقرآن لا يثبت أصله إلا بالتواتر الذي يفيد اليقين .

.....

فعن خلاد بن يزيد الباهلي ، قال : قلت ليحيى بن عبد الله بن أبي مليكة : إن نافعاً حدثني عن أبيك ، عن عائشة - رضي الله عنها - : أنها كانت تقرأ : (إِذْ تَلْقَوْنَ بِاللَّيْلِ كِتَابًا)^(١) ، وتقول : إنما هو ولق الكذب .^(٢) ، قال ابن أبي مليكة : وكانت أعلم من غيرها بذلك ؛ لأنه نزل فيها . فقال يحيى : ما يضرك إلا أن تكون سمعته من عائشة - رضي الله عنها - ، نافع ثقة على أبي ، وأبي ثقة على عائشة - رضي الله عنها - ، وما يسرني أنني قرأتها هكذا ولي كذا وكذا . قلت : ولم وأنت تزعم أنها قالت ؟ ، قال : [لأنها غير قراءة الناس] ، قال : ونحن لو وجدنا رجلاً يقرأ بما ليس بين اللوحين = ما كان بيننا وبينه إلا التوبة أو تضرب عنقه ؛ نجىء به عن الأمة عن النبي - ﷺ - ؛ وتقولون أنتم : حدثنا فلان الأعرج عن فلان الأعمى ما أدري ماذا أن ابن مسعود يقرأ غيرها في اللوحين ؟ ، إنما هو والله ضرب العنق أو التوبة ؛ وقال هارون : ذكرت ذلك لأبي عمرو ، يعني القراءة المعزوة إلى عائشة - رضي الله عنها - ، فقال : قد سمعت قبل أن تولد ، ولكننا لا نأخذ به .^(٣)



(١) [سورة النور : من الآية : ١٥] .

(٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري ١٥٢٣/٤ (٣٩١٣) .

(٣) شرح الثوري على طيبة النشر / ص (٥٨) / ط المطابع الأميرية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

وعن محمد بن صالح ، قال : سمعت رجلا يقول لأبي عمرو - ابن العلاء رحمه الله تعالى - : كيف تقرأ : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴾ ^(١) ، فقال له : ﴿ لَا يُعَذِّبُ ﴾ بالكسر ، فقال له الرجل : كيف وقد جاء عن النبي - ﷺ - : ﴿ لَا يُعَذِّبُ ﴾ بالفتح ؛ فقال له أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذي قال سمعت النبي - ﷺ - ؛ ما أخذته عنه ، أو تدري ما ذاك ؟؛ لأنني أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به الأمة . ^(٢)

* * *

(١) [الفجر : ٢٥ - ٢٦] .

(٢) شرح النويري على طيبة النشر ص (٥٨) .

ثالثاً: إن هذه الروايات وإن صح سندها ؛ إلا إنها من القراءات الشاذة التي نزلت في أول الأمر من باب التيسير والتوسعة على الأمة ، ثم نسخت قراءتها بالعرضتين الأخيرتين ، فعلم ذلك بعضهم في حينه ؛ ولم يعلمه بعضهم إلا بعد مدة ؛ فربما قرأ الرجل منهم بالشاذ وهو لا يعلم أنه قد نُسخ ؛ حتى يتبين له ذلك فيدع قراءته في الصلاة .

.....

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي - ﷺ - ؛ وإن ثبتت = فإنها منسوخة بالعرضة الآخرة ، فإنه قد ثبت في الصحاح عن عائشة وابن عباس - ﷺ - : أن جبريل - ﷺ - كان يعارض النبي - ﷺ - بالقرآن في كل عام مرة ، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين ، والعرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره ، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - ﷺ - بكتابتها في المصاحف ، وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف ؛ أمر زيد بن ثابت بكتابتها ، ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار ، وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة .^(١)

* * *

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٥/١٣ .

رابعاً : إن هذا التيسير والسعة كان في حدود ما نزل به جبريل - ﷺ - من الأحرف السبعة ، وإن أثر ابن مسعود وأبي الدرداء - رضي الله عنهما - مثل حيٍّ على هذه التوسعة ؛ لأنهما لما تعذر اللفظ على القارئ = عدلا به إلى قراءة أخرى ؛ فيا عجباً من هؤلاء الذين حولوا هذه الرحمة والنعمة إلى اختلاف ونقمة !.

.....

يقول الدكتور عبد الودود مقبول ، بعد كلامه على نزول القرآن على سبعة أحرف : « وهذه التوسعة كانت في الألفاظ ، دون المعاني ، وفي حدود ما نزل به جبريل ، وما سمعوه من النبي - ﷺ - ، وذلك بدليل أن كلا من المختلفين كان يقول : أقرأنيها رسول الله - ﷺ - ، وأن النبي - ﷺ - كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله : « هَكَذَا أُنزِلَتْ » ^(١) ، ولا يتوهم متوهم : أن ذلك كان باتباع الهوى والتشهي ؛ فذلك ما لا يقوله عاقل ، لأن القراءة سنة متبعة » ^(٢).



وقال القرطبي في تفسيره : فإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي - ﷺ - ، وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(٣).



- (١) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٤٧٠٦ - ٤٧٥٤ - ٦٥٣٧ - ٧١١١) وغيره .
 (٢) نزول القرآن الكريم والعناية به ، باب (حكّم نزول القرآن على سبعة أحرف) .
 (٣) تفسير القرطبي ٤/٤٨ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : « وأما من قال عن ابن مسعود - رضي الله عنه - : إنه كان يُجَوِّزُ القراءة بالمعنى ← فقد كذب عليه ؛ وإنما قال : قد نظرت إلى القراء ، فرأيت قراءتهم متقاربة ، وإنما هو كقول أحدكم : أَقْبَلُ ، وَهَلُمَّ ، وَتَعَالَ ، فَأَقْرُؤُوا كَمَا عَلِمْتُمْ ... » ... ، أما قول السائل : ما السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف ؟. فهذا مرجعه إلى النقل ، واللغة العربية ، لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك كله ، إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه ، بل القراءة سنة متبعة ، وهم إذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب في المصحف الإمامي ، وقد قرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء : لم يكن واحد منهما خارجا عن المصحف ، ومما يوضح ذلك أنهم يتفقون في بعض المواضع على ياء أو تاء ، ويتنوعون في بعض ، كما اتفقوا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ في موضع^(١) ، وتنوعوا في موضعين^(٢) ، وقد بينا أن القراءتين كالأيتين ، فزيادة القراءات كزيادة الآيات » .^(٣)



(١) اتفقوا في الآية (١٤٠) بسورة البقرة والآية (٩٩) بسورة آل عمران.

(٢) تنوعوا في الآيات (٧٤) (٨٥) (١٤٩) من سورة البقرة .

(٣) الفتاوى الكبرى ٤/٤١٤ ، ومجموع الفتاوى ١٣/٣٨٩ - ٤٠٤ .

الكتاب الأول - الفصول من الأصول

خامساً: إنه قد ورد من رواية أبي يوسف ، عن أبي حنيفة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : أن رجلاً كان يُقرئه ابن مسعود - رضي الله عنه - وكان أعجمياً ، فجعل يقول : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴿١٢﴾ طَعَامُ الْأَيْثِمِ ﴿١٣﴾ ﴾ ، فجعل الرجل يقول : (طَعَامُ الْيَتِيمِ) ، فرد عليه ، كل ذلك يقول : (طَعَامُ الْيَتِيمِ) ، فقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : قل : « طَعَامُ الْفَاجِرِ » ، ثم قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : « إِنَّ الْخَطَأَ فِي الْقُرْآنِ : لَيْسَ أَنْ تَقُولَ : (الْعَفُورُ الرَّحِيمُ) ، (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ؛ إِنَّمَا الْخَطَأُ : (أَنْ تَقْرَأَ آيَةَ الرَّحْمَةِ آيَةَ الْعَذَابِ) ، وَ(آيَةَ الْعَذَابِ آيَةَ الرَّحْمَةِ) ، وَ(أَنْ يُزَادَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَيْسَ فِيهِ) » .^(١)

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « لَيْسَ الْخَطَأُ أَنْ يُقْرَأَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ ، وَلَكِنَّ الْخَطَأَ أَنْ تُلْحِقُوا بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ » .^(٢)

قلت : فهذه الرواية نص صريح عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، أن هذا الاختيار كان في حدود ما نزل ؛ لأنه لا يجوز أن يُزاد في كتاب الله ما ليس منه .

قال الزرقاني في "مناهل العرفان" : وأما هذه الروايات التي اعتمدت عليها الشبهة ؛ فلا نسلم أنه يفهم منها معنى تخيير الشخص أن يأتي من تلقاء نفسه باللفظ وما يرادفه أو باللفظ وما لا يضاده في المعنى حتى يوقع ذلك في ريب من هذا التنزيل ، بل قصارى ما تدل عليه هذه الروايات : أن الله تعالى وسَّع على عباده ، خصوصاً في مبدأ عهدهم بالوحي ، أن

(١) [مرسل] ، أخرجه أبو يوسف في "الآثار" (٢٢١) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٩/٩ (٨٦٨٣) .

→ يقرؤوا القرآن بما تليين به ألسنتهم ، وكان من جملة هذه التوسعة القراءة بمترادفات من اللفظ الواحد للمعنى الواحد ، مع ملاحظة أن الجميع نازل من عند الله، نزل به الروح الأمين - ﷺ - على قلب محمد - ﷺ - ، وقرأه الرسول - ﷺ - على الناس على مكث ، وسمعه منه ، ثم نسخ الله ما شاء أن ينسخ بعد ذلك ، وأبقى ما أبقى لحكمة سامية . يدل على أن الجميع نازل من عند الله تعالى = قوله - ﷺ - لكل من المتنازعين المختلفين في القراءة من أصحابه « هَكَذَا أَنْزَلْتُ » .^(١) ، وقول كل من المختلفين لصاحبه « أَفْرَأَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ » .^(٢) ، وقول الله تعالى لرسوله - ﷺ - جوابا لمن سأله تبديل القرآن : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣) ، وليس بعد كلام الله ورسوله كلام ، كذلك أجمعت الأمة على : أنه لا مدخل لبشر في نظم هذا القرآن ، لا من ناحية أسلوبه ، ولا من ناحية ألفاظه ؛ بل ولا من ناحية قانون أدائه ، فمن يخرج على هذا الإجماع ، ويتبع غير سبيل المؤمنين = يوله الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيرا ، وها نحن أولاء قد رأينا القرآن في تلك الآية يمنع الرسول من محاولة ذلك منعا باتا مشفوعا بالوعيد الشديد ومصحوبا بالعقاب الأليم ، فما يكون لابن مسعود - ﷺ - ولا لأكبر من ابن مسعود - ﷺ - بعد هذا أن يبدل لفظا من ألفاظ القرآن بلفظ من

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٤٧٠٦) وغيره .

(٣) [يونس : ١٥] .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

→ تلقاء نفسه . أما هذه الرواية المنسوبة إلى ابن مسعود - رضي الله عنه - من أنه أقرأ الرجل بكلمة (الفاجر) بدلا من كلمة (الأثيم) في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿١٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿١٣﴾ ﴾ ، فتدل على أن ابن مسعود - رضي الله عنه - سمع الروایتين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولما رأى الرجل قد تعسر عليه النطق بالأولى = أشار عليه أن يقرأ بالثانية ، وكلاهما منزل من عند الله اه^(١)، قلت : وإن متابعة أبي الدرداء - رضي الله عنه - لعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - على نفس اللفظة تشهد على صحة ما ذكره الزرقاني .



وقال الألوسي في "روح المعاني" : لكن قال الطحاوي : إنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد ، لعدم علمهم بالكتابة والضبط واتقان الحفظ ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ ، وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون ، ولعله إن تحقق إبدال من أحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، بعده عليه الصلاة والسلام ، يقال : إنه كان منه قبل الاطلاع على النسخ ، ومتى لم يجز إبدال كلمة مكان كلمة مؤدية معناها مع الاتحاد عريية = فعدم جواز ذلك مع الاختلاف عريية وفارسية مثلا أظهر ، وما روي عن الإمام أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه من أنه يرى جواز قراءة القرآن بالفارسية بشرط أداء المعاني على كمالها ؛ فقد صح عنه خلافه ، وقد حقق الشرنبلالي - عليه الرحمة - هذه المسألة في رسالة مفردة بما لا مزيد عليه .^(٢)



(١) مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر ١٣٢/١ .

(٢) تفسير "روح المعاني" للألوسي ١٣٢/٢٥ .

وقال ابن الأنباري : وذهب بعض الزائغين إلى أن من قال : (إن من قرأ بحرف يوافق معنى حرف من القرآن ، فهو مصيب إذا لم يخالف ولم يأت بغير ما أراد الله) ، واحتجوا بقول أنس - ﷺ - هذا : - وأصوب قتيلا - (١) ، وهذا قول لا يُعرج عليه ولا يُلْتَفَت إلى قائله ؛ لأنه لو قرئ باللفاظ القرآن إذا قاربت معانيها ، واشتملت على غايتها = لجاز أن يُقرأ في موضع : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : (الشكر للباري ملك المخلوقين) ، ويتسع الأمر في هذا ، حتى يبطل لفظ جميع القرآن ، ويكون التالي له مفترياً على الله - تعالى - ، كاذباً على رسوله - ﷺ - ، ولا حجة لهم في قول ابن مسعود - ﷺ - : « نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ ، إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ : (هَلُمَّ) ، و(تعال) ، و(أقبل) » . (٢) ؛ لأن هذا الحديث يوجب : أن القراءات المنقولة بالأسانيد الصحاح عن النبي - ﷺ - إذا اختلفت ألفاظها وانفقت معانيها كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في « هَلُمَّ ، وتعال ، وأقبل » ؛ فأما ما لم يقرأ به النبي - ﷺ - وأصحابه وتابعوهم ؛ فإن من أورد حرفاً منه في القرآن بُهت ومال وخرج عن مذهب الصواب ؛ وحديثهم الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة لا يصححه أهل العلم . (٣)

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٨٢/١٢ . وأنكر علي بن المدني ويحيى بن معين سماع الأعمش من أنس . وقال وكيع عن الأعمش رأيت أنس بن مالك وما معني أن أسمع منه إلا استغنائي بأصحابي ، وانظر تهذيب الكمال ٨٣/١٢ .

(٢) [صحيح] ، سبق .

(٣) انظر تفسير القرطبي ٤١/١٩ . واللباب لابن عادل ج (١٦) الآية (٦) من سورة المزمل .

وقال الإمام القرطبي : ولا حجة في هذا للجهاال من أهل الزيغ ، أنه يجوز إبدال الحرف من القرآن بغيره ، لأن ذلك إنما كان من عبد الله تقريبا للمتعلم ، وتوطئة منه له للرجوع إلى الصواب واستعمال الحق والتكلم بالحرف على إنزال الله وحكاية رسول الله - ﷺ - ، وقال الزمخشري : وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ، ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة ، وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا ، وقالوا : وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة ، كلاً إجازة ، لأن في كلام العرب ، خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه : من لطائف المعاني والأغراض مالا يستقل بأدائه لسان ، من فارسية وغيرها ، وما كان أبو حنيفة - رحمه الله - يُحسن الفارسية ، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر ، وروي علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية .^(١)

* * *

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ١٦/١٤٩ .

سادسا : إن كثيرا من أهل العلم قد عدُّوا هذه الروايات من باب التفسير وليست من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم ؛ وخاصة أنها مخالفة لرسم المصحف .

.....

قال ابن العربي في "أحكام القرآن" : روي أن ابن مسعود - رضي الله عنه - أقرأ رجلا : ﴿ طَعَامُ الْيَتِيمِ ﴾ ، فلم يفهمها ؛ فقال له : (طعام الفاجر) ، فجعلها الناس قراءة ، حتى روى ابن وهب ، عن مالك ، قال : أقرأ ابن مسعود - رضي الله عنه - رجلا : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿١٢٦﴾ طَعَامُ الْيَتِيمِ ﴿١٢٧﴾ ﴾ ، فجعل الرجل يقول : (طعام اليتيم) ، فقال له عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : (طعام الفاجر) ، فقلت لمالك : أترى أن يقول كذلك ؟ ، قال : نعم . انتهى ، وروى البصريون عنه - عن مالك - : أنه لا يُقرأ في الصلاة بما يُروى عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، وقال ابن شعبان : لم يختلف قول مالك إنه لا يُصلى بقراءة ابن مسعود - رضي الله عنه - ، فإنه من صلى بها أعاد صلاته ؛ لأنه (كان يقرأ بالتفسير) ... ، ولو صحت قراءته لكانت القراءة بها سنة ، ولكن الناس أضافوا إليه ما لم يصح عنه ؛ فلذلك قال مالك : لا يُقرأ بما يُذكر عن ابن مسعود - رضي الله عنه - .^(١)

(١) أحكام القرآن لابن العربي - المجلد السابع - مسائل سور الدخان ص ١٠٠ .

وقال الرازي في تفسيره : قرأ أنس - ﴿ ٥٦٦ ﴾ - : (وَأَصْوَبٌ قِيلاً) ، فقيل له : يا أبا حمزة !، إنما هي : ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ ، فَقَالَ أنس : إِنَّ أقومَ وأصوبَ وأهياً وَاحِدٌ ، قال ابن جني ، وهذا يدل على أن القوم كانوا يعتبرون المعاني ، فإذا وجدوها لم يلتفتوا إلى الألفاظ ، ونظيره ما روى أن أبا سوار الغنوي كان يقرأ : (فَحَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ) بالحاء غير المعجمة ، فقيل له : إنما هو : ﴿ فَجَاسُوا ﴾ ، فقال : حاسوا وجاسوا واحد ، وأنا أقول : يجب أن نحمل ذلك على أنه (إنما ذكر ذلك تفسيراً للفظ القرآن) لا على أنه جعله نفس القرآن ، إذ لو ذهبنا إلى ما قاله ابن جني لارتفع الاعتماد عن ألفاظ القرآن ، ولجوزنا أن كل أحد عبر عن المعنى بلفظ رآه مطابقاً لذلك المعنى ، ثم ربما أصاب في ذلك الاعتقاد ، وربما أخطأ وهذا يجزئ إلى الطعن في القرآن ، فثبت أنه حمل ذلك على ما ذكرناه .^(١)

قال ابن النحاس في "إعراب القرآن" : « وهذا تفسير ، وليس بقراءة ؛ لأنه مخالف لخط المصحف » .^(٢)

وقال السمين الحلبي : « وليس في هذا دليل ؛ لأنه تفسيرٌ معنى . وأيضاً فما بين أيدينا قرآنٌ متواترٌ ، وهذه الحكاية = آحاد » .^(٣)

(١) تفسير الرازي ١٥٦/٣٠ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١١٦/٣ .

(٣) الدر المصون (١٤٢/١٤) (٥٦٣٣) .

وقال ابن عادل في " اللباب " : « وليس - لهم - فيه دليل ؛ لأن مقصود أبي الدرداء - رضي الله عنه - : بيان المعنى ، فجاء بلفظ مبيّن » .^(١)

ونقل العلامة الألوسي في تفسيره ، عن القاضي أبي بكر في " الانتصار " ، قوله : إنه أراد أن ينبه على أنه لا يريد (اليتيم) ؛ بل (الفاجر) ؛ فينبغي أن يُقرأ : ﴿ الْأَيْمِ ﴾ .^(٢)

وقال الدكتور / عبد اللطيف الخطيب في " معجم القراءات " : « وتحمل على التفسير » .^(٣)

قلت : ومما يقوى كونها تفسيراً وليست قراءة : أنه لم يرد عن ابن مسعود أو أبي الدرداء - رضي الله عنهما - أو عن أي أحد من السلف أنه قرأ بها ولو مرة واحدة في الصلاة ؛ ولقد استظهرتها فيما لدي من مصادر القراءات ؛ فلم أجد أحداً من المؤلفين ذكرها في كتب القراءات القرآنية الصحيحة أو حتى الشاذة ؛ لا نصاً ولا أداءً عن أي أحد ؛ وذلك يُعد منهم إجماعاً على عدم قرآنتها ؛ وهذا يؤيد كونها تفسيراً وليست قراءة .

* * *

- (١) تفسير " اللباب " لابن عادل ج (١٦) الآية (٦) من سورة المزمّل .
 (٢) تفسير " روح المعاني " للألوسي ١٣٢/٢٥ .
 (٣) معجم القراءات القرآنية - تأليف الدكتور عبد اللطيف الخطيب - طبع دار سعد الدين بالقاهرة - ٤٣٦/٨ .

سابعاً: أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي بن كعب - ؓ - ، أنه كان يقرئ رجلاً فارسياً ، فكان إذا قرأ عليه : ﴿ إِن شَجَرَتِ الزُّقُومِ ﴾ ﴿ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴾ ، قال الرجل : (طعام اليتيم) ، فمر به النبي - ﷺ - ، فقال له : قُلْ (طَعَامُ الظَّالِمِ) ، فَقَالَهَا : فَفَصَّحَ بِهَا لِسَانَهُ ، فَقَالَ - ﷺ - : « يَا أَبُي ! قَوْمَ لِسَانَهُ ، وَعَلِمَهُ ؛ فَإِنَّكَ مَأْجُورٌ ؛ فَإِنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ لَمْ يَلْحَنُ فِيهِ ، وَلَا الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ ، وَلَا الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » (١)

.....

فقوله : (طَعَامُ الظَّالِمِ) ، ليس قراءة قرآنية ؛ ولكنه صدر من النبي - ﷺ - ، على سبيل الاختبار والامتحان لهذا الرجل ؛ لأن الذي يقدر على أن ينطق بحرف بالظاء = يستطيع كذلك أن ينطق بحرف التاء = لأنهما من مخرج واحد ، فلما نطق الرجل حرف الظاء بيسر وسهولة ؛ فإذا بالنبي - ﷺ - يأمر أياً - ؓ - أن يقوم لسان هذا الرجل ويعلمه كيفية النطق بالقراءة الصحيحة : ﴿ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴾ بالتاء .

(١) أخرجه الديلمي ٤١٢/٥ (٨٥٧٦) عن ابن أبي حسن (وهو : عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المازني الصحابي الأنصاري المدني) عن أبيه عن جده . وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين - وعمرو بن يحيى هو شيخ الإمام مالك بن أنس - وأما جددهم عمارة بن أبي حسن فهو صحابي كريم . فهذا هو حكم ما وقفت عليه من بعض هذا الإسناد ، ولكنني للأسف الشديد لم أستطع أن أقف على باقي هذا الإسناد فيما لدي من المصادر حتى أحكم عليه عموماً . وقد ذكر هذا الحديث الهندي في كنز العمال ٧١٧/٢ (٤٨٧٤) . وذكره السيوطي في جامع الأحاديث ٣٢٠/٣٢ (٣٥٣٣٢) . وذكره أيضاً في الدر المشور ٤١٩/٧ وعزاه لابن مردويه .

وقوله : « قَوْمٌ لِسَانُهُ وَعَلِمُهُ » ، أي : أصلح من لسانه ، فزده إلى الصواب وعلمه القراءة الصحيحة ؛ فإنه يستطيع أن يتعلم ؛ وهذا دليل على أن قوله : (طَعَامُ الظَّالِمِ) ليست قراءة قرآنية ؛ وإلا لما أمر أئبًا - ؓ - أن يقوم لسان الرجل ويعلمه القراءة الصحيحة ؛ وهو دليل أيضا على أنه لا يجوز أن يُقرأ القرآن بالمعنى أو باللغات أو باللهجات المختلفة من دون توقيف .



وقوله : « فَإِنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ لَمْ يَلْحَنْ فِيهِ، وَلَا الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ، وَلَا الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » ، فهذا دليل على توقيفية القراءة ، وحرمة اللحن في القرآن .



الفصل الثالث والأربعون

القراءة على غير الصفة التي أنزلت ليست بقراءة

عن الإمام حمزة بن حبيب الزيات - رحمه الله تعالى - قال : « إِنَّ الرَّجُلَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَمَا يَلْحَنُ حَرْفًا ، أَوْ قَالَ : مَا يُخْطِئُ حَرْفًا ، وَمَا هُوَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي شَيْءٍ » .^(١)

* * *

قلت : معنى هذا الخبر : أن القراءة ربما تكون صحيحة لغةً ؛ ولكنها غير صحيحة أداءً ؛ لأنها ليست على الصفة التي أنزلت على النبي - ﷺ - وثبتت عنه ، وهذا يدل على أن للقرآن الكريم صورة صوتية معينة، يجب حفظها ، والمحافظة عليها ، ولا يجوز مخالفتها ، أو العدول عنها. ويدل أيضا على أن القرآن الكريم لا يقرأ بالسجية ، ولا يؤخذ من المصحف ، بل إن قراءته علم قائم بذاته ، ويجب أن تُتلقى بالمشافهة من أفواه المشايخ .

(١) أورد هذا الخبر الإمام أبو عمرو الداني في كتابه "التحديد في الإتيان والتجويد" ، صفحة ٨٢/ ، دار عمار - عمان - الأردن - ط الأولى - سنة ٢٠٠٠م / ١٤٢١هـ - دراسة وتحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

قال الإمام أبو عمرو الداني ، عقب هذا الخبر : « يريد أنه لا يقيم قراءته على حدها ، ولا يؤدي ألفاظه على حقها ، ولا يوفي الحروف صيغتها ، ولا ينزلها منازلها من التخليص والتبيين والإشباع والتمكين ، ولا يميز ما بين سين وصاد ، ولا ظاء وضاد ، ولا يفرق بين مخفف ومشدد ، ومدغم ومظهر ، ومفخم ومرقق ، ومفتوح وممال ، وممدود ومقصور ، ومهموز وغير مهموز ، وغير ذلك من غامض القراءة ، وخفاء التلاوة ، الذي لا يعلمه إلا المهرة من المكوثيين ، ولا يميزه إلا الحذاق من المتصدرين الذين تلقوا ذلك أداءً ، وأخذوه مشافهة ، وضبطوه وقيدوه ، وميزوا جليته ، وأدركوا خفيه ، وهم قليل في الناس » .^(١)



* * *

(١) التحديد في الإتقان والتجويد صفحة ٨٢ .

الفصل الرابع والأربعون

المقروء على غير الصفة التي أنزلت
ليس بقرآن

عن هشام بن بكير - رحمه الله - ، قال : كنت عند عاصم - رحمه الله - ،
ورجلٌ يقرأ عليه ، قال : فما أنكرت من قراءته شيئاً ، قال : فلما فرغ قال
له عاصمٌ : « والله !، ما قرأتَ حَرْفًا » .^(١)

وعن الحسن بن صالح - رحمه الله تعالى - ، قال : « ربما قرأ الرجل على
عاصم - رحمه الله تعالى - ، فيقول - له عاصمٌ - : « ما قرأتَ
حَرْفًا » .^(٢)

* * *

(١) المصدر السابق .

(٢) أورد هذا الخبر الإمام أبو عمرو الداني في كتابه "التحديد في الإتقان والتجويد" ، صفحة ٨٢/

، دار عمار - عمان - الأردن - ط الأولى - سنة ٢٠٠٠م / ١٤٢١هـ - دراسة وتحقيق الدكتور
غانم قدوري الحمد .

قال الإمام الداني - رحمه الله تعالى - ، عقب هذا الخبر : « يريد أنك لم تقم القراءة على حدها ، ولم توف الحروف حقها ، ولا احتذيت منهاج الأئمة من القراء ، ولا سلكت طريق أهل العلم بالأداء . ثم قال : وهذا ما قدمناه : دال على توكيد علم التجويد ، والأخذ بالتحقيق ، والله ولي التوفيق » .^(١)



(١) التحديد في الإتيان والتجويد صفحة ٨٢ .

الفصل الخامس والأربعون

التجويد

روى جوير ، عن الضحاك قال : قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « جَوِّدُوا الْقُرْآنَ ، وَزَيِّتُوهُ بِأَحْسَنِ الْأَصْوَاتِ ، وَأَعْرِبُوهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُعْرَبَ بِهِ » .^(١)

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « جَوِّدُوا الْقُرْآنَ » .^(٢)

(١) [حسن لغيره] ، أخرجه الإمام محمد بن الجزري في النشر (٢٣٦/١) بسنده عن جوير عن الضحاك قال : قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - . وذكره القرطبي في تفسيره ٥٦/١ ، وذكره السيوطي في الإتقان ٢٦٦/١ (١٢٩٢) . قلت : وجوير بن سعيد ضعيف ، والضحاك هو ابن مزاحم ، ثقة ولكنه لم يلق ابن مسعود - رضي الله عنه - ، ولكن يشهد لأوله حديث البراء - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول : « حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ : يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا » ، وقد سبق . ويشهد لآخره ما أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٩/٩ (٨٦٨٥) عن عبد الله قال - رضي الله عنه - : « أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ » ، ورجاله ثقات ما عدا ليث بن أبي سليم ، فالأثر به حسن . وله أيضا شاهد آخر حسن أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١٦/٦ (٢٩٩١٧) قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن عقبة الأسدي عن أبي العلاء ، قال : قال عبد الله - رضي الله عنه - : « أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ » .

(٢) ذكره السيوطي في الإتقان ٢٦٦/١ (١٢٩٢) ، ٢٨١/١ ط دار التراث وعزاه للداني . ولم أجده في كتب الداني ، فأظنه تصحيف ، والله أعلم .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وفي رواية أخرى أيضا عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « جَوِّدُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا تَخْلُطُوا بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ » .^(١)



وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، في معنى قول الله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾^(٢) ، قال : « التَّرْتِيلُ : تَجْوِيدُ الْحُرُوفِ وَمَعْرِفَةُ الْوُقُوفِ » .^(٣)



وقد ورد في رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ ؛ لِيزُبُو فِيهِ صَغِيرُكُمْ ، وَلَا يَنَأَى عَنْهُ كَبِيرُكُمْ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْرُجُ ، وَفِي لَفْظٍ : (يَفْرُ) ، مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » .^(٤)



وأیضا في رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ ، لَا تَلْبِسُوا بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ » .^(٥)



(١) ذكره الهندي في الكنز ٣٤٥/٢ (٤٢٠٩) وعزاه لابن أبي داود . ولم أجده في كتاب المصاحف لابن أبي داود فأظنه تصحيف أيضا والله أعلم .

(٢) [سورة المزمل : من الآية ٤] .

(٣) ذكره السيوطي في الإتقان ٢٢١/١ (١١٢٢) ، ٢٣٠/١ ط دار التراث . وابن الجزري في التمهيد ص ٦٠ . وهو من الأقوال المشهورة في كتب التجويد والقراءات ولم أقف له على إسناد .

(٤) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة ١٥٠/٦ . والنسائي في السنن ٢٤٠/٦ (١٠٨٠٠) وفي عمل اليوم والليلة ٥٣٥/١ (٩٦٤) .

(٥) [حسن] ، أخرجه الطبراني في الكبير ٢٥٣/٩ (٩٧٥٣) . وعبد الرزاق في "المصنف" ٣٢٢/٤ (٩٧٤٤) . وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٩/٢ (٨٥٤٧) ، ١٥٠/٦ (٣٠٢٥٢) . وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ١٥٤ - ١٥٥ .

وفي رواية أخرى أيضا عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ » .^(١)



وأيضا في رواية أخرى عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا تَكْتُبُوا فِيهِ شَيْئًا إِلَّا كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .^(٢)



وعن قرظة بن كعب - رضي الله عنه - ، قال : « خَرَجْنَا نُرِيدُ الْعِرَاقَ ، فَمَشَى مَعَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - إِلَى صَرَارَ - مَوْضِعَ بَقْرَبِ الْمَدِينَةِ - فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ لِمَ مَشَيْتُ مَعَكُمْ ؟ ، قَالُوا نَعَمْ ، نَحْنُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَشَيْتُ مَعَنَا ، قَالَ : إِنَّكُمْ تَأْتُونَ أَهْلَ قَزِيَّةٍ لَهُمْ دَوِيٌّ بِالْقُرْآنِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، فَلَا تَضُدُّوهُمْ بِالْأَحَادِيثِ فَتَشْغَلُوهُمْ ، جَرِّدُوا الْقُرْآنَ ، وَفِي رِوَايَةٍ : (جَرِّدُوا الْقُرْآنَ)^(٣) ، وَأَقْلُوا الرِّوَايَةَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، امضُوا وَأَنَا شَرِيكُكُمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ قِرْظَةَ قَالُوا حَدَّثْنَا ، قَالَ : نَهَانَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - » .^(٤)



- (١) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٩/٢ (٩٥٤٩) - ١٥٠/٦ (٣٠٢٥٣) .
والبيهقي في الشعب ٥٤٧/٢ (٢٦٧١) . وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ١٥٤ - ١٥٥ .
وأبو عمرو الداني في نطق المصاحف ص ١٠ .
- (٢) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي داود في "المصاحف" ص ١٥٥ . وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة ١٣٦/١ . وإبراهيم بن إسحاق الحربي في "رسالة القرآن غير مخلوق" ٥٣/١ .
- (٣) ذكرها ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٤٥٤ - ط الثانية - دار الكتب الإسلامية بالقاهرة . وأظن بأنها تصحيف من المخطوطة الأصلية .
- (٤) [صحيح] ، أخرجه الدارمي ٩٧/١ (٢٧٩) وصححه حسين سليم أسد . والطبراني في الأوسط ٢٧٩/٢ (١٩٨٢) . وعبد الرزاق في المصنف ٣٢٤/١١ (٢٠٦٦٢) . وابن المبارك في مسنده ١٤٠/١ (٢٢٦) . وأبو الفضل المقيري في "ذم الكلام" ٨/٤ . وابن سعد في طبقاته ٧/٦ . وابن حبان في المجروحين ٣٦/١ . وابن ماجه في سننه ١٢/١ (٢٨) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١١/١ (٢٦) ، والحاكم ١٨٣/١ (٣٤٧) وصححه ووافقه الذهبي . وصححه شيخنا أبو الأشبال الزهيري - حفظه الله - في صحيح جامع بيان العلم لابن عبد البر ٣٩٧/١ .

وعن إبراهيم التيمي ، أنه قال : كان يقال : « جَرَدُوا الْقُرْآنَ » .^(١)



وفي رواية أخرى عن عن إبراهيم التيمي ، قال : كان يُقال : « جَرَدُوا الْقُرْآنَ ،
وَلَا تَخْلُطُوا بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ » .^(٢)



وفي رواية أخرى عن إبراهيم التيمي ، أنه كان يكره نقط المصاحف ، ويقول :
« جَرَدُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا تَخْلُطُوا بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ » .^(٣)



وفي رواية أخرى عن إبراهيم التيمي ، أنه قال : كان يُكره أن يعشر المصحف
أو يصغر ، وكان يقول : « عَظَّمُوا الْقُرْآنَ » ، ولا تخلطوا به ما ليس منه ،
وكان يكره أن يكتب بالذهب ، أو يُعَلَّم عند رؤوس الآي ، وكان يقول :
« جَرَدُوا الْقُرْآنَ » .^(٤)



وروى شعيب بن الحبحاب ، أن أبا العالية كان يكره الجُمَل التي تُكتب في
المصاحف : فاتحة ، وخاتمة ؛ وقال : « جَرَدُوا الْقُرْآنَ » .^(٥)



- (١) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٩/٢ (٨٥٤٨ - ٨٥٥٠) - ١٥٠/٦ (٣٠٢٥٤) -
٣٠٢٥٥ . وأحمد في العلل ٣٦٧/١ (٧٠٥) . وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣٠/٣٤ .
(٢) [صحيح] ، أخرجه البيهقي في الشعب ٥٤٧/٢ (٢٦٧٣) .
(٣) [صحيح] ، أخرجه الداني في المحكم ص ١١ . وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٩/٢ (٨٥٤٨) .
(٤) [صحيح] ، أخرجه البيهقي في الشعب ٥٤٧/٢ (٢٦٧٤) .
(٥) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة ٢٣٩/٢ (٨٥٥١) - ١٥٠/٦ (٣٠٢٥٧) .

الديباجة:

قوله : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ » ، أي : صفوه وخلصوه مما ليس منه ولا تخلطوا به غيره - سواء كان في لفظه أو في رسمه - ، كما فسره بذلك في الرواية الأخرى بقوله : (وَلَا تَخْلِطُوا بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ) .

والخلط قد يكون في لفظه وتلاوته ؛ كما روى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ ؛ لِيَزْبُوَ فِيهِ صَغِيرُكُمْ ، وَلَا يَنْأَى عَنْهُ كَبِيرُكُمْ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » .^(١) ، وعن أبي المغيرة قال : قرأ رجل عند ابن مسعود - رضي الله عنه - ، فقال : أستعيذ بالله العليم من الشيطان الرجيم ، فقال عبد الله : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ »^(٢)

وقد يكون الخلط في خطه ورسمه ؛ كما روى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا تَكْتُبُوا فِيهِ شَيْئًا إِلَّا كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .^(٣) ، وكما قال إبراهيم التيمي : كان يكره أن يُعَشَّرَ المصحف أو يُصَغَّرَ ، وكان يقول : « عَظَّمُوا الْقُرْآنَ » ، ولا تخلطوا به ما ليس منه ، وكان يكره أن يُكْتَبَ بالذهب ، أو يُعَلَّم عند رؤوس الآي ، وكان يقول : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ » .^(٤)

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٥٠/٦ (٣٠٢٥٦) .

(٣) [صحيح] ، سبق .

(٤) [صحيح] ، سبق .

وقد ذكر الزركشي في البرهان ، عن إبراهيم الحربي في " غريب الحديث " :
قوله « جَرَدُوا » يحتمل فيه أمران :

أحدهما : أي جرده في التلاوة ، ولا تخلطوا به غيره .

والثاني : أي جرده في الخط من النقط والتعشير .^(١)



وقال الزمخشري في الفائق : قيل : أراد تجريده عن النُّقْطِ وَالْفَوَاتِحِ وَالْعُشُورِ ،
لئلاَّ يَنْشَأَ نَشْؤُ فِيرَى أَنهَا مِنَ الْقُرْآنِ . وقيل : هو حثُّ على ألا يتعلم معه
غيره من كتب الله ، لأنها تؤخذ عن النصارى واليهود وهم غير مأمونين ،
وقيل : إن رجلا قرأ عنده فقال : أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فقال :
ذلك . وفيه وجهٌ أسلوب الكلام ونظمه عليه أدلّ : وهو أن يجعل اللام
من صلة جَرَدُوا ويكون المعنى : اجعلوا القرآن لهذا وخُصُّوه به
واقصروه عليه دون النسيان والإعراض عنه من قولهم : جرد فلان لأمر
كذا وتجرد له . وتخلصه : خُصُّوا القرآن بأن يَنْشَأَ على تعلّمه صغاركم
وبالآ يتباعد عن تلاوته وتُدبِّره كباركم ؛ فإن الشيطان لا يقر في مكان
يقرأ فيه .^(٢)



(١) انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٧٩/١ .

(٢) الفائق في غريب الحديث - محمود بن عمر الزمخشري - الطبعة الأولى - دار المعرفة -

لبنان - ٢٠٥/١ .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقوله : « جَوِّدُوا الْقُرْآنَ » ، فالتجويد هو : (التحسين) ، والمراد هنا : أي حسنوا خطكم به إذا كتبتموه ، وحسنوا أصواتكم وأداءكم إذا قرأتموه .

.....

فمن تجويد الخط يروي عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، في قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ ، قال : « الْخَطُّ » .^(١)



وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - ، في قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ ، قال : « جَوْدَةُ الْخَطِّ » .^(٢)



وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - ، في قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ ، قال : « هُوَ الْخَطُّ » .^(٣)



(١) [صحيح] ، أخرجه الإمام أحمد ٢٢٦/١ (١٩٩٢) وقال محققه شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٩٩/١٠ (١٠٧٢٥) وفي الأوسط ٩٠/١ (٢٦٩) . وقال الهيثمي في المجمع ٤٥٦/١ (٩٢٧) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٢٦٠/١ (٥٣٢) . والطبري في تفسيره ٢٧١/١١ . والطبراني في الأوسط ١٥١/١ (٤٧٢) . والحاكم في المستدرک ٤٩٣/٢ (٣٦٩٥) وصححه ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص ، وأخرجه أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي القطيعي في "جزء الألف دينار" وهو الخامس من الفوائد المتتقا والأفراد الغرائب ٤١٢/١ (٢٧١) - ط الأولى ١٩٩٣ م - دار النفائس - الكويت ، وصححه محققه بدر بن عبد الله البدر .

(٣) [صحيح] ، أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٩٣/٢ (٣٦٩٤) موقوفاً وصححه ، وقال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ كَتَبَ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فَجَوَّدَهُ تَعْظِيمًا لِلَّهِ ؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ » . (١)



وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، قال : « تَنَوَّقَ رَجُلٌ فِي : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فَغَفِرَ لَهُ » . (٢)



(١) [حسن لغيره] ، أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٨٨٧) . والجرجاني في تاريخ جرجان ٤٤٠/١ . والخطيب في تاريخ بغداد ٤٣/٥ (٢٣٨٠) . وابن عدي في الكامل ٤٩/٥ (١٢٢٠) . وذكره السيوطي في الإتقان ٤٥٣/٢ (٦١٩٩) ، وفي الدر المنثور ٢٧/١ - ٢٨ ، وعزاه لأبي نعيم في تاريخ أصبهان وابن اشته في المصاحف بسند ضعيف . وحسنه لغيره محمد طاهر بن علي الصديقي في تذكرة الموضوعات ١٥٢/١ وقال : « فيه أبان وأبو حفص العبدي وأبو سالم ضعفاء قلت له طريق آخر عنه وله شاهد قوى عن علي موقوفا وله حكم الرفع » . اه . وحسنه لغيره أيضا علي بن محمد بن عزاق في "تنزيه الشريعة المرفوعة" ٢٦٠/١ وقال : ولها شاهد قوى عند البيهقي في الشعب عن علي موقوفا بلفظ : « تنوق رجل في بسم الله الرحمن الرحيم فغفر له » وله حكم الرفع .

(٢) [حسن لغيره] ، أخرجه البيهقي في الشعب ٥٤٦/٢ (٢٦٦٧) . والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٢٦٠/١ (٥٣٥) . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧/١ - ٢٨ ، وفي الإتقان ٤٥٣/٢ (٦١٩٨) . والزرکشي في البرهان ٤٧٩/١ . وفيه حفص بن عمر بن ميمون العدني الصنعاني ضعفه الجمهور وقال المزني في تهذيب الكمال ٤٢/٧ (١٤٠٥) : « قال عبد الرحمن بن أبي حاتم أخبرنا أبو عبد الله الطهراني قال حدثنا حفص بن عمر العدني وكان ثقة وقال أبو حاتم لين الحديث وقال النسائي ليس بثقة وقال أبو أحمد بن عدي وعامة حديثه غير محفوظ وأخاف أن يكون ضعيفا كما ذكره النسائي » . اه . قلت : وعموما فهو حسن بما قبله كما قال محمد طاهر بن علي الصديقي في تذكرة الموضوعات ١٥٢/١ بل وقال : وله حكم الرفع . وكذلك حسنه بما قبله علي بن محمد بن عزاق في "تنزيه الشريعة المرفوعة" ٢٦٠/١ وقال أيضا : « وله حكم الرفع » .

وعن عصمة أبي حكيمة ، قال : كنا نكتب المصاحف بالكوفة ، فيمر علينا علي - بن أبي طالب - عليه السلام ، ونحن نكتب ، فيقوم فيقول : « اجلِ قَلَمَكَ » ، قال : فقططت منه ، ثم كتبت ، فقال : « هَكَذَا ، نَوْرُوا مَا نَوَّرَ اللَّهُ تَعَالَى » .^(١)



وعن محمد بن مخلد العطار ، قال : سمعت حنبل بن إسحاق يقول : رأني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطا دقيقا ، فقال : « لَا تَفْعَلْ ، أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ يَخُونُكَ » .^(٢)



قال البيهقي في "الشعب" : « من آداب القرآن : أن يُفخَم ، فيُكتب مُفرجا بأحسن خط ؛ فلا يُصغر ، ولا تُقرمط حروفه ، ولا يُخلط به ما ليس منه ؛ كعدد الآيات والسجديات والعشرات والوقوف واختلاف القراءات ومعاني الآيات » .^(٣)



(١) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٤٨/٦ (٣٠٢٢٦) - ٢٤٠/٢ (٨٥٥٥) قال : حدثنا وكيع قال ثنا عبد الملك بن شداد الأودي عن عبيد بن سليمان العبدي عن أبي حكيمة العبدي . ومن طريقه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٢٦٠/١ (٥٣٥) . وأخرجه البيهقي في الشعب ٥٤٥/٢ (٢٦٦٣) من طريق سعيد بن منصور ثنا هشيم أخبرني عبد الملك بن شداد بسنده سواء .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٢٦٠/١ (٥٣٧) .

(٣) شعب الإيمان ٣١٩/٢ . وذكره السيوطي في الإتقان ٤٥٥/٢ (٦٢٢٣) .

وأما عن تحسين الصوت وتجويده فيروي لنا أبو هريرة - رضي الله عنه - ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ : مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ، يَجْهَرُ بِهِ » .^(١)



وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول : « حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ : يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا » .^(٢)



وفي رواية أخرى عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول : « زَيِّتُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا » .^(٣)



وعن علقمة بن قيس قال : كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن ، فكان ابن مسعود - رضي الله عنه - يرسل إلي ، فأقرأ عليه القرآن ، فكنت إذا فرغت من قراءتي قال : زدنا من هذا فذاك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول : « حُسْنُ الصَّوْتِ : زِينَةُ الْقُرْآنِ » .^(٤)



-
- (١) [صحيح] ، سبق .
 (٢) [صحيح] ، سبق .
 (٣) [صحيح] ، سبق .
 (٤) [حسن] ، سبق .

ضابط التجويد:

إن للتجويد حدًّا ؛ فما زاد عليه فهو إفراط، وما نقص عنه فهو تفريط ، وضابطه: أن يوافق ما ورد ؛ فيقرأ كما أنزل على النبي - ﷺ - ، ويكتب كما كتب بين يديه، من غير زيادة أو نقصان أو تعديل تغيير أو تحريف أو تبديل؛ فلو خالف ما ورد = فلا يكون مجودا ، ولا يوصف بالحسن .

فقوله : « جَوِّدُوا الْقُرْآنَ ، وَزَيِّنُوهُ بِأَحْسَنِ الْأَصْوَاتِ » ، فليس معنى هذا إطلاق العنان للأصوات لتعمل في القرآن كيف شاءت أو لتتناغم به كيفما تراءت ؛ ولذلك فقد قال بعده في نفس الرواية : « وَأَعْرِبُوهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ » أي حسنوا أصواتكم به كما تحسن العرب أصواتها بفطرتها وطبيعتها وأسلوبها ومذاهبها في القراءة والترنم؛ وليس المراد به : الإعراب المصطلح عليه عند النحاة ، كما قال المناوي في فيض القدير^(١) ، والسيوطي في الإتقان .^(٢)

قلت : وقد اصطلح أكثر أهل العلم من المتأخرين على إطلاق (التجويد) على العلوم الخاصة بأحكام تلاوة القرآن الكريم ؛ فعرفت هذه العلوم حديثا (بعلم التجويد) ؛ وأصبح التجويد اصطلاحا مرادفا الترتيل ، وإليك بعض أقوال أهل العلم ونصوصهم في ذلك . ←

* * *

(١) فيض القدير ٥٥٨/١ (١١٤٩) .

(٢) الإتقان للسيوطي ، باب "في معرفة غريبه" ٣٠٣/١ (١٤٩٥) .

أولاً: معنى التجويد لغةً:

التجويد لغةً : « التحسين » ، وهو من جاد الشيء جَوَّدَهُ ، أو أجاد الشيء إجادة ،
والجيد : نقيض الرديء ، وَجَوَّدَ الشيء : أي صار جيداً ، وأجَدت الشيء
فجاد ، والتجويد مثله .^(١)

.....

قال الإمام محمد ابن الجزري - رحمه الله تعالى - : التجويد : مصدر من جود
تجويداً ، والاسم منه الجودة ، ضد الرداءة ، يقال جود فلان في كذا ، إذا
فعل ذلك جيداً ، فهو عندهم عبارة عن الإتيان بالقراءة مجودة بالألفاظ ،
بريئة من الرداءة في النطق ، ومعناه : انتهاء الغاية في إتقانه ، وبلوغ
النهاية في تحسينه .^(٢)



وقال الإمام أبو عمرو الداني - رحمه الله تعالى - : اعلموا - أيديكم الله بتوفيقه -
: أن التجويد : مصدر من جودت الشيء ، ومعناه : انتهاء الغاية في إتقانه ،
وبلوغ النهاية في تحسينه ، ولذلك يقال : جود فلان في كذا : إذا فعل
ذلك جيداً ، والاسم منه : الجَوْدَةُ .^(٣)

* * *

(١) لسان العرب لابن منظور ٣ / ١٣٥ .

(٢) التمهيد لابن الجزري ص ٥٩ .

(٣) التحديد في الإتقان والتجويد ص ٦٨ .

ثانيا: معني التجويد اصطلاحا:

معني التجويد اصطلاحا : [إخراج كل حرف من مخرجه ، مع إعطائه حقه ومستحقه ، على الصفة المتلقاة] ، من غير زيادة ، أو نقصان ، أو تغيير ، أو تحريف ، أو تبديل .^(١)

.....

قال الإمام محمد ابن الجزري - رحمه الله - : فالتجويد هو حلية التلاوة وزينة القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها ، وترتيبها مراتبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله ، وإلحاقه بنظيره وشكله ، وإشباع لفظه ، وتلطيف النطق به على حال صيغته وهيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ، ولا إفراط ولا تكلف ، قال الداني : ليس بين التجويد وتركه - إلا رياضة لمن تدبره بفكته .^(٢)

وقال الإمام السخاوي - رحمه الله - : المراد بالتجويد : إعطاء الحروف حقاها ، وإخراجها من مخرجها ، واجتناب اللحن الخفي .^(٣)

(١) هذا التعريف هو ما اصطلح عليه أهل العلم حديثا .

(٢) التمهيد لابن الجزري ص ٥٩ .

(٣) جمال القراءة وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي ص ٣٣٥ .

وقال صديق حسن في "أبجد العلوم" : علم التجويد هو : علم باحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم ، من جهة مخارج الحروف وصفاتها وترتيل النظم المبين بإعطاء حقها من الوصل والوقف والمد والقصر والروم والإدغام والإظهار والإخفاء والإمالة والتحقيق والتفخيم والتشديد والتخفيف والقلب والتسهيل إلى غير ذلك ؛ وهذا العلم نتيجة فنون القراءة وثمرتها وهو كالموسيقى من جهة أن العلم لا يكفي فيه بل هو : عبارة عن ملكة حاصلة عن تمرن امرئ بفكرة وتدربه بالتلقف عن أفواه معلميه ، ولذلك لم يذكره أبو الخير واكتفى عنه بذكر القراءة وفروعها ، والتجويد أعم من القراءة ، وأول من صنف في التجويد موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني البغدادي المقرئ المتوفى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ، ذكره ابن الجزري ، ومن المصنفات فيه : الدر اليتيم وشرحه ، والرعاية ، وغاية المراد المقدمة الجزرية وشرحها واضحة.^(١)



وقال الإمام أبو عمرو الداني - رحمه الله - : فتجويد القرآن : هو إعطاء الحروف حقوقها ، وترتيبها مراتبها ، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله ، وإلحاقه بنظيره وشكله ، وإشباع لفظه ، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف ، وليس بين التجويد وتركه - إلا رياضة من تدبره بفكته .^(٢)



(١) أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ١٤٤/٢ .

(٢) التحديد في الإتقان والتجويد ص ٦٨ .

وقال السيوطي في "الإتقان" : ومن المهمات : (تجويد القرآن) ، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف ، منهم الداني ، وغيره ، أخرج عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، أنه قال : « جَوِّدُوا الْقُرْآنَ » .^(١) ، قال القراء : التجويد : حلية القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله ، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف .^(٢)

وقال الأستاذ لبيب السعيد في "التغني بالقرآن" : والتجويد في الاصلاح : تلاوة القرآن ← بإعطاء كل حرف من حروفه حقه في مخرجه ، وطبقته اللازمة له ، من همس ، وجهر ، وشدة ، ورخاوة ، ونحوها ، وإعطاء كل حرف مستحقه من الصفات المذكورة كترقيق المستفل ، وتفخيم المستعلي ، ونحوهما ، ورد كل حرف إلى أصله من غير تكلف ، والتجويد يعلم بالتلقين من أفواه المشايخ العارفين بطرق أداء القرآن ، وتسبق هذه المادة معرفة مخارج الحروف وصفاتها ، والوقف والابتداء والرسم .^(٣)

(١) [حسن] ، ذكره السيوطي في الإتقان ٢٦٦/١ (١٢٩٢) . والهندي في الكنز ٣٤٥/٢ (٤٢٠٩) وعزاه لابن أبي داود .

(٢) الإتقان في علوم القرآن "للسيوطي" ٢٦٦/١ (١٢٩٣) .

(٣) التغني بالقرآن للباحث لبيب سعيد ص ٥٨ .

وقال أبو العلاء الهمداني في "التمهيد" : تجويد القراءة وتحبيرها : هو تصحيح الحروف وتقويمها ، وإخراجها من مخارجها ، وترتيبها مراتبها ، وردها إلى أصولها ، وإلحاقها بنظائرها ، من غير إفراط يؤدي إلى التشنيع ، ولا نقصان يُفضي إلى التَّضْيِيع ، بل بملاحظة الرفق والسهولة ، ومجانبة الشدة والصعوبة ، ومتى أَحَلَّ التالي بشيء من وصفها ؛ فقد أزالها عن حدها ورفضها .^(١)



قلت : والتجويد بهذا المعنى الاصطلاحي قد استُعمل حديثا مرادفا للترتيل ، غير أن الترتيل أعم وأشمل كما سبق وبيننا بما يغني عن الإعادة هنا ، فله الحمد والمنة .



(١) التمهيد في معرفة التجويد ، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني العطار ص ٦٢ .

الفصل السادس والأربعون

اللحن في القرآن

عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - ، قال : « الشُّهداءُ في قِبابٍ في رِياضٍ بِفِناءِ الجَنَّةِ ، يَبْعَثُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ حُوتًا كُلَّ يَوْمٍ وَثُورًا ، فَيَعْتَرِكَانِ - فَيَلْهُونَ بِهِمَا - ، فَإِذَا اشْتَهَوْا الغُدَاةَ ؛ عَقَرَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهِ - فَوَجَدُوا - طَعْمَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الجَنَّةِ ، وَقَالَ : [تَعَلَّمُوا اللِّحْنَ فِي الْقُرْآنِ ، كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ] » .^(١)

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، قال : « تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ ، وَاللِّحْنَ ، وَالسُّنَنَ ؛ كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ » .^(٢)

وفي رواية أخرى ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، قال : « تَعَلَّمُوا اللِّحْنَ ، وَالْفَرَائِضَ ، فَإِنَّهُ مِنْ دِينِكُمْ » .^(٣)

- (١) [صحيح] ، أخرجه ابن عدي قي الكامل ٢٠٩/١ (٥٦) . ومن طريقه البيهقي في الشعب ٤٢٩/٢ (٢٣٠١) . وأخرج صدره ابن أبي شيبة ٢٠٧/٤ (١٩٣٥٠) . وابن المبارك في الجهاد ٥٩/١ (٦٠) . ورجاله كلهم ثقات ، وله حكم المرفوع لأن مثله لا يقال بالرأي .
- (٢) [صحيح] ، أخرجه سعيد ابن منصور في سننه ٢٥/١ (١) . والبيهقي في الكبرى ٢٠٩/٦ (١١٩٥٦) . والدارمي ٤٤١/٣ (٢٨٥٠) ، وقال حسين سليم أسد : إسناده صحيح .
- (٣) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١٧/٦ (٢٩٩٢٦) .

وأيضاً في رواية أخرى ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، قال : « تَعَلَّمُوا اللَّحْنَ ، وَالْفَرَائِضَ ، وَالسُّنَّةَ ، كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ » .^(١)

وعن سليمان بن يسار - رحمه الله - ، قال : « خَرَجَ عُمَرُ عَلَى قَوْمٍ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَرَاغِبُونَ فِيهِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ ، فَقَالُوا : نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنَتَرَاغِبُ ، فَقَالَ : تَرَاغِبُوا ، وَلَا تَلْحَنُوا » .^(٢)

وأيضاً في رواية أخرى ، عن سليمان بن يسار ، قال : « انْتَهَى عُمَرُ إِلَى قَوْمٍ يُقْرَأُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَلَمَّا رَأَوْا عُمَرَ سَكَتُوا ، فَقَالَ : مَا كُنْتُمْ تَرَاغِبُونَ ، قُلْنَا : كُنَّا نَقْرَأُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَقَالَ : اقْرَأُوا وَلَا تَلْحَنُوا » .^(٣)

وروى سوادة بن الجعد ، عن أبي جعفر - رحمه الله - ، قال : « مِنْ فِيقِهِ الرَّجُلِ عِرْفَانُهُ اللَّحْنَ » .^(٤)

* * *

- (١) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٤٠/٦ (٣١٠٤٤) .
 (٢) [صحيح موقوف] ، أخرجه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء : ١٩ / ١ .
 (٣) [صحيح موقوف] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١٧/٦ (٢٩٩٢٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان : ٤٢٩/٢ (٢٢٩٨) .
 (٤) [مرسل] ، أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" ١٧٧/٦ (٢٩٩٢٧) .

الديباجة:

معنى قوله : « تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ » ، أي : تعلموا ما فرض الله لكم من الموارِيث ،
أو الأحكام والشرائع عموماً .



ومعنى قوله : « تَعَلَّمُوا اللَّحْنَ فِي الْقُرْآنِ » ، أي : تعلموا الخطأ في القرآن ؛ لا
لتعملوا به أو لتتكلّموا به ؛ ولكن لتجتنبوه ولا تقعوا فيه ، وهذا من باب
قولهم :

عَرَفْتُ الشَّرَّ لِلسَّرِّ لَكِنْ لَتَوَقَّيْهِ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعُ فِيهِ

وقيل المراد باللحن ها هنا : (اللغة) ، يقول : (تعلموا اللغة) يعني الغريب
والنحو كما تتعلمون القرآن ، لأنّ في اللغة علم غريب القرآن ومعانيه
ومعاني الحديث والسنة ، ومن لم يعرف اللغة : لم يعرف أكثر كتاب الله
ولم يقممه ولم يعزف أكثر السنن .^(١)

* * *

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ٦١/٢ .

معنى اللحن لغةً:

للحن في اللغة عدة معانٍ ، منها : « التطريب ، والغناء ، واللغة الخاصة ، والمعنى ، واللهجة الخاصة ، واللكنة الخاصة ، والفطنة ، والفهم ، والتعريض ، والتورية ، وفحوى القول ومعناه ، والخطأ ، والعدول عن الصواب ، والانحراف عن الاستقامة » .^(١)

.....

قال الزبيدي في "تاج العروس" : للحن سبعة معانٍ : « الغناء ، واللغة ، والخطأ ، في الإعراب ، والميل ، والفطنة ، والتعريض ، والمعنى » .^(٢)



وقال ابن منظور في "لسان العرب" : « قال ابن بري وغيره : للحن ستة معانٍ : الخطأ في الإعراب ، واللغة ، والغناء ، والفطنة ، والتعريض ، والمعنى » .^(٣)

* * *

(١) انظر : معجم تاج العروس للزبيدي ص (٨١٦٣) . ولسان العرب لابن منظور ٣٧٩/١٣ . والقاموس المحيط ٥٧٠/١ . ومختار الصحاح ٤٠٣/١ ، والمصباح المنير للفيومي ٥٥١/٢ ، والعين للخليل بن أحمد ٢٣٩/٣ ، والفائق للزمخشري ٢٠٨/٣ ، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير ٣٧٦/١ ، وغريب الحديث لابن سلام ٢٣٢/٢ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ٦١/٢ ، وشرح شافية ابن الحاجب ، وتهذيب اللغة للأزهري ٦١/٥ . والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٢٥٨/٣ . والتمهيد في علم التجويد لابن الجزري ص ٧٥-٧٦ . ولابن القيم - رحمه الله - مبحث نفيس جداً في معنى اللحن وأنواعه - فليراجع - زاد المعاد في هدي خير العباد ٤٨٢/١-٤٩٣ - تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط .

(٢) معجم تاج العروس للزبيدي ص (٨١٦٣) .

(٣) لسان العرب لابن منظور ٣٧٩/١٣ .

أولاً: اللحن بمعنى الخطأ:

قال الرازي في "مختار الصحاح" : اللَّحْنُ : (الخطأ في الإعراب) ..، ويقال فلان لَحَّانٌ وَلِحَانَةٌ أيضا أي : يخطئُ ، والتَّلْحِينُ : (التخطئة).^(١)

وقال الزمخشري : ومنه قول أبي العالية : « كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ يُعَلِّمُنِي لَحْنَ الْكَلَامِ » .^(٢) ، قالوا : هو الخطأ ؛ لأنه إذا بَصَّرَهُ الصواب فقد بَصَّرَهُ اللحن .^(٣)

وقال ابن سلام : واللحن : (الخطأ في الكلام) ، وهو بجزم الحاء ، يقال : قد لحن الرجل لحنًا ، ومنه قول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَاللَّحْنَ ، وَالسُّنْنَ ، كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ » .^(٤) ^(٥)

(١) مختار الصحاح ٤٠٣/١ .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي العالية ، قال : « كنت أطوف مع ابن عباس -رضي الله عنه- بالبيت ، فكان يأخذ بيدي فيعلمني لحن الكلام ، فقال : يا أبا العالية ! لا تقل : (انصرفتم من الصلاة) ، ولكن قل : (قضيت الصلاة) ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ . وصححه الحاكم ٣٦٨/٢ (٣٢٩٥) ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٣) الفائق ٣٧٧/٢ .

(٤) [صحيح] ، سبق .

(٥) غريب الحديث لابن سلام ٢٣٣/٢ .

وقال ابن سيده فى "المخصص" : اللحن : (خلاف الصواب) ، فى الكلام والقراءة والنشيد .^(١)



وقال الجوهري : - واللَّحْنُ - : (الخطأ فى الإعراب) على قول من قال : تزيله عن جهته وتعده ؛ لأن اللحن الذى هو الخطأ فى الإعراب : هو (العدول عن الصواب) .^(٢)



وقال الخليل بن أحمد فى "العين" : واللَّحْنُ : (تَرْكُ الصَّوَابِ فى القراءة والنَّشِيدِ) .^(٣)



وقال ابن منظور فى "لسان العرب" : واللَّحْنُ واللَّحْنُ واللَّحَانَةُ واللَّحَانِيَّةُ : (تَرْكُ الصَّوَابِ فى القراءة والنَّشِيدِ) ، ونحو ذلك : لَحْنٌ يَلْحَنُ لَحْنًا وَلَحْنًا .^(٤)



وروى ابن قتيبة ، عن عيسى بن عمر : قولهم (يلحن) : أرادوا : اللحن الذى هو الخطأ .^(٥)



(١) المخصص ١/١٩٤ .

(٢) تاج العروس ص (٨١٦٢) .

(٣) العين ٣/٢٣٠ .

(٤) لسان العرب ٣/٢٣٠ .

(٥) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/٤١٨ .

وقال عبد الوهاب القرطبي : واللحن : الخطأ ومخالفة الصواب ، وبه سُمِّي الذي يأتي بالقراءة على ضد الإعراب لحاناً ، وسُمِّي فعله اللحن ؛ لأنه كالمائل في كلامه عن جهة الصواب ، والعادل عن قصد الاستقامة .^(١)



قلت : [وإنما سمي الخطأ لحناً : لميل صاحبه وعدوله عن جهة الصواب في القراءة والكلام] .



(١) الموضح في التجويد لعبد الوهاب بن محمد القرطبي ص ٥٦ . وانظر كذلك : التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ص ٧٦ .

ثانيا: اللحن بمعنى التطريب:

قال الأزهري في "تهذيب اللغة": قال الليث: (الألحان): الضُّرُوبُ من الأصواتِ الموضوعةِ المصوغةِ. (١)

وقال ابن الأثير: (اللُّحُونُ والألحان): جمع لَحْنٍ، وهو التَّطْرِيبُ، وترجيح الصَّوْتِ، وتحسين القراءة والشعر والغناء. (٢)

وقال الزبيدي: لَحْنٌ في قراءته تلحينا، طرب فيها وغرد بالحنان، يقال: هذا لحن معبد وألحانه وملاحنه: لما مال إليه من الأغاني. (٣)

وقال الرازي في مختار الصحاح: (اللَّحْنُ): واحد الأَلْحَانِ واللُّحُونِ، ومنه الحديث: { اقرأوا القرآن بلحون العرب }، وقد لَحَنَ في قراءته من باب قطع: إذا طَرَّبَ بها، وغَرَّدَ، وهو ألحن الناس: إذا كان أحسنهم قراءة، أو غناء. (٤)

(١) تهذيب اللغة ٦١/٥ .

(٢) النهاية في غريب الأثر ٣٧٦/١ .

(٣) تاج العروس ص (٨١٦٣) .

(٤) مختار الصحاح ٤٠٣/١ .

وقال ابن منظور : (اللَّحْنُ) : من الأصوات المصوغة الموضوعة ، وجمعه
 أَلْحَانٌ ولُحُونٌ ، وَلَحْنٌ في قراءته : إذا غَرَّدَ وطَرَّبَ فيها بِالْحَانَ ، وهو
 أَلْحَنُ الناس : إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء ، وفي الحديث : { اقرؤوا
 القرآن بلُحُونِ العرب } ، واللَّحْنُ الذي هو الغِنَاءُ وتَرْجِيعُ الصوت
 والتَّطْرِيبُ شاهدُه قول يزيد بن النعمان :

لَقَدْ تَرَكْتُ فُوَادِكَ مُسْتَجِنًا مُطَوِّقَةً عَلَيَّ فَنَنْ تَغْنَى
 يَمِيلُ بِهَا وَتَرْكِبُهُ بِلَحْنٍ إِذَا مَا عَنَّ لِلْمَحْزُونِ أَنَا
 فَلَا يَحْزُنُكَ أَيَّامٌ تَوَلَّى تَذَكَّرَهَا وَلَا طَيِّزَ أَرْنَا

وقال بعضهم :

وَهَاتِفِينَ بِشَجْوٍ بَعْدَمَا سَجَعْتُ ... وَرُزْقِ الْحَمَامِ بِتَرْجِيعٍ وَإِزْنَانِ
 بَاتَا عَلَى غُضْنِ بَانٍ فِي ذُرَى ... فَنَنْ يُرِدِّدَانِ لُحُونًا ذَاتَ أَلْوَانِ^(١).

قلت : [وإنما سمي التطريب لحنًا ؛ لميل المتكلم بصوته عن جهة الاستقامة] .
 كما قال الزمخشري : (واللحن) : منه الألحان في القراءة والنشيد ؛
 لميل صاحبها بالمقروء والمنشد إلى خلاف جهته بالزيادة والنقصان
 الحادثين بالترنم والترجيع^(٢) .

* * *

(١) لسان العرب ٣٧٩/١٣ .

(٢) الفائق ٢٠٩/٣ .

ثالثاً: اللحن بمعنى اللغة الخاصة أو المحلية:

قال الأزهري في "تهذيبه" : قال أبو عبيد عن أبي زيد : لحن الرجل بلحنه : إذا تكلم بلغته .^(١)

وقال ابن قتيبة في "غريب الحديث" : قال أبو محمد في حديث عمر - ﷺ - أنه قال : « تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ ، وَاللَّحْنَ ، وَالسَّنْنَ = كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ »^(٢) ، فروى بسنده عن مورق العجلي ، قال : اللحن ها هنا : (اللغة) ، يقول: تعلموا اللغة ، يعني : (الغريب والنحو) ، كما تتعلمون القرآن ؛ لأن في اللغة - علم غريب القرآن ومعانيه ومعاني الحديث والسنة ، ومن لم يعرف اللغة = لم يعرف أكثر كتاب الله ، ولم يقمه ، ولم يعرف أكثر السنن .^(٣)

وقال ابن سيده في "المحکم والمحيط الأعظم" : وَلَحَنَ الرَّجُلُ يَلْحَنُ لِحْنًا : إِذَا تَكَلَّمَ بِلُغَتِهِ .^(٤)

(١) تهذيب اللغة ٦١/٥ .

(٢) [صحيح] ، سبق .

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ٦١/٢ .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ٢٥٨/٣ .

وقال الزمخشري : وقال ابن الأعرابي : واللَّحْنُ أيضاً بالتحريك : (اللغة) ، وقد رُوي : « أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلَحْنِ قُرَيْشٍ » ، أي : بِلِغَتِهِمْ ، ومنه قول عُمر - رضي الله عنه - : « تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ وَاللَّحْنَ »^(١) ، أي : (اللغة) ... ، ومنه حديث عمر - رضي الله عنه - : « أَبُيٌّ أَفْرُؤُنَا ؛ وَإِنَّا لَنَرَعْبُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ لَحْنِهِ »^(٢) ، أي : لغته ، ومنه حديث أبي ميسرة في قوله تعالى : (سَيَلَّ الْعَرِمَ) : العَرِمُ المسنَّاةُ بلحن اليمن ، وقال ذو الرُّمَّة :

فِي لَحْنِهِ عَنِ لُغَاتِ الْعُرْبِ تَعْجِيمٌ

وحقيقته راجعة إلى ما ذكر من معنى الميل ؛ لأن لحن كل أمة جهتها التي تميل إليها في النطق .^(٣)



قلت : [وإنما سميت اللغة الخاصة لحنًا : لميل صاحبها عن اللغة العامة إلى لغته الخاصة] .^(٤)



- (١) [صحيح] ، سبق .
- (٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٤٧١٩) وغيره ، عن ابن عباس - رضي الله عنه - ، قال : « قَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه - : أَبُيٌّ أَفْرُؤُنَا ، وَإِنَّا لَنَدْعُ مِنْ لَحْنِ أَبِي ، وَأَبِيٌّ يَقُولُ أَخَذْتَهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَلَا أَتْرُكُهُ لَشَيْءٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسأها نأتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ » .
- (٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٤٦٠ .
- (٤) وقد سبق الإشارة إلى هذا القول من كلام الزمخشري في "النهاية في غريب الحديث والأثر" ٤/٤٦٠ .

رابعاً: اللَّحْنُ بمعنى الفطنة:

قال الخليل بن أحمد في "العين": وَاللَّحْنُ بفتح الحاء: (الفطنة)، ورجلٌ لَحِنٌ إذا كان فَطِنًا. (١)

وقال الرازي في مختار الصحاح: وَاللَّحْنُ بفتح الحاء: (الفطنة)، وقد لَحِنَ من باب طرب، وفي الحديث: «وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنَ الْآخِرِ» (٢)، أي أفطن لها. (٣)

وقال الزمخشري في "الفائق": واللحن: بمعنى الفطنة. وقال يعقوب: اللَّحِنُ: العالم بعواقب الأقوال، وجول الكلام. وقال أبو زيد: يقال: لحنه عني، أي فهمه، وألحنه إياه، فقولهم: (على أنه يلحن)، معناه: أنه يُحَسِّنُ الفَهْمَ ويبين الحجة، مخرَج على أسلوب قوله:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ. (٤)

* * *

(١) العين ٢٣٩/٣.

(٢) [صحيح]، أخرجه البخاري (٢٤٥٨ - ٦٩٦٧). ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا».

(٣) مختار الصحاح ٤٠٣/١.

(٤) الفائق ٣٧٧/٢.

خامسا: اللحن بمعنى اللهجة أو اللكنة:

قال الزمخشري في "الفائق": وفي حديث معاوية - رضي الله عنه - ، أنه قال : كيف ابنُ زياد ؟، قالوا : ظريف ، على أنه يَلْحَن ، فقال : أو ليس ذاك أظرف له ؟، قالوا : إنما استظرفه لأن السَّلِيْقِيَّةَ وتَجُنَّبُ الإعراب مما يُسْتَمْلَخُ في البِدْلة من الكلام ، ومن ذلك قوله :

مَنْطِقٌ عَاقِلٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

وقيل : أرادوا باللَّحْنِ : (اللكنة التي كان يرتضخها) ، وأرادوا : عنيهِ فصرفه إلى ناحية المدح . يريد : وليس ذاك أظرف له ؟^(١)

وقال الخطابي في "غريب الحديث" : ووجه ثالث : وهو أن يكون إنما أرادوا باللحن : (اللكنة التي كان ابن زياد يرتضخها) ، ذكروا أنه كان يرتضخ لكنة فارسية ، وقال لرجل اتهمه برأي الخوارج : أهروري أنت ، يريد : أحروري ، وقال في كلام له : من كاتلنا كاتلناه ، يريد : قاتلنا ، وإنما أتته هذه اللكنة من قبل أمه شيرويه ، وكانت ابنة بعض ملوك فارس .^(٢)

قلت : [وإنما سميت اللهجة الخاصة لحنًا : لميل صاحبها عن اللهجة العامة] .

* * *

(١) الفائق ٣٧٧/٢ .

(٢) غريب الحديث للخطابي ٥٣٨/٢ .

سادسا: اللَّحْنُ بمعنى التورية وفحوى الكلام:

قال الرازي في "مختار الصحاح": لَحَنَ له : قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره ، وبابه قطع ، وَلَحَنَهُ هو عنه ، أي : فهمه ، وبابه طرب ، وَالْحَنَهُ هو إياه ، وقول الفزاري :

مَنْطِقٌ وَاضِحٌ وَتَلَحَّنُ أَحْيَا ... نَأْ وَخَيْرُ الْكَلَامِ مَا كَانَ لَحْنًا .

يريد أنها تتكلم وهي تريد غيره وتعرض في حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها كما قال الله تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠] ، أي : في فحواه ومعناه .^(١)

وقال الزمخشري : ولحنت لفلان ، إذا قلت له قولاً يفهمه هو ويخفى على غيره ؛ لأنك تميله عن الواضح المفهوم بالتورية ، قال :

مَنْطِقٌ وَاضِحٌ وَتَلَحَّنُ أَحْيَا ... نَأْ وَخَيْرُ الْكَلَامِ مَا كَانَ لَحْنًا .

أي تارة توضّح هذه المرأة الكلام ، وتارة توري لتخفيه عن الناس ، وتجيء به على وجه يفهمه هو دون غيره ؛ ومن هذا قالوا : لحن الرجل لحناً فهو لحن ؛ إذا فهم وفطن لما لا يفطن له غيره ، والأصل المرجوع إليه هو : الميل والعدول .^(٢)

(١) مختار الصحاح ٦١٢/١ .

(٢) الفائق ٣٠٩/٣ .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقال الراغب الأصفهاني : ... وإما بإزالته - أي الكلام - عن التصريح ، وصرفه
بمعناه إلى تعريض وفحوى ، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث
البلاغة ، وإياه قصد الشاعر - بقوله - :

وخيِرُ الكَلَامِ ما كان لَحْنًا

وإياه قُصد بقوله تعالى : ﴿ وَتَعَرَّفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾^(١) ، أي : معناه
وفحواه.^(٢)



وقال ابن الحاجب :

وَلَقَدْ لَحْنْتُ لَكُمْ لِكَيْمًا تَفْقَهُوا ... وَاللَّحْنُ يَغْرِفُهُ ذُوو الْأَلْبَابِ .^(٣)



وقال القَتَّالُ الكلابي :

وَلَقَدْ لَحْنْتُ لَكُمْ لِكَيْمًا تَفْقَهُوا ... وَوَحَيْتُ وَحْيًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ .^(٤)



(١) [سورة محمد - ٣٠ : -] .

(٢) انظر : مفردات غريب القرآن - للراغب الأصفهاني ص ٤٤٩ . وتفسير الطبري ، ٦١/٢٦ .
وتفسير غريب القرآن لمحمد بن أبي بكر الرازي ص ٥١٢ . وفتح القدير لمحمد بن علي
الشوكاني ٥٧/٥ - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٠٣ هـ . وغيرهم .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ٤/١٧٩ .

(٤) لسان العرب ١٣/٣٧٩ . وتاج العروس ص ٨١٦٢ .

سابعاً: اللَّحْنُ بمعنى الميل عن الاستقامة:

قال الزمخشري في " الفائق " : واللَّحْنُ واللَّحْدُ : أخوان في معنى الميل عن جهة الاستقامة ؛ يُقَالُ : لَحَنَ فلان في كلامه ؛ إذا مال عن صحيح المنطق ومستقيمته بالإعراب .^(١)

وقال ابن الأثير في " النهاية في غريب الحديث والأثر " : اللحن : الميل عن جهة الاستقامة ، يقال : لحن فلان في كلامه ؛ إذا مال عن صحيح المنطق .^(٢)

قلت : والأصل في هذه المعاني كلها يرجع إلى معنى واحد وهو : [الميل عن الاستقامة ، والعدول عن الصواب ، والانحراف عن الأصل] ؛ كما قال الزمخشري : « والأصل المرجوع إليه : الميل والعدول » .^(٣) ، وكما قال الخليل وابن منظور والزيدي : « اللحن : ما تلحن إليه بلسانك ، أي : تميل إليه بقولك » .^(٤)

* * *

(١) الفائق ٣/٣٠٩ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤/٣٦٠ .

(٣) الفائق ٣/٣٠٩ .

(٤) العين ٢/٢٢٩ . ولسان العرب ١٢/٣٧٩ . وتاج العروس ٨١٦٢ .

معنى اللحن اصطلاحاً:

اللحن اصطلاحاً هو : [الميل والعدول عن ما صح وثبت عن النبي - ﷺ - من طرق القراءة والأداء] .

وعرفه بعضهم بأنه : « خلل يطرأ على الألفاظ فيخل » ^(١) ، وهذا تعريف شائع في كتب التجويد ؛ ولكنه في الحقيقة غير جامع ولا مانع ؛ وذلك للأسباب الآتية :

(١) - لأنه يفتقر إلى ضابط الخلل .

(٢) - لأن الخلل في القراءة قد لا يكون خللاً في اللفظ ؛ فمثلاً : إن قول

الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ

الْقَدِيرُ ﴾ ^(٢) ، فإن فتح الضاد أو ضمها صحيح أداء ولغة ، ولكن

لكل منهما طرق مختلفة ، فقراءة أحدهما في موضع الآخر : خروج

عن طريق الرواية ، وبهذا يكون الخلل قد وقع في القراءة وليس في

اللفظ نفسه ، وكذلك فإن بعض الحروف والكلمات يكون لها

حكم في موضع معين ، ويكون لها حكم آخر في موضع آخر ؛

(١) الموضح في التجويد - لعبد الوهاب القرطبي ص ٥٧ ، والتمهيد في علم التجويد - لابن

الجزري ص ٧٧ . والإتقان للسيوطي ١/٢٦٦ . وغيرهم .

(٢) سورة الروم : ٥٤ .

→ فإذا قُرئ بأحدها في موضع الآخر = فيكون اللفظ صحيح من جهة اللغة ، ويكون الخلل قد وقع في موضع الحكم، وكذلك إذا قُدِّمَتْ كلمة أو أُخِرَتْ ، أو قُدِّمَتْ آية أو أُخِرَتْ، فالخطأ في الموضع وليس في اللفظ ، وهكذا .

(٣) _ أن الخلل قد لا يكون طارئاً ؛ بل قد يكون دائماً مستديماً ، كما هو حال العاجز ، أو الأعجمي ، أو العامي الذي لم يتعلم كيفية القراءة وأحكامها .

(٤) _ أن قولهم : (فَيُخَلِّ) ، زيادة في التعريف بلا فائدة ؛ لأنه إذا لم يُخَلِّ : فليس بلحن أصلاً .

* * *

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

قلت : ويمكن أن يصاغ التعريف السابق بصيغة أحسن ؛ وهي أن يقال إن اللحن هو : [الإخلال بالقراءة ، أو بغرف القراءة] ؛ غير أن التعريف الأول يبقى هو المقدم ؛ للأسباب الآتية :

(١) _ أن التعريف الأول قد ذكر مصدر القراءة ، وهو النبي - ﷺ - ، أما هذا التعريف فلم يذكر ذلك .

(٢) _ أن التعريف الأول قد صرح بذكر ضابط الخلل ، وهو الميل والعدول عن ما صح وثبت عن النبي - ﷺ - ، أما هذا التعريف فيفتقر إلى ذلك الضابط المهم .

(٣) _ أن التعريف الأول قد نسب اللحن للقارئ نفسه ، وذلك بعدوله عن القراءة الصحيحة ، أما هذا التعريف فإنه ينسب اللحن للقراءة ، ومعلوم أن القراءة إذا دخل عليها اللحن فليست بقراءة ؛ والمقروء إذا دخل عليه اللحن فليس بقرآن ؛ لأن كلام الله غير ملحون ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(١) ، وقال المناوي : « القراءة مع اللحن ليست قراءة ، ولا ثواب له فيها »^(٢) ، وقال السيوطي : « القراءة مع فقد الإعراب ليست قراءة ، ولا ثواب فيها »^(٣) .

* * *

(١) [الزمر : ٢٨] .

(٢) فيض القدير ١/٥٥٨ (١١٤٩) .

(٣) الإتقان للسيوطي ، باب "في معرفة غريبه" ١/٣٠٣ (١٤٩٥) .

وقال بعضهم : إن اللحن الجلي هو : « ما يشترك في معرفته أهل الأداء وغيرهم » ، وأما اللحن الخفي هو : « ما لا يعرفه إلا أهل الأداء » .^(١)

قلت : وهذا التعريف أيضا رغم شهرته ؛ إلا إنه غير جامع ولا مانع ؛ وذلك للأسباب الآتية :

(١) _ أن معيار صحة القراءة وخلوها من اللحن : ليس مرده إلى عوام الناس أو خواصهم ؛ بل إلى ما صح وثبت عند أهل الأداء ؛ لأن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول .

(٢) _ أن اللحن في القراءة قد لا يكون لحنا في اللغة ، بل قد يكون صحيحا لغة ومشهورا فيها أيضا ؛ ولكنه لا يصح قراءة وأداء .

(٣) _ أن كل ما يصح لغة لا يصح قراءة ؛ ولكن كل ما صح قراءة فهو صحيح لغة وإن لم يكن مشهورا .

(٤) _ أن القراءة إذا ثبتت وصحت ؛ فهي الحكم على اللغة ، وليس العكس .

(٥) _ أن أكثر الناس اليوم ليسوا من أهل اللغة ولا يُحسنون التكلم بها بل لا يعلمون قواعدها أصلا ؛ فكيف نحتكم إليهم ؟ .

* * *

(١) النشر في القراءات العشر - للإمام محمد بن الجزري ٢١١/١ . وغيره .

وقال ابن الجزري في "التمهيد" : اللحن الجلي هو : « خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى والعرف معا ، أو يخل بالعرف دون المعنى » ، واللحن الخفي : « هو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف دون المعنى » .
 وبيان ذلك : أن الجلي المخل بالمعنى والعرف هو تغيير بعض الحركات عما ينبغي ، نحو : أن تضم التاء في قوله تعالى : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(١) ، أو تكسرهما ، أو تفتح التاء في قوله : ﴿ مَا قُلْتَ لَهُمْ ﴾^(٢) .

والقسم الثاني من الجلي المخل بالعرف دون المعنى نحو : رفع الهاء ونصبها من قوله تعالى : ﴿ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(٣) .
 واللحن الخفي : هو مثل تكرير الراءات ، وتطين النونات ، وتغليظ اللامات وإسمانها وتشريبها الغنة ، وإظهار المخفي ، وتشديد الملين ، وتلين المشدد ، وغير ذلك .^(٤)

قلت : وهذا التعريف أيضا غير جامع ولا مانع ؛ ويجب عليه بما قلناه سابقا ؛ ويضاف إليه : أن هذا التعريف لم يُمَيِّز بين : اللحن الجلي الذي لا يخل بالمعنى واللحن الخفي ، فحدهما واحد كما ذكر .

* * *

(١) [سورة الفاتحة : ٧] .

(٢) [سورة المائدة : ١١٧] .

(٣) [سورة الفاتحة : ٢] .

(٤) التمهيد في علم التجويد - للإمام محمد بن الجزري ص ٧٦ .

صور اللحن في القرآن الكريم:

اللحن في قراءة القرآن له عدة صور ، فقد يكون اللحن في حركاته أو في حروفه أو في كلماته أو في إحالة معناه أو في طريقة أدائه أو في نظمه، وإليكم بيان ذلك :

.....

أولاً: اللحن في اللفظ بحركاته:

وذلك كأن يخلط بعضها ببعض ، أو يبدلها بغيرها ، أو يختلسها عن قدرها ، أو يمططها فوق حدها ، أو يأتي بها في غير موضعها ، أو لا يُؤفِّقها حقها من الفتح والتقليل والإمالة ، وغير ذلك .



ثانياً: اللحن في اللفظ بحروفه:

وذلك كأن يخلط بعضها ببعض ، أو يسقط بعضها من اللفظ ، أو يزيد فيه حرفاً ، أو يبدلها بغيرها ، أو يختلسها عن قدرها ، أو يمططها فوق حدها ، أو لا يحسن إخراجها من مخرجها ، أو لا يُؤفِّقها حقها من صفاتها ، أو يدغم ما حقه الإظهار ، أو يظهر ما حقه الإدغام وهكذا .



ثالثا: اللحن في اللفظ بكلماته:

وذلك كأن يسقط بعضها من اللفظ ، أو يُقدم أو يُؤخر ، أو يأتي بها في غير موضعها ، أو يتلفظ بها على غير هيئتها وصورتها التي وردت ، أو يصل المفصول ، أو يفصل الموصول ...، وغير ذلك .

رابعا: اللحن فيه بإخلال معناه:

وذلك بسبب عدم ضبط الوقف والابتداء ؛ فيقف في غير مواضع الوقف ، أو يبدأ بما لا يصح الابتداء به ؛ فيخل بالمعاني أو يحيلها ؛ وكذلك إن لفظ به على غير صيغته التي وردت فإنه قد يُحيل المعنى أيضا ؛ فمثلا كلمة : ﴿ ألم ﴾ ، فإنها تحتل إحدى ثلاث :

(١) _ أن تكون أداة استفهام نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ بِبَنِي

ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠] .

(٢) _ أن تكون اسما من التألم .

(٣) _ أن تكون فعلا من ألمَّ الإماما .

وكل هذا متوقف على صيغة لفظها ؛ فيجب أن تنطق بصورة صحيحة كما وردت .

خامسا: اللحن في طريقة أدائه:

وأما اللحن في طريقة أدائه فله أيضا عدة صور :

(١) - أن يقرأه بجفاء كأنه يقرأ كتابا عاديا أو كأنه يتكلم كلاما عاديا، فيترك التغني به مطلقا ولا يحسن صوته ولو قليلا ؛ فهذا أيضا عدول عن نهج النبي - ﷺ - وأصحابه الكرام - ﷺ - ؛ لأن من السنة تحسين الصوت به ، وخاصة إذا كان القارئ يؤم الناس في الصلاة .

(٢) - أن يباليغ في التغني به ؛ بحيث يتجاوز حدود ما تقتضيه الفطرة وتسمح به السجي، فهذا أيضا ميل وعدول عن نهج النبي - ﷺ - وأصحابه الكرام - ﷺ - .

(٣) - أن يتغنى به على المقامات الموسيقية والقوانين الغنائية ؛ ويترك التغني به على الفطرية العربية ؛ فهذا أيضا يعد من الميل والعدول عن نهج النبي - ﷺ - وأصحابه الكرام - ﷺ - .

* * *

سادسا: اللحن في نظمه:

وذلك بأن يُقدم مؤخرا أو يُؤخر مقدما ، أو يأتي ببعض الأحكام في غير موضعها ، أو يخلط بين الروايات ويدخل بعضها في بعض ؛ فيدخل في هذه ما ليس منها ، ويُخرج من تلك ما هو فيها ... وهكذا .

* * *

أقسام اللحن:

كان اللحن قديماً في القرون الثلاثة الأولى قسماً واحداً؛ حتى جاء ابن مجاهد فقسم اللحن إلى قسمين:

- (١) - « اللحن الخفي » .
- (٢) - « اللحن الجلي » .^(١)



(١) قال د/ محمد بن فوزان بن حمد العُمر في رسالته في تجويد الفاتحة ص ٢٩ - ٣٠ : أول من ذكر اللحن الجلي والخفي : ابنُ مجاهد في كتابه السبعة في القراءات ص ٤٩...؛ وينظر في موضوع اللحن الجلي والخفي في : كتاب "السبعة" في القراءات لابن مجاهد ص ٤٩ . والتنبيه على اللحن الجلي واللعن الخفي لأبي الحسن السعيد ص ٢٧-٢٨ . وشرح القصيدة الخاقانية لأبي عمرو الداني ص ١٤٨-١٥٠ . والتحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو الداني أيضاً ص ٨٠-٨٤ . والموضح في التجويد لعبد الوهاب القرطبي ص ٥٧-٦٥ . والتمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني ص ٢٣٧-٢٧٢ . وجمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي ٢/٥٢٩-٥٣٠ . والنشر في القراءات العشر - للإمام محمد بن الجزري، ١/٢١١ - أشرف على طبعه الشيخ علي الضباع - دار الكتب العلمية - بيروت . والتمهيد في علم التجويد لابن الجزري أيضاً ص ٧٥-٧٧ . والدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد - زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، ص ٥٦ - تحقيق د. نسيب نشاوي - تقديم د. نور الدين عتر - دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع - سوريا - الطبعة الثانية ١٤١٨هـ. المنح الفكرية لملا علي سلطان القاري ص ٨٥-٨٦ - تحقيق عبد القوي عبد المجيد - راجعه د. عبد العزيز القاري - مطابع الرشيد - المدينة النبوية - توزيع مكتبة الدار - المدينة النبوية - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد - د. غانم قدوري الحمد ص ٥٠-٥٩ . وغيرها من كتب التجويد والقراءات واللغة .

أولاً: اللحن الخفي:

تعريفه : [هو اللحن الذي لا يخل بجوهر القراءة] .

سبب تسميته خفياً:

معنى (خفي) : أي مستور غير واضح ، وسمي بذلك لأنه لا يعرفه إلا القارئ
المتقن ، والمُجوّد الضابط .

شرح التعريف:

سبق وعرفنا اللحن عموماً بأنه : [الميل والعدول عما صح وثبت من طرق
القراءة والأداء] ، فأما اللحن الخفي فهو : الميل عن المنقول ميلاً غير
قادر ، والعدول عما صح وثبت عدولاً غير فاضح ؛ بحيث لا يُخل
بجوهر القراءة عموماً ؛ بل إن الخلل يكون في تمامها وحسن أدائها،
وذلك كالإفراط في تشديد الحرف المشدّد، أو الإخلال بمراتب المد،
أو مراتب الغنة ، أو القلقلة ، أو التكرير ، أو التفخيم ، أو مراتب
الإخفاء ، أو الإظهار ، أو غير ذلك مما لم يبلغ درجة التمام والكمال، أو
زاد على ذلك قليلاً ولكنه لم يُخرج القراءة عن حدها أو أصلها أو
جوهرها عموماً.

قال الإمام السخاوي - رحمه الله - : فأما اللحنُ الخفي : هو أن لا يُؤفَى الحرف حقه ، وأن يقصّر في صفته التي هي له ، أو يزيد على ذلك ، كالإفراط في التمطيط ، والتعسف في التفكيك ، والإسراف في إشباع الحركات وفي التشديد .^(١)



وقال الإمام المحقق محمد بن الجزري - رحمه الله تعالى - : « واللحن الخفي : هو مثل : تكرير الرءاءات ، وتطنين النونات ، وتغليظ اللامات ، وإسمانها ، وتشريبها الغنة ، وإظهار المخفي ، وتشديد الملمين ، وتليين المشدد ... إلخ » .^(٢)



وقال الجرجاني في "تعريفاته" : « اللحن في القرآن والأذان : هو التطويل فيما يقصر ، والقصر فيما يطال » .^(٣)

* * *

(١) جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي ، ٥٢٩/٢ - تحقيق / د . علي حسين البواب ، مكتبة التراث ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

(٢) النشر في القراءات العشر - للإمام المحقق / محمد بن محمد بن محمد بن الجزري ، ٢١١/١ .

(٣) التعريفات ٢٤٥/١ (١٢١٠) .

ثانيا: اللحن الجلي:

تعريفه : [هو اللحن الذي يخل بجوهر القراءة] .

سبب تسميته جليا:

معنى الجلي : أي الظاهر الواضح ، وسمى بذلك ؛ لأنه يحدث خللاً ظاهراً
وعيباً واضحاً .

شرح التعريف:

وأما اللحن الجلي فهو : الميل والعدول عما صح وثبت ، ميلا قادحا، وعدولا
فاضحا ، يُخل بجوهر القراءة ويُخرجها عن حدها ووصفها ، وذلك
كالإخلال بجوهر الحروف وأصلها ، وذهاب معظمها وأكثرها ، أو
الإخلال بصورتها وهيئتها (من إظهار وإدغام وإخفاء ..؛ وغير ذلك) ، أو
الإخلال بجوهر الحركات وأصلها ، وذهاب معظمها وأكثرها ، أو
الإخلال بصورتها وهيئتها (من فتح وتقليل وإمالة ..؛ وغير ذلك) ، أو
الإخلال بالمعاني وذلك بالوقف على المواضع التي تُفسد المعنى أو
تُحيله وتُغيّره ..؛ وهكذا .

* * *

ثالثا: اللحن الخفي الجلي:

وهذا النوع من اللحن وإن لم يذكره الأولون إلا أنه موجود فعلا ؛ بل ويقع فيه كثير من القراء اليوم ، ولذلك رأيت أن أذكره وأنوّه عليه حتى يعرفه القارئ ويتجنبه قدر استطاعته.

.....

تعريفه:

[هو اللحن الذي لا يخل بجوهر الحروف والحركات ؛ ولكنه يخل بجوهر القراءة] .

—————●●●●—————

سبب تسميته:

سمي (خفيا) للأسباب الآتية :

- (١) - لأنه لا يخل بجوهر الحروف والحركات ولكنه يُخل بتمامها وتركيبها .
- (٢) - لأنه لا يعرفه إلا القارئ الماهر ، والمُجوّد المُتقن ، والحاذق الضابط .
- (٣) - لأن سببه يخفى على الكثيرين .
- (٤) - لأنه يقع فيه الكثيرون أيضا .

وسمي (جليا) للأسباب الآتية :

- (١) _ لأنه يُخل بصورة القرآن الكريم وبهيئته التي أنزل عليها إخلالا ظاهرا .
- (٢) _ لأنه يفسد المعنى ويحيله في أغلب الأحيان .

* * *

أمثلة على اللحن الخفي الجلي:

إن هذا النوع من اللحن قد شاع جدا في هذا الزمان حتى إن كثيرا من الناس قد اعتادوا عليه بل وظنوا أنه لهجة عربية فصحي يجوز أن يُقرأ عليها القرآن الكريم ؛ والصواب خلاف ذلك ، وسأذكر فيما يلي بعض الأمثلة للتوضيح :

(١) - فمثلا فإن قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥] ، فكلمة : ﴿ إِنَّمَا ﴾ كلمة واحدة وهي هنا تفيد حصر دور النبي - ﷺ - في الإنذار، أي أنه ليس عليه إلا الإنذار؛ وأما في الأداء فهي موصولة لفظا ورسما ؛ فإذا غير القارئ صيغة لفظها ونطق بها مفصولة لفظا هكذا : (إِنْ) ، (مَا) ؛ فستصبح (إِنْ) للتوكيد ، و(مَا) نافية ؛ وبذلك يكون قد أفسد المعنى ؛ بل وعكسه إلى ضده - والعياذ بالله - .

(٢) - وكذلك كلمة : ﴿ فَقَدْ ﴾ ، فإن القارئ إذا وقف عليها بدون نبر الدال (أي بدون ضغطة خفيفة على الدال) = صارت فعلا ماضيا بمعنى (فَقَدْ يَفْقِدُ فَقْدًا) من فقدان ؛ وإذا وقف عليها بنبر الدال نبرة ثقيلة طويلة = صارت فعلا ماضيا مضعفا من (قَدْ يَقْدُ) ؛ وإذا وقف عليها بنبر الدال نبرة خفيفة قصيرة : صارت أداة للتوكيد ، ومثل هذه الأمور لا تضبط إلا بالمشاهدة .

- (٣) _ وكذلك قوله : ﴿ أَوْ لَا ﴾ ، فالقارئ إذا نبر (الألف) صارت كلمتين (أَوْ) التي تفيد التخيير ، و(لَا) الناهية ؛ وإذا لم ينبر (الألف) صارت كلها كلمة واحدة من (أَوْلَى أَوْلَوِيَّةً) بمعنى أن هذا الشيء مقدم .
- (٤) _ وكذلك قوله : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ ﴾ ، فإني قد سمعت بعضهم يلفظ بها مصورا إياها فعلا ماضيا من فَتَرَ فُتُورًا (فَتَرَ الَّذِينَ) .
- (٥) _ وكذلك كلمة : ﴿ أَلَمْ ﴾ ، فالقارئ إذا وقف عليها بدون نبر الميم مطلقا = صارت اسما من (التألم) ؛ وإذا وقف عليها بنبر الميم نبرة ثقيلة طويلة = صارت فعلا ماضيا مُضَعَّفًا من (أَلَمْ يَلْمُ إِلْمَامًا) ، وإذا وقف عليها بنبر الميم نبرة خفيفة قصيرة = صارت أداة استفهام .
- (٦) _ وكذلك قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ ﴾ ، فإني قد سمعت بعضهم يقف عليها بفصل (إِنَّ) عن الضمير (هو) ووصل الضمير الأول بالضمير الثاني فلفظ بهم هكذا : (إِنَّ هُوَهُ) .
- (٧) _ وقوله : ﴿ مَتَى هُوَ ﴾ ، فإني قد سمعت بعضهم يقف عليها بوصل (متى) مع الضمير (هو) ، فصارتا كالكلمة الواحدة فلفظ بها هكذا (متاهو) .
- (٨) _ وكذلك قوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ ، فإني قد سمعت بعضهم يلفظ بها موصولة كأنها كلمة واحدة .. ؛ وغير ذلك الكثير مما لا يسع المجال لسرده هنا ؛ وكل هذه الأمور لا تُضبط إلا بالتلقي والمشاهدة ثم بتمرين اللسان ورياضته .

* * *

حكم اللحن في قراءة القرآن الكريم:

اللحن في قراءة القرآن : [حرام] ، بإجماع أهل الإسلام وذلك في كل العصور والطبقات .^(١)

وهذا الحكم المذكور إنما هو على العموم ، غير أن في المسألة تفصيلا يجدر بنا أن نوضحه ونقف عنده وقفة ؛ لأنه من العلوم أن للناس أحوالا مختلفة وخاصة مع قراءة القرآن الكريم ، وهذه الأحوال تختلف من شخص إلى آخر ، فيجب علينا قبل أن نطلق هذا الحكم على عمومه : أن نعرف أولا أحوال الناس مع القراءة ؛ لنعرف حكم اللحن في كل حالة على حدة ، فإن هذه المسألة من المسائل التي يحسن فيها التفصيل ، وهذا هو ما سأحاوله - إن شاء الله تعالى - فيما يلي ؛ فأسأله التوفيق والسداد .

* * *

(١) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ١١٩/٢ .

أحوال الناس مع القراءة:

الحالة الأولى:

وهو : [الذي لا يعرف أحكام القراءة ؛ ولا يستطيع أن يتعلمها] .

حكمه:

فمثل هذا إن أخطأ : [فلا شيء عليه - إن شاء الله تعالى -] .

الدليل:

ويُستدل على هذا الحكم بما يأتي :

- (١) - عموم قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .^(١)
- (٢) - وقوله جل شأنه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتْنَهَا ﴾ .^(٢)

(١) [سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦] .

(٢) [سورة الطلاق ، الآية : ٧] .

حكم صلاته:

تصح صلاته لنفسه ، وإمامته لمن هم مثله ؛ ولكن لا تصح إمامته لمن هو أقرأ منه ، لقول النبي - ﷺ - : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً : فَلْيَوْمُهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً : فَلْيَوْمُهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًا ، وَلَا يَوْمُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ ، وَلَا فِي سُلْطَانِهِ ، وَلَا يُجْلَسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .^(١)

وعن أبي هريرة - ﷺ - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إِذَا سَافَرْتُمْ فَلْيَوْمُكُمْ أَقْرَوْكُمْ وَإِنْ كَانَ أَضْعَرُّكُمْ سِنًا ، وَإِذَا أَمَكُمُ فَهُوَ أَمِيرُكُمْ » .^(٢)



- (١) [صحيح] ، من حديث أبي مسعود البدرى - ﷺ - ، أخرجه الإمام مسلم ٤٦٥/١ (٦٧٣) . وابن أبي شيبة ٣٠١/١ (٣٤٥١) . وأحمد ١١٨/٤ (١٧١٠٤) . وعبد الرزاق ٣٨٩/٢ (٣٨٠٩) . وأبو داود ١٥٩/١ (٥٨٢) ، واللفظ له . والترمذى ٤٥٨/١ (٢٣٥) . والنسائى ٧٧/٢ (٧٨٠) . وابن ماجه ٣١٣/١ (٩٨٠) ، والبيهقى ٩٠/٣ (٤٩١١) . والحميدى ٢١٧/١ (٤٥٧) . وابن الجارود ص ٨٥ (٣٠٨) . وأبو عوانة ٣٧٦/١ (١٣٦٣) . وابن حبان ٥٠٠/٥ (٢١٢٧) . وأخرجه الإمام أحمد ١٦٣/٣ (١٢٦٨٧) عن أنس بن مالك - ﷺ - مرفوعا ، وصححه شعيب الأرنؤوط ، وقال الهيثمى في المجمع ٢٠٥/٢ (٢٣١٨) : رواه أحمد ورجاله موثوقون . وصححه الشيخ الألبانى في صحيح الجامع (٨٠١٢) . وأخرجه الدارقطنى ٢٧٩/١ (١) والطبرانى في الكبير ٢٢٤/١٧ (٦١٧) عن عقبة بن عمرو - ﷺ - مرفوعا .
- (٢) [حسن] ، أخرجه البزار كما فى كشف الأستار ٢٢٩/١ (٤٦٦) وحسنه ، وقال الهيثمى فى المجمع ٤٦٥/٥ (٩٣٠٦) : فيه من لم أعرفه . وقال فى ٢٠٦/٢ (٢٣٢٢) : إسناده حسن . وأخرجه الديلمى ٢٦٥/١ (١٠٢٧) . وقال المناوى (٣٧٠/١) : حسن لا بأس برواته .

الحالة الثانية:

وهو : [الذي لا يعرف الأحكام ؛ ولكنه يستطيع أن يتعلمها ؛ إلا أنه تكاسل أو أهمل في تعلمها] .

حكيمه:

فمثل هذا يُسأل عن تقصيره في تعلُّم القراءة الصحيحة وما تصح به عبادته، ومثل هذا إما أن يلحن لحنا جليا أو خفيا ؛ ولكل منهما حكم معين .

أولا : إذا لحن في قراءته لحنا جليا ، فحكمه : [أنه به عاص وآثم] .

الدليل على هذا الحكم:

ويستدل على هذا الحكم بالكتاب والسنة وأقوال السلف وأهل العلم ، وقد سبق وذكرت الكثير منها في ثنايا هذا الكتاب ؛ ولذا فسوف أعيد ذكر بعضها بطريقة مختصرة ، ومن أراد التفصيل فليرجع إليها في بابها، وكذلك فسوف أذكر - إن شاء الله تعالى - عددا وافرا من الأدلة التي لم أذكرها من قبل ؛ لأن بعضهم قد ادعى عدم وجوب أحكام الترتيل والتجويد ؛ وهذا معناه أن اللحن فيها غير حرام ؛ فلذلك أقول وبالله التوفيق : ←

(١) - لقد أخبرني جميع مشايخي الذين تلقيت عنهم بإسنادهم المتصل عن رسول الله - ﷺ - : أنه لم يقرأ القرآن الكريم إلا بهذه الكيفية التي أخبرناكم بها ؛ ولم يخالفني في روايتي أحد من إخواني حملة القرآن الكريم - فله الحمد على توفيقه - ؛ فنحن بإخبارنا لكم، وتعليمنا إياكم كما تعلمنا، ثم بنصحنا لكم = قد استبرأنا ذمتنا من الله تعالى، فهو حسبنا ونعم الوكيل ، ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .^(١)

(٢) - وإن اتفاق الناقلين عن رسول الله - ﷺ - يدل على عدم جواز المخالفة ؛ وإن احتج أحد بأنهم قد اختلفوا بينهم في بعض الأحكام؛ فالجواب : أن ذلك بسبب نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ، وكان الخلاف في حدود ما نزل ؛ بدليل أن النبي - ﷺ - كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله « هَكَذَا أُنزِلْتُ »^(٢)، وأن كلا من المختلفين كان يقول لصاحبه « أَقْرَأَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ »^(٣).

(٣) - إن الله عز وجل قد نفى عن كتابه اللحن ، فقال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾^(٤) ، فينبغي أن يُنزه القرآن الكريم عن اللحن بكافة أشكاله قدر المستطاع .

(١) [البقرة : ١٨١] .

(٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٤٧٠٦ - ٤٧٥٤ - ٦٥٣٧ - ٧١١١) وغيره .

(٣) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٤٧٠٦) وغيره .

(٤) [الكهف : ١] .

(٤) _ إن الله تعالى قد أمر نبيه - ﷺ - أن يقرأ القرآن الكريم كما تلقاه من جبريل - عليه السلام - ؛ فقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾^(١) ، وهذا الأمر للوجوب = فتحرم المخالفة ، ومعلوم أن النبي - ﷺ - قد تلقى القرآن الكريم من جبريل - عليه السلام - غير ملحون = فيجب علينا إذن أن نقرأه كما تلقيناه : مرتلا مجودا غير ملحون فيه ؛ تأسيا واتباعا .

(٥) _ إن الله عز وجل قد أمر نبيه - ﷺ - : أن يقرأ القرآن الكريم بالترتيل ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾^(٢) ، وسبق بيان معنى الترتيل كما صح عن السلف بأنه : بيان الحروف بإخراجها من مخارجها ، وتفسيرها بإعطائها حقها ومستحقها من الصفات ، والتمثل في أدائها وحسن متابعتها على الصفة المتلقاة ؛ وهذا الأمر للوجوب = فتحرم المخالفة كذلك .

(٦) _ إن الله عز وجل قد حذر من مخالفة أمر نبيه - ﷺ - فقال عز وجل : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٣) ؛ ومعلوم أن اللحن في القرآن مخالف لسنة النبي - ﷺ - ؛ فيجب علينا إذن ترك اللحن في القرآن الكريم والحذر منه حتى لا نتعرض لعقوبة الله عز وجل .

(١) [القيامة : ١٨]

(٢) [سورة المزمل : آية ٤] .

(٣) [النور : من الآية ٦٣] .

(٧) _ إن الله عز وجل قد نعت القرآن الكريم بقوله : ﴿ قَرَأْنَا عَرَبِيًّا

غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(١) ، فذكر أنه في غاية الكمال والجلال وليس فيه نقص أو عيب أو إعوجاج ؛ فينبغي علينا إذن أن نحافظ عليه بتلك الصفة التي وردت إلينا ؛ وأن لا نسمح بتسرب اللحن إليه قدر المستطاع .

(٨) _ إن الله تبارك وتعالى قد دعانا إلى قراءة القرآن الكريم قراءة

صحيحة خالية من اللحن فقال عز وجل : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٢) ، وحق تلاوته هو : أن يتلى كما ورد عن النبي - ﷺ - وأن يعمل به على هديه وسنته .

(٩) _ إن الله سبحانه قد أمر بقراءة القرآن الكريم كما أنزله ، ونفى عنه

التحريف والتبديل ، فقال عز وجل : ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾^(٣) ، ومعلوم أن اللحن يُغير من القرآن ومن صفته التي نزل عليها ؛ فينبغي أن يُقرأ كما ورد ، وأن يُنزه عن اللحن الذي يؤدي إلى الزيادة أو النقصان أو التغيير أو التحريف أو التبديل .

(١) [الزمر : ٢٨] .

(٢) [البقرة : ١٢١] .

(٣) [الكهف : ٢٧] .

(١٠) _ إن الله تبارك وتعالى قد نهى عن التبديل في كتابه ، فقال سبحانه :

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾^(١) ، ومعلوم أن اللحن يؤدي إلى ذلك ؛
فينبغي أن ينزه القرآن عن اللحن الذي يؤدي إلى التبديل أو التغيير
من لفظ القرآن الكريم أو صفته أو صورته أو معناه .

(١١) _ إن الله تبارك وتعالى قد أخبر بأنه سيحفظ كتابه ؛ بنفس الهيئة

والصفة والصورة التي أنزله بها ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٢) ؛ فينبغي أن ينزه القرآن الكريم عن
اللحن الذي يُغير أو يبدل من لفظه أو صفته أو صورته أو هيئته أو
معناه ، قدر المستطاع .

(١٢) _ إن الله سبحانه قد أخبر بأنه سوف يحفظ كتابه من الزيادة والنقصان

والتغيير والتحريف والتبديل ، وأنه قد تحدى الخلق بذلك ، فلن
يستطيع أي مخلوق أن يزيد أو ينقص أو يحرف أو يبدل أو يغير من
كتاب الله شيئاً ، فقال عز وجل : ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾^(٣) ،
فينبغي أن يقرأ القرآن الكريم كما ورد ، من غير زيادة أو نقصان أو
تغيير أو تحريف أو تبديل ، وينبغي أن ينزه عن اللحن الذي يؤدي
إلى كل ذلك أو بعضه .

(١) [يونس : ٦٤] .

(٢) [الأنعام : ٣٤] .

(٣) [الأنعام : ٣٤] .

(١٣) _ إن الله تبارك وتعالى قد أمر رسوله - ﷺ - : أن يجيب علي من سأله بتدليل القرآن الكريم بقوله : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) ، فينبغي علينا أن نفتدي برسول الله - ﷺ - وأن نقرأ القرآن الكريم كما ورد إلينا ، من غير زيادة أو نقصان أو تغيير أو تحريف أو تبديل ، وأن ننزه قدر المستطاع عن اللحن الذي يؤدي إلى ذلك .

(١٤) _ وعن أبي الدرداء - ؓ - ، قال : « سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - رَجُلًا قَرَأَ فَلَحَنَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : أَرَشِدُوا أَحَاكِمُمْ »^(٢) .

(١) [يونس : ١٥] .

(٢) [حسن] ، أخرجه الحاكم في مستدركه ٤٧٧/٢ (٣٦٤٣) قال : حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ أنبأ محمد بن الحسن العسقلاني ثنا أبو عمير عيسى بن محمد ثنا ضمرة عن سعد بن عبد الله بن سعد عن أبيه عن أبي الدرداء - ؓ - ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في التلخيص . وضعفه شيخنا الألباني في السلسلة الضعيفة ٣١٥/٢ (٩١٤) وقال : إن عبد الله بن سعد والد سعد وهو الأيلي غير معروف ، ولم يترجموا له ، مع أنهم ترجموا لابنه ، ولم يذكروا له رواية عن أبيه ، والله أعلم . اه . قلت : هناك قرينة تقويه ؛ وهي أن الحافظ ابن عساكر قد ذكر ترجمة "عبد الله بن سعد الأيلي" في تاريخ دمشق ٤٥/٢٩ (٣٣١١) وقال : عبد الله بن سعد بن عبد الله الأيلي كان على شرطة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - فيما حكى سعيد بن كثير بن عفير عن ابن وهب المصري عن عبد الرحمن بن أبي الرجال عن عبد الله بن حسن ، وعندي أنه والد الحكم بن عبد الله الأيلي - أخو سعد بن عبد الله الأيلي - . اه . قلت : فإن استعمال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز له على شرطته = يدل على ترجيح عدالته ؛ لأن الظن بخامس الخلفاء الراشدين أن لا يستعمل على المسلمين إلا رجلاً ذنباً ثقة عدلاً مؤمناً غير ظالم ولا كذاب ولا متهم في دينه وأمانته ، وهذا أيضا يفسر سبب انشغاله وقلة روايته ، وكذلك فإنه يشهد له ما بعده .

(١٥) - وعن أبي بن كعب - ؓ - : أنه كان يقرئ رجلا فارسيا ، فكان إذا قرأ عليه : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿١٣﴾ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿١٤﴾ ﴾ ، قال الرجل : (طعام اليتيم) ، فمر به النبي - ﷺ - فقال له : « قُلْ : طَعَامُ الظَّالِمِ » ، فقَالَهَا : فَفَصَّحَ بِهَا لِسَانَهُ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : « يَا أَبُي ! قَوْمٌ لِسَانُهُ ، وَعَلِمُهُ = فَإِنَّكَ مَا جُورٌ ؛ فَإِنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ لَمْ يَلْحَنَ فِيهِ ، وَلَا الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ ، وَلَا الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » .^(١)

(١٦) - إن النبي - ﷺ - قد أمرنا بتعلم كيفية القراءة الصحيحة ، كما ورد عن عقبه بن عامر الجهني - ؓ - ، قال : « كُنَّا فِي الْمَسْجِدِ ، نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ، فَسَلَّمَ - عَلَيْنَا - ، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ : تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَأَفْشُوهُ ، وَأَفْتِنُوهُ ، - قَالَ قَبَاثٌ : وَحَسِبْتُهُ قَالَ - : وَتَعَنُّوا بِهِ ؛ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَهْوٌ أَشَدُّ تَقَلُّتًا مِنَ الْمَخَاضِ فِي الْعُقْلِ » .^(٢) ، وإن الأمر بتعلم قراءة القرآن الكريم يدل على الوجوب = فتحرم المخالفة، ويحرم كذلك ما ينتج عنها وهو اللحن .

(١٧) - وأيضا عن عبد الرحمن بن شبل - ؓ - ، قال سمعت رسول الله - ﷺ - : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، فَإِذَا عَلِمْتُمُوهُ ؛ فَلَا تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلَا تَسْتَكْبِرُوا بِهِ » .^(٣)

(١) سبق .

(٢) [صحيح] ، سبق .

(٣) [صحيح] ، سبق .

(١٨) _ وعن عبد الله بن مسعود - ﷺ - ، قال : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَاتْلُوهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُزُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ : « أَلَمْ » ، وَلَكِنْ : « أَلِفٌ » ، « وَوَلَامٌ » ، « وَوَيْمٌ » ^(١) ، وفي رواية أخرى ، قال - ﷺ - : « تَعَلَّمُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّكُمْ تُوجِرُونَ بِتِلَاوَتِهِ ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ : بـ « أَلَمْ » ، وَلَكِنْ : بـ « أَلِفٌ » ، « وَوَلَامٌ » ، « وَوَيْمٌ » ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ » ^(٢) .

(١٩) _ وعن علي بن أبي طالب - ﷺ - ، قال : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ كَمَا عَلَّمْتُمْ » ^(٣) ، فقوله : « كَمَا عَلَّمْتُمْ » أي : على نفس الهيئة والصفة والكيفية التي عَلَّمْتُمْ ؛ وهذا الأمر للوجوب ؛ فتحرم المخالفة .

(٢٠) _ وعن عبد الله بن مسعود - ﷺ - ، قال : « إِنِّي سَمِعْتُ الْقُرَّاءَ : فَسَمِعْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ ، فَأَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَالاخْتِلَافَ » ^(٤) ، فقوله : « كَمَا عَلَّمْتُمْ » ، أي : على نفس الهيئة والصفة والطريقة والكيفية التي عَلَّمْتُمْ ؛ والأمر للوجوب ؛ فتحرم المخالفة كذلك .

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الدارمي ٥٢١/٢ (٣٣٠٨) وصححه المحقق حسين سليم أسد .

(٣) [صحيح] ، سبق .

(٤) [صحيح] ، سبق .

(٢١) - وعن مسعود بن يزيد الكندي ، قال : « كَانَ عَبْدُ اللَّهِ (بْنُ مَسْعُودٍ) -
 ﴿۱﴾ - يَقْرَأُ الْقُرْآنَ رَجُلًا ، فَقَرَأَ الرَّجُلُ : ﴿ إِنَّمَا أَلْصَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ
 وَالْمَسْكِينِ ﴾ ^(١) ، مُزْسَلَةً ؛ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - ﴿۲﴾ - : مَا هَكَذَا
 أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﴿۳﴾ - ، قَالَ : كَيْفَ أَقْرَأَكَهَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ ،
 قَالَ : أَقْرَأْنِيهَا ﴿۴﴾ إِنَّمَا أَلْصَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴿۵﴾ ، فَمَدَّدَهَا ^(٢) ،
 فهذا الأثر يدل على توقيفية القراءة وعدم جواز مخالفة صفتها التي
 وردت .

(٢٢) - وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - ﴿۱﴾ - : « أَقْرَأُوا وَلَا
 تَلْحَنُوا » ^(٣) ، وفي رواية أخرى : « تَرَاجَعُوا ، وَلَا تَلْحَنُوا » ^(٤) ،
 قلت : وهذا نهى صريح عن اللحن في قراءة القرآن الكريم
 وتلاوته .

(٢٣) - وعن علي بن أبي طالب - ﴿۱﴾ - ، قال : « اللَّحْنُ الْمَحْكِيُّ عَنِ اللَّهِ
 تَعَالَى وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَذِبٌ ؛ وَالْكَذِبُ = وَاجِبٌ أَنْ يُضْرَبَ
 آتِيهِ » ^(٥) .

(١) [التوبة : ٦٠] .

(٢) [صحيح] ، سبق .

(٣) [صحيح موقوف] ، أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف ١١٧/٦ (٢٩٩٢٤) ، والبيهقي في
 شعب الإيمان : ٤٢٩/٢ (٢٢٩٨) .

(٤) [صحيح موقوف] ، أخرجه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء : ١٩ / ١ .

(٥) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/٢١٦ .

(٢٤) _ إن تعلم كيفية قراءة القرآن الكريم وتلاوته : هو علم من العلوم الشرعية ؛ وقد قال رسول الله - ﷺ - : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »^(١)؛ وهذا دليل عام ؛ فتحرم أيضا المخالفة وما ينتج عنها وهو اللحن .

(١) [حسن] ، أخرجه ابن ماجه ٨١/١ (٢٢٤) وصححه محققه الشيخ الألباني . وهذا الحديث قد رُوِيَ عن عدد من الصحابة ، وقال السيوطي في جامع الأحاديث : حديث أنس - ﷺ - : أخرجه ابن عدى (٢٠٢/١) ترجمة (٤٨) . وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٧/١) . والبيهقي في شعب الإيمان ٢٥٤/٢ (١٦٦٥) . وابن عساكر ٣٤١/٥٢ . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى ٢٢٣/٥ (٢٨٣٧) . والطبراني في الأوسط ٧/١ (٩) ، وفي الصغير ٣٦/١ (٢٢) . وأبو نعيم في الحلية ٣٢٣/٨ . والإسماعيلي في معجم الشيخ ٧٧٥/٣ . والقضاعي ١٣٦/١ (١٧٥) . والبخاري ١٧٢/١ (٩٤) . ومن حديث ابن عباس - ﷺ - : أخرجه أيضًا : الطبراني في الأوسط ٢٤٥/٤ (٤٠٩٦) . وحديث ابن عمر - ﷺ - : أخرجه الرافعي من طريق الخليلي ٣٤٠/٢ . وأخرجه أيضًا : ابن عدى ١٧٩/١ (١٩) . وابن جميع الصيداوي في معجم الشيخ ص ١٧٧ . وحديث علي - ﷺ - : أخرجه الخطيب ٤٠٧/١ . وابن عساكر ١٢/٤٣ . وحديث أبي سعيد - ﷺ - : أخرجه الطبراني في الأوسط ٢٥٨/٨ (٨٥٦٧) . والبيهقي في شعب الإيمان ٢٥٤/٢ (١٦٦٧) . والخطيب ٤٢٧/٤ . وابن عساكر ٧/٥٧ . وأخرجه أيضًا : الإسماعيلي في معجم الشيخ ٦٥٢/٢ . والقضاعي ١٣٥/١ (١٧٤) . ومن حديث الحسين بن علي - رضي الله عنهما - : أخرجه الطبراني في الصغير ٥٨/١ (٦١) . والخطيب ٢٠٤/٥ . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الأوسط ٢٩٧/٢ (٢٠٣٠) . وحديث ابن مسعود - ﷺ - : أخرجه الطبراني في الكبير ١٩٥/١٠ (١٠٤٣٩) ، وفي الأوسط ٩٦/٦ (٥٩٠٨) . وابن عساكر ٤٣/٥٣ . وأبو يعلى في معجمه ص ٢٥٧ (٣٢٠) . قال المناوي (٢٦٧/٤) : قال النووي : ضعيف وإن كان معناه صحيحًا ، وقال تلميذه المزي : روي من طرق تبلغ رتبة الحسن . وقال ابن القطان : لا يصح فيه شيء وأحسن ما فيه ضعيف ، وسكت عنه مغلطاي ، وقال المصنف - أي السيوطي - : [جمعت له خمسين طريقًا وحكمت بصحته لغيره ، ولم أصحح حديثًا لم أسبق لتصحيحه سواه] ، وقال السخاوي : له شاهد عند أبي شاهين بسند رجاله ثقات عن أنس ، ورواه عنه نحو عشرين تابعيًا . قلت : وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم : (٣٩١٣) وحسنه في المشكاة ٢١/٢١٨ .

(٢٥) - وعن أبي بكر - ﷺ - قال : « لِأَنَّ أَقْرَأَ فَأَسْقِطَ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ فَأَلْحَنَ » .^(١)

(٢٦) - وعن أبي إسحاق الطلحي : « أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - ﷺ - كَانَ يَضْرِبُ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَى اللَّحْنِ » .^(٢) ، قلت : إن كان علي بن أبي طالب - ﷺ - يضربهما على اللحن في القرآن = فهو بين الدلالة ؛ وإن كان يضربهما على اللحن في غير القرآن = فهو في القرآن أشد .

(٢٧) - وعن نافع - رحمه الله - ، قال : « كَانَ ابْنُ عُمَرَ - ﷺ - يَضْرِبُ وَلَدَهُ عَلَى اللَّحْنِ » .^(٣) ، قلت : وهذا الخبر وإن كان قد ورد في غير القرآن = إلا إنه في القرآن أشد .

(٢٨) - وروى البيهقي في الشعب ، عن عمرو بن دينار قال : « أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ - ﷺ - كَانَا يَضْرِبَانِ أَوْلَادَهُمَا عَلَى اللَّحْنِ » .^(٤) ، قلت : وهذا الخبر وإن كان قد ورد في غير القرآن = إلا إنه في القرآن أشد .

(١) ذكره السيوطي في المزهري في علوم اللغة ٣٤١/٢ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢٨/٢ (١٠٨١) .

(٣) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٤٠/٥ (٢٥٦٥٠) - ١١٦/٦ (٢٩٩١٩) . وابن أبي الدنيا في العيال ٥٠٨/١ (٣٣٥) . والبخاري في الأدب المفرد - باب : الضرب على اللحن - ٣٠٤/١ (٨٨٠) وصححه محققه الشيخ الألباني .

(٤) [حسن عن ابن عمر ، وضعيف عن ابن عباس] ، أخرجه البيهقي في الشعب ٢٥٧/٢ (١٦٨٠) وعمرو بن دينار ضعيف ولم يدرکہما ، ولكن يشهد للخبر عن ابن عمر ما قبله .

(٢٩) - وَرُوي عن أبي موسى الأشعري - ﷺ - ، أنه استكتب أبا الحصين ابن أبي الحُرِّ العنبري ، فكتب إلى عمر - ﷺ - كتاباً ، فلحن في حرف منه ، فكتب إليه : « أَنْ قَتَعَ كَاتِبِكَ سَوَطًا » .^(١) ، قلت : فهذا الخبر وإن كان قد ورد في غير القرآن = إلا إنه في القرآن أشد .

(٣٠) - وعن الضحاک بن زَمَلٍ ، قال : « شهدت سليمان بن عبد الملك وهو يعرض الخيل بدابق ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين !، إن أبانا هلك وعمد أخاناً فأخذ مالنا ، فقال : لا رحم الله أباك ، ولا أجار أخاك ، ولا رد عليك مالك ؛ يا غلام !، السوط ، قال : فأول سوط ضرب قال : بسم الله ، قال دعوا عدو الله ، لو كان تاركاً للحن في وقت = لتركه الآن » .^(٢) ، قلت : وهذا الخبر وإن كان قد ورد في غير القرآن = إلا إنه في القرآن أشد .

(٣١) - وروى ابن الجعد في مسنده ، عن مجاهد - رحمه الله - ، قال : « إِنِّي لَأَكْرَهُ اللَّحْنَ فِي الْقُرْآنِ » .^(٣)

(٣٢) - وقيل للحسن البصري - رحمه الله - : « إِنَّ لَنَا إِمَامًا يَلْحَنُ ، قَالَ : أَخْرُوه » .^(٤)

-
- (١) أخرجه البيهقي في الشعب ٢٥٧/٢ (١٦٧٩) . وذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣٥٧/٦ .
والجاحظ في البيان والتبيين ٢٣١/١ . والسيوطي في المزهري في علوم اللغة ٣٤١/٢ .
(٢) ذكره ابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٦٤/٢٤ .
(٣) [صحيح] ، أخرجه ابن الجعد في مسنده ٣١٤/١ (٢١٣١) .
(٤) [صحيح] ، أخرجه البخاري في تاريخه ٣٧/٢ (١٦٠٦) . وابن منصور في سننه ١ (٤١) .
وأبو حاتم في الجرح والتعديل ٢٦٤/٢ (٩٥١) . والبيهقي في الشعب ٤٣٠/٢ (٢٣٠٣) .

(٣٣) - وعن عطاء ، قال : سمعت عبيد بن عمير يقول : « اجتمعت جماعة فيما حول مكة ، قال حسبت أنه قال : في أعلى الوادي ههنا وفي الحج ، قال : فحانت الصلاة ، فتقدم رجل من آل أبي السائب ، أعجمي اللسان ، قال : فأخره المسور بن مخرمة - ﷺ - وقدم غيره ، فبلغ عمر بن الخطاب - ﷺ - فلم يُعْرِفْه بشيء حتى جاء المدينة ، فلما جاء المدينة عَرَفْه بذلك ، فقال المسور بن مخرمة - ﷺ - : أنظرنى يا أمير المؤمنين !، إن الرجل كان أعجمي اللسان، وكان في الحج، فخشيت أن يسمع بعض الحاج قراءته فيأخذ بعجمته ، فقال : هنالك ذهبت بها ؟، فقال : نعم ، فقال : قد أصبت » .^(١)

(٣٤) - وعن ابن شهاب الزهري ، أنه كان يصلي وراء رجل يلحن ، فكان يقول : « لولا أن الصلاة في جماعة فضلت على الفرد ؛ ما صليت وراءه » .^(٢)، قلت : وهذا الرجل إما أنه كان يُطرب أو أنه كان يلحن لحنًا خفياً ؛ لأن مذهب الزهري عدم جواز قراءة اللحن .

(٣٥) - وعن أبي خالد الأحمر ، قال : سمعت الأعمش يقول : « كان طلحة - بن مصرف - يجيء ، فيجلس على الباب ، فتخرج الجارية وتدخل ، لا يقول لها شيئاً حتى أخرج ، فيجلس ويقرأ ؛ قال : [فما ظنكم برجل لا يُخطيء ولا يلحن] ؛ ثم قال : فإن استندت على الحائط قال : السلام عليكم ، ويذهب » .^(٣)

(١) [صحيح] ، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨٩/٣ (٤٠٩٦) .

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية ٣/٣٦٤ .

(٣) ذكره أبو نعيم في الحلية ١٨/٥ .

(٣٦) - وعن عبد الرحمن بن عجلان ، قال : مر عمر بن الخطاب - ﷺ -
برجلين يرميان ، فقال أحدهما للآخر : أسبت ، - أي أراد أن يقول
(أصبت) فترك استعلاء الصاد وإطباقها فصارت سيئاً - ، فقال عمر
- ﷺ - : « سُوءُ اللَّحْنِ أَشَدُّ مِنْ سُوءِ الرَّمِيِّ » .^(١)

(٣٧) - وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : « مَرَّ عُمَرُ - ﷺ -
بِقَوْمٍ يَزُمُونَ ، فَقَالَ : بِئْسَ مَا رَمَيْتُمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا مُتَعَلِّمِينَ ، فَقَالَ
عُمَرُ - ﷺ - : وَاللَّهِ ! لَدُنْبِكُمْ فِي لِحْنِكُمْ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ دُنْبِكُمْ فِي
رَمْيِكُمْ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - ، يَقُولُ : « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَصْلَحَ مِنْ
لِسَانِهِ » .^(٢) ، قلت : وهذا الخبر وإن كان قد ورد في غير القرآن =
إلا إنه في القرآن أشد بلا ريب .

(١) [حسن] ، أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب (٣٩٠) "الضرب على اللحن" ٣٠٤/١
(٨٨١) قال : حدثنا موسى قال حدثنا حماد بن سلمة عن كثير أبي محمد عن عبد الرحمن بن
عجلان به . وأخرجه ابن سعد أيضا في الطبقات ٢٨٤/٣ قال أخبرنا عفان بن مسلم بسنده
سواء ، وعبد الرحمن بن عجلان هو البصري حدث عن عمر وأنس رضي الله عنهما وأرسل
عن النبي - ﷺ - ، ولكني لم أجد له ترجمة تشفي ، وقال عنه ابن حجر في التقريب ٣٤٦/١
(٣٩٤٥) : "مجهول" . ولذلك ضعف شيخنا الألباني هذا الحديث في ضعيف الأدب ٢٦/١
(١٣٧) لجهالة عبد الرحمن بن عجلان . ولكن قال الذهبي عنه في الكاشف ٦٣٦/١ (٣٢٦٣) :
عبد الرحمن بن عجلان عن عمر وعنه ثابت وآخرون وثقه النسائي . قلت : وعموما فإنه
يشهد له ما بعده .

(٢) [صحيح] ، ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ٢٨٥/١ (٣٧٠) من رواية العسكري عن
هارون بن عمر ، حدثنا سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه ، قال : « مَرَّ عُمَرُ ... الحديث » .
وهذا إسناد صحيح ، ولهذا الحديث أيضا طرق كثيرة منها عن عمر - ﷺ - ، ومنها عن أنس
- ﷺ - ؛ ولكن لا يخلوا أحدها من ضعف شديد .

(٣٨) - وأخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه ، عن أحمد بن يحيى الكوفي ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - ، قال : « مَا اسْتَوَى رَجُلَانِ فِي حَسَبٍ وَدِينٍ قَطٍ ؛ إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا عِنْدَ اللَّهِ : أَدْبُهُمَا ، قَالَ : قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ !، قَدْ عَلِمْتُ فَضْلَهُ عِنْدَ النَّاسِ وَفِي النَّادِي وَالْمَجَالِسِ ، فَمَا فَضْلُهُ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ؟ ، قَالَ : بِقِرَاءَتِهِ الْقُرْآنَ مِنْ حَيْثُ أَنْزَلَ ، وَدُعَائِهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَيْثُ لَا يَلْحَنُ ؛ وَذَلِكَ الرَّجُلُ لَيَلْحَنُ = فَلَا يَضَعِدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .^(١)

(٣٩) - وأخرج البيهقي في "الشعب" عن سالم بن قتيبة ، قال : كنت عند هشام بن هبيرة - القاضي -^(٢) ، فجرى ذكر الحرب ، فقال هشام : « وَاللَّهِ مَا أَسْرَى رَجُلَانِ قَطٍ ، دِينُهُمَا وَاحِدٌ ، وَحَبْسُهُمَا وَاحِدٌ ، وَمُرُوءَتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، أَحَدُهُمَا يَلْحَنُ ، وَالْآخَرُ لَا يَلْحَنُ ، وَأَفْضَلُهُمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : الَّذِي لَا يَلْحَنُ ، قَالَ : قُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، هَذَا فِي الدُّنْيَا لِفَضْلِ فَصَاحَتِهِ وَعَرَبِيَّتِهِ ، فَفَضْلُهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَاذَا ؟ ، قَالَ : لِأَنَّهُ يُقِيمُ كِتَابَ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهَذَا يُدْخِلُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَيْسَ فِيهِ ، وَيُخْرِجُ مَا هُوَ فِيهِ ، قَالَ : قُلْتُ : صَدَقَ الْأَمِيرُ وَبَرَّ » .^(٣)

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٩٢/٥٤ .

(٢) هو هشام بن هبيرة الضبي القاضي ، كان على قضاء البصرة ، يروى عن أبي هريرة ، روى عنه

أهل البصرة ، قاله ابن حبان في الثقات ٥٠٢/٥ (٥٩٣٧) .

(٣) البيهقي في الشعب ٤٣٠/٢ (٢٣٠٢) . وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨٠/٤٥ .

(٤٠) - وعن يحيى بن آدم ، قال : سمعت شريك بن عبد الله يقول : ما كان أقرأ عاصما وأفصحه ، قال : وقرأ مسعر على عاصم ، فلحن ، فقال له عاصم : « أَرَغَلْتَ يَا أَبَا سَلَمَةَ » .^(١)

(٤١) - وذكر أبو طاهر السلفي : أن رجلا رأى يعقوب - بن إسحاق الحضرمي " رحمه الله تعالى " أحد القراء العشرة - ، مارا في شارع من شوارع البصرة وهو غضبان وطرف رداؤه ينجر في الأرض والطرف الآخر على كتفه ، فقال له : إلى أين يا أبا محمد ، فقال : إلى النار - بالإمالة - ، قال : فتعجبت من ذلك ؛ لأن الإمالة ليست من اختياره في قراءته ، فجاء إلى مجلسه في الجامع وسأل عن خبره ، فقيل : « قَرَأَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَلَحَنَ ؛ فَغَضِبَ وَقَامَ وَأَنْصَرَفَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ » .^(٢)

(٤٢) - وقال عبد الله بن ذكوان - رحمه الله تعالى - : [يَجِبُ عَلَى قَارِئِ الْقُرْآنِ : أَنْ يَقْرَأَهُ بِتَرْتِيلٍ ، وَتَرْسُلٍ ، وَتَدْبِيرٍ ، وَتَفْهَمٍ ، وَخُشُوعٍ وَبُكَاءٍ ، وَدُعَاءٍ ، وَتَحْفُظٍ ، وَتَثْبِتٍ ، وَأَنْ يُزَيِّنَ قِرَاءَتَهُ بِلِسَانِهِ ، وَيُحَسِّنَهَا بِصَوْتِهِ ، وَيَعْرِفَ مَخَارِجَ الْحُرُوفِ فِي مَوَاضِعِهَا] .^(٣)

(١) [صحيح] ، أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٣٢/٢٥ (٣٠٠٨) . والدولابي في الكنى والأسماء (١٠٠٢٠٧) . وقال ابن الأثير في غريب الحديث : (أرغلت) أي صرّت صبيّا ترضع بعد ما مهزّت القراءة .

(٢) ذكره أبو طاهر السلفي في معجم السفر ٥٠/١ .

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء - لعلم الدين السخاوي ، ط دار البلاغة ، ت . د . عبد الكريم الزبيدي ٣٣٥/٢ .

(٤٣) _ وقال أبو علي الحسن بن داود النقار : ذكرت عند أبي موسى الحامض : عاصما - رحمه الله - ، فقال : ذاك لا يعد مع القراءة ، قال : فنظر إلي ، وتبين الغضب في وجهي ، فقال لي : تريد أن تعربد ، قلت : حدثني أحمد بن حنبل ، أنه قال : لولا خُلْفُ بين أصحاب عاصم لما وسع أحد أن يقرأ بغير قراءته ، فقال لي : ويحك !، إنما أردت أن أرفعه عن القراء وأجعله في طبقات العلماء ؛ لأن من علمه جاء الخلفُ عنه ؛ لأنه كان عارفاً باللغة والعربية ، فكان : [من قرأ عليه بما يجوز : تركه ، ولم يردد عليه] «^(١)» .

(٤٤) _ وأخرج ابن عساكر في تاريخه ، عن محمد بن الحسين البسطامي ، أنبأنا أحمد ، قال : سمعت المزني يقول : قرأ رجل على الشافعي فلحن ، فقال الشافعي : « أَضْرَسْتَنِي »^(٢) ، قلت : وهذا يدل على شدة إنكاره للحن .

(٤٥) _ وسمع أعرابي إماماً يقرأ : ﴿ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾^(٣) ، بفتح تاء ﴿ تُنْكِحُوا ﴾ ، فقال : سبحان الله !، هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده ؟ ، فقيل له : (إنه لحن) ، والقراءة : ﴿ وَلَا تُنْكِحُوا ﴾ ، فقال : (قبحه الله) ، لا تجعلوه بعدها إماماً ؛ فإنه يُحِلُّ ما حَرَّمَ الله .^(٤)

(١) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣٢/٢٥ (٣٠٠٨) .

(٢) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧٤/٥١ .

(٣) [سورة البقرة : ٢٣١] .

(٤) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ١٩٧/١ .

(٤٦) _ وقيل للإمام مالك - رحمه الله تعالى - : « كيف قرأتم في سورة "سليمان" : ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أُمَّ ﴾ ^(١) ، مرسله الياء ، وقرأتم في سورة "يس" : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ ﴾ ^(٢) ، منتصبه الياء ؟ ، فذكر مالك كلاما ، ثم قال : « لا تدخل على كلام ربنا لم وكيف ، وإنما هو : سماع وتلقين ، أصاغر عن أكابر ، والسلام » . ^(٣)

(٤٧) _ وقال محمد بن الحسن ، صاحب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - : قلت لمالك بن أنس - رحمه الله تعالى - : « لم قرأتم في سورة (ص) : ﴿ وَبِئْسَ نَجِةً وَاحِدَةً ﴾ ^(٤) ، (موقوفة الياء) ^(٥) ، وقرأتم في سورة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ : ﴿ وَبِئْسَ نَجِةً وَاحِدَةً ﴾ ^(٦) ، (منتصبه الياء) ؟ ، فقال : « يا أهل الكوفة ! ، لم يبق لكم من العلم إلا كيف ولم ؟ ، القراءة سنة ، تؤخذ من أفواه الرجال ، فكن متبعا ، ولا تكن مبتدعا » . ^(٧)

(١) [النمل : من الآية ٢٠] .

(٢) [يس : من الآية ٢٢] .

(٣) رواه أبو عمرو الداني في جامع البيان ص ٤٢ .

(٤) [ص : من الآية ٢٣] .

(٥) أي : ساكنة الياء . وقد فتح الياء فيها حفص وهشام بخلفه وسكنها الباقون .

(٦) [الكافرون : من الآية ٦] .

(٧) رواه أبو عمرو الداني في جامع البيان ص ٤٢ .

(٤٨) - وقال البيهقي في السنن عقب روايته لحديث زيد بن ثابت - ﷺ - « القراءة سنة »^(١) ، قال : وإنما أراد - والله أعلم - ، [أن اتباع من قبلنا في الحروف وفي القراءات : سنة متبعة ، لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة ، وإن كان غير ذلك سائغا في اللغة ، أو أظهر منها ، وبالله التوفيق .. ، وأما الأخبار التي وردت في إجازة قراءة : (غفور رحيم) بدل (عليم حكيم) ؛ فلأن جميع ذلك مما نزل به الوحي ، فإذا قرأ ذلك في غير موضعه ، ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة أو رحمة بعذاب ، فكانه قرأ آية من سوره وآية من سورة أخرى فلا يَأثم بقراءتها كذلك ، والأصل : ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله - ﷺ - بعد ما عارضه به جبرئيل عليه السلام في تلك السنة مرتين ، ثم اجتمعت الصحابة - ﷺ - على إثباته بين الدفتين] .^(٢)

(٤٩) - وروى إبراهيم بن ميسرة ، عن مجاهد ، قال : « كنت أتحدى الناس بالحفظ ، فصليت خلف مسلمة بن مخلد ، فقرأ سورة البقرة ، فما ترك ألفا ، ولا واوا »^(٣) ، أي : قرأه كما ورد ، من غير زيادة أو نقصان .

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) السنن الكبرى ، ٣٨٥/٢ (٣٨٠٨) / "نزول القرآن على سبعة أحرف" .

(٣) [صحيح] ، أخرجه سعيد بن منصور في سننه ، باب "فضائل القرآن" ١ (٦١) .

(٥٠) - وقال أبو العباس أحمد بن محمد الفيومي : الضاد حرف مستطيل ، ومخرجه من طرف اللسان إلى ما يلي الأضراس ، ومخرجه من الجانب الأيسر أكثر من الأيمن ، والعامّة تجعلها ظاء ، فتخرجها من طرف اللسان وبين الثنايا ، وهي لغة حكاها الفراء عن المفضل ، قال : من العرب من يبدل الضاد ظاء ، فيقول : (عظت الحرب بني تميم) ، ومن العرب من يعكس ، فيبدل الظاء ضادا ، فيقول في (الظهر) : (ضهر) ؛ [وهذا وإن نقل في اللغة وجاز استعماله في الكلام فلا يجوز العمل به في كتاب الله تعالى ؛ لأن القراءة سنة متبعة ، وهذا غير منقول فيها] .^(١)

(٥١) - وقال ابن جنّي في "الخصائص" : « ... قال رسول الله - ﷺ - لرجل لحن : (أَرَشِدُوا أَخَاكُمْ ، فَإِنَّهُ قَدْ ضَلَّ)^(٢) ؛ فسمي اللحن ضلالاً » .^(٣)

(٥٢) - وقال مكّي بن أبي طالب في "الرعاية" : « فَلَا يَزْصِيَنَّ أَمْرُؤُا لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ ذِكْرُهُ - وَتَجْوِيدِ أَلْفَاظِهِ = إِلَّا بِأَعْلَى الْأُمُورِ وَأَسْلَمَهَا مِنَ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ » .^(٤)

(١) انظر كتاب "المصباح المنير" في غريب الشرح الكبير " للرافعي " ، لأبي العباس : أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ٢/٣٦٥ / باب : الضاد (ض اد) / طباعة ونشر المكتبة العلمية - بيروت .

(٢) [حسن] ، سبق .

(٣) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنّي الموصلي ٣/٢٤٦ .

(٤) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكّي بن أبي طالب ص ٢٥٤ .

(٥٣) _ وعن أحمد بن عبد الأعلى ، قال : كان عبد الملك بن مروان يقول: « اللَّحْنُ فِي الرَّجُلِ السَّرِيِّ كَالْجُدْرِيِّ فِي الْوَجْهِ »^(١)، قلت: فهذا وإن كان في قراءة غير القرآن = فهو في قارئ القرآن أشد بلا ريب .

(٥٤) _ وقال الزمخشري في " الفائق " : « اللَّحْنُ فِي السَّرِيِّ = مِثْلُ التَّفْنِينِ فِي الثُّوبِ »^(٢)، وهو أن يكون في الثوب الصَّفِيق بقعة سخيقة. قلت : فهذا وإن كان في قراءة غير القرآن = فهو في قارئ القرآن أشد بلا ريب .

(٥٥) _ وقال رجل للأعمش : إن كان بن سيرين ليسمع الحديث فيه اللحن فيحدث به على لحنه ، فقال الأعمش : إن كان بن سيرين يلحن فان النبي - ﷺ - لم يلحن فقوموه^(٣) .

(٥٦) _ وسئل أبو عبد الرحمن النسائي عن اللحن في الحديث ؟، فقال: إن كان شيئاً تقوله العرب ، وإن كان في غير لغة قريش فلا يغير ؛ لأن النبي - ﷺ - كان يكلم الناس بلسانهم ، وإن كان مالا يوجد في كلام العرب فرسول الله - ﷺ - لا يلحن^(٤) . قلت : فإن كان هذا في غير القرآن ؛ فهو في القرآن من باب أولى .

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي .

(٢) الفائق في غريب الحديث و الأثر .

(٣) الكفاية في علم الرواية ١٩٤/١ .

(٤) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض ١٨٣/١ .

(٥٧) - وقال ابن حزم في " الإحكام " : وأما اللحن في الحديث ، فإن كان شيئاً له وجه في لغة بعض العرب = فليزوه كما سمعه ، ولا يُبدله ، ولا يرده إلى أفصح منه ولا إلى غيره ، وإن كان شيئاً لا وجه له في لغة العرب البتة = فحرام على كل مسلم أن يُحدِّثَ باللحن عن النبي - ﷺ - ، فإن فعل = فهو كاذب مستحق للنار في الآخرة ؛ لأننا قد أيقنا أنه عليه السلام لم يلحن قط كتيقنا أن السماء محيطة بالأرض وأن الشمس تطلع من المشرق وتغرب من المغرب ، فمن نقل عن النبي - ﷺ - اللحن = فقد نقل عنه الكذب بيقين ، وفرض عليه : أن يصلحه ، ويبشِّره من كتابه ، ويكتبه معرباً ، ولا يحدث به إلا معرباً ، ولا يلتفت إلى ما وجد في كتابه من لحن ، ولا إلى ما حدث شيوخه ملحوناً ، ولهذا لزم لمن طلب الفقه = أن يتعلم النحو واللغة ؛ وإلا فهو ناقص منحط لا تجوز له الفتية في دين الله عز وجل .^(١)

(٥٨) - وعن سعيد بن أبي عروبة : أن أيوب السخنياني كان عند قتادة ، فلحن فقال : « استغفر الله » .^(٢)

(٥٩) - وقال ابن فارس : « وَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَدِيمًا : يَجْتَنِبُونَ اللَّحْنَ فِيمَا يَكْتُبُونَهُ أَوْ يَقْرَأُونَهُ = اجْتَنَابَهُمْ بَعْضَ الذَّنُوبِ » .^(٣)

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢١٦/٢ .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن حبان في الثقات ٢٣/٩ (١٤٩٧٢) . وأبو نعيم في الحلية ١١/٢ .

(٣) المفصل في تاريخ العرب ٢٨١/١٢ . والصاحبي في فقه اللغة ١٠/١ .

(٦٠) _ وقال رجل للحسن البصري - رحمه الله تعالى - : يا أبا سعيد ، والله ! ، ما أراك تلحن ! ، فقال : « يَا ابْنَ أَخِي ! ، إِنِّي قَدْ سَبَقْتُ اللَّحْنَ » .^(١)

(٦١) _ وقال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - : « إذا صلى الإمام بقوم فترك القراءة = انتقضت صلاته وصلاة من خلفه ، وأعادوا وإن ذهب الوقت ، قال : فذلك الذي لا يُحسن القرآن = أشد عندي من هذا ؛ لأنه لا ينبغي لأحد أن يأتي بما لا يُحسن القرآن » .^(٢)

(٦٢) _ وقال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - في "الأم" : « وأكره أن يكون الإمام لحناً ، لأن اللحن قد يحيل معاني القرآن ، فإن لم يلحن لحناً يحيل معنى القرآن أجزاءه صلاته ، وإن لحن في أم القرآن لحناً يحيل معنى شيء منها لم أر صلاته مجزئة عنه ولا عمّن خلفه » .^(٣)

(٦٣) _ وقال الغزالي في "الإحياء" : والذي يُكثر اللحن في القرآن : « إن كان قادراً على التعلم = فليمتنع من القراءة قبل التعلم ؛ فإنه عاص به ، والله أعلم » .^(٤)

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١١٦/٦ ، (٢٩٩٢٠) ، ١٨٦/٦ ، (٣٠٥٤٣) .

(٢) المدونة الكبرى ١/١٧٧ .

(٣) كتاب الأم ١/١١٠ .

(٤) إحياء علوم الدين - لأبي حامد / محمد بن محمد الغزالي - الناشر / دار المعرفة - بيروت

(٦٤) - وقال الإمام الزركشي في "البرهان" : قال الله تعالى لنبية - ﷺ - :

﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ ؛ [فَحَقَّ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قَرَأَ الْقُرْآنَ :
أَنْ يُرْتَلَهُ] .^(١)

(٦٥) - وقال الأجرى في "أخلاق حملة القرآن" : [يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ

أَنْ يُرْتَلَهُ] ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ .^(٢)

(٦٦) - وقال ابن عادل في تفسيره : قوله : ﴿ تَرْتِيلًا ﴾ : [تَأْكِيدٌ فِي إِجَابِ

الْأَمْرِ بِهِ ، وَأَنَّهُ مِمَّا لَا بَدَّ مِنْهُ لِلْقَارِي] .^(٣)

(٦٧) - وقال ابن عجيبة في "تفسيره" : « ترتيل القرآن واجب ؛ فمن لم

يرتله فهو آثم إذا أحل بشيء من أداء التجويد ، كترك الإشباع ، أو
غيره » .^(٤)

(٦٨) - وقال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي : قوله : ﴿ وَرَتَّلِ

الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ ، [نَصَّ عَلَى أَنَّ الْعِبْرَةَ بِتَرْتِيلِ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا ، وَأَكَّدَ

بِالْمَصْدَرِ : تَأْكِيدًا لِإِرَادَةِ هَذَا الْمَعْنَى ... ، فَوَجَبَ التَّرْتِيلُ = كَمَا بَيَّنَّ

النَّبِيُّ - ﷺ -] . اهـ .^(٥)

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٤٩/١ .

(٢) أخلاق حملة القرآن (٨١) - تحقيق محمود النقراشي - ط دار البشائر الإسلامية - بيروت .

(٣) تفسير اللباب لابن عادل ٣٤/١٦ .

(٤) تفسير ابن عجيبة "البحر المديد" - الجزء السادس - قول الله تعالى : « وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا » .

(٥) أضواء البيان للشنقيطي ٦١٠/٨ - ٦١ - ط ابن تيمية .

(٦٩) _ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « لا ينبغي لطلبة العلم الصلاة خلف من لا يقيم الفاتحة ويقع في اللحن الجلي بحيث يغير حرفاً أو حركة » .^(١)

(٧٠) _ وقال يعقوب : « إن من التحريف = تغيير الأوصاف من جهر وهمس وتفخيم ... ، فعلمنا : أن هذا حرام ، وأن ضده وهو التجويد : واجب » .^(٢)

(٧١) _ وقال الشيخ محمد حسين مخلوف - مفتي الديار المصرية سابقاً - " رحمه الله تعالى " : « وقد أجمعوا على : أن النقص فى كيفية القرآن وهيته = كالنقص فى ذاته ومادته ؛ فترك المد ، والغنة ، والتفخيم والترقيق = كترك حروفه وكلماته ، ومن هنا : وجب تجويد القرآن » .^(٣)

(٧٢) _ وقال الشيخ مخلوف أيضاً : « وأهل الصدر الأول ما كانوا يقرءون القرآن ولا يُعَلِّمونه الأطفال إلا مرتلاً مجوداً ، حتى لا يخرج الصبي من المكتب إلا على رياضة تامة ومعرفة بتلاوة القرآن وترتيله ، ولا ينقصه إلا معرفة الأحكام والاصطلاحات الفنية التى يسمونها الآن علم التجويد » .^(٤)

(١) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، مطبعة الرياض ، ٤٤٣/٢٢ ، ٣٥٠/٢٣ .

(٢) المدخل ص ١٥٨ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٤م جى جى لطباعة الأوفست .

(٣) عنوان البيان للشيخ مخلوف مطبعة الحلبي ص ٢٧ .

(٤) عنوان البيان للشيخ مخلوف مطبعة الحلبي ص ٢٧ .

(٧٣) - وقال السخاوي : المراد بالتجويد : إعطاء الحروف حقها ، وإخراجها من مخارجها ، واجتناب اللحن الخفي .^(١) قلت : وإنما قال ذلك : لأنه يرى أن القراءة مع اللحن الجلي = ليست قراءة أصلا .

(٧٤) - وقال المناوي في " فيض القدير " : قوله : « أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ ، وَالتَّمَسُّوا غَرَائِبَهُ » .^(٢) أي : تعرفوا ما فيه من بدائع العربية ودقائقها وأسرارها ، وليس المراد : الإعراب المصطلح عليه عند النحاة ؛ « لأن القراءة مع اللحن = ليست قراءة ، ولا ثواب له فيها » .^(٣)

(٧٥) - وقال السيوطي في " الإتيقان " عقب ذكره لحديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ = كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُونَ حَسَنَةً ، وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ إِعْرَابٍ = كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ » .^(٤) قال : والمراد بإعرابه : معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن ، [لأن القراءة مع فقدته : ليست قراءة ، ولا ثواب فيها] .^(٥)

(١) جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي ٣٣٥/٢ .

(٢) [ضعيف] ، سبق .

(٣) فيض القدير ٥٥٨/١ (١١٤٩) .

(٤) [ضعيف] ، سبق .

(٥) الإتيقان للسيوطي ، باب " في معرفة غريبه " ٣٠٣/١ (١٤٩٥) .

(٧٦) _ وقال الإمام محمد ابن الجزري - رحمه الله تعالى - : « ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده = فهم كذلك متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفضحية العربية ، التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها ، والناس في ذلك بين محسن مأجور ، ومسئ آثم ، أو معذور ، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح ، العربي الفصيح ، وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي ، أو النبطي القبيح ، استغناء بنفسه ، واستبدادا برأيه وحده ، واتكالا على ما ألفه من حفظه ، واستكبارا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه : فإنه مقصر بلا شك ، وآثم بلا ريب ، وغاش بلا مرية ، فقد قال رسول - ﷺ - : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ : قُلْنَا لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَاقِبَتِهِمْ »^(١) ، أما من كان لا يطاوعه لسانه ؛ أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه ، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها . ولهذا أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة قارئ خلف أمي ، (وهو من لا يحسن القراءة) . قال : ولذلك عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنا ، وعدوا القارئ بها لحانا »^(٢) ، قلت : ولم يذكر له مخالف من علماء السلف .

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢٣٧/١ . وانظر : الإتقان للسيوطي ٢٦٦/١ .

(٧٧) _ وقال الإمام ابن الجزري أيضا : « واختلفوا في صلاة من يبدل حرفاً بغيره ، سواء تجانساً أم تقارباً ، وأصح القولين عدم الصحة كمن قرأ : الحمد بالعين ، أو الدين بالتاء ، أو المغضوب بالخاء أو بالظاء ، قال الشيخ الإمام أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي في كتابه الموضح في وجوه القراءات في فصل التجويد : فإن حسن الأداء فرض في القراءة ، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته ، صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلاً ، على أن العلماء قد اختلفوا في وجوب حسن الأداء في القرآن ، فبعضهم ذهب إلى أن ذلك مقصور على ما يلزم المكلف قراءته في المفترضات ، فإن تجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الأداء = واجب فيه فحسب ، وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب على كل من قرأ شيئاً من القرآن ، كيفما كان ؛ لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلاً إليه إلا عند الضرورة ، قال الله تعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(١) ، انتهى . قال : وهذا الخلاف على الوجه الذي ذكره غريب ، والمذهب الثاني هو الصحيح ، بل الصواب على ما قدمناه ، وكذا ذكره الإمام الحجة أبو الفضل الرازي في تجويده وصوب ما صوبناه ، والله أعلم . »^(٢)

(١) [الزمر : ٢٨] .

(٢) النشر في القراءات العشر ١/٢٣٨ .

(٧٨) - وقال الإمام ابن الجزري في " نشره " أيضا : « التجويد فرض على كل مكلف ؛ لأنه متفق عليه بين الأئمة ، بخلاف الواجب فإنه مختلف فيه ... ؛ ومن استأجر شخصا ليقرئه القرآن ، أو ليقرأ له ختمة ، فأقرأه القرآن ، أو قرأ له الختمة بغير تجويد : لا يستحق الأجرة ، ومن حلف أن القرآن بغير تجويد ليس قرآنا لم يحنث » .^(١)

(٧٩) - وسئل الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - ، عن معني قول ابن الجزري هذا ؟ ، فقال : « إن كان يعني صفة التلاوة ، حيث إن القرآن نزل مجودا مرتلا : فصحيح ، وإن أراد مجرد ألفاظه وحروفه : فليس كذلك » .^(٢)

(٨٠) - وسئل الشيخ الألباني - رحمه الله - ، عن حكم تجويد القرآن الكريم ؟ ، « فأفتى بالوجوب » .^(٣)

(٨١) - وقال الشيخ محمد مكي نصر في " نهاية القول المفيد " : « فقد اجتمعت الأمة المعصومة من الخطأ على وجوب التجويد من زمن النبي - ﷺ - إلى زماننا ؛ ولم يختلف فيه عن أحد منهم ؛ وهذا من أقوى الحجج » .^(٤)

(١) النشر في القراءات العشر (١ / ٢١١) .

(٢) القول المفيد في وجوب التجويد لمحمد موسى نصر ص ٣١ .

(٣) القول المفيد في وجوب التجويد لمحمد موسى نصر ص ٣١ .

(٤) نهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر ص ١٥ .

(٨٢) _ وقال الإمام السخاوي - رحمه الله تعالى - في " جمال القراءة " :
 « وعلى الجملة : فمن اجتنب اللحن الجلي والخفي = فقد جود
 القراءة » .^(١)

(٨٣) _ وقال الملا علي في شرحه على المقدمة الجزرية : « وأخذ القارئ
 بتجويد القرآن ، وهو تحسين ألفاظه بإخراج الحروف من مخارجها
 وإعطائها حقوقها من صفاتها وما يترتب على مفرداتها ومركباتها:
 فرض لازم وحتم دائم ، ثم إن هذا العلم لا خلاف في أنه فرض
 كفاية، والعمل به فرض عين » .^(٢)

(٨٤) _ وسئل الشيخ ناصر الدين الطبلاوي - رحمه الله - ، هل يجب
 إدغام النون الساكنة والتنوين عند حروف الإدغام ، وإخفاؤهما عند
 حروف الإخفاء ، وقلبهما عند حروف الإقلاب ، أم لا ؟ ، وإذا كان
 واجبا ؛ فهل يجب على مؤدب الأطفال تعليمهم ذلك ؟ ، وإذا قلتم
 بالوجوب في جميع ذلك ؛ فهل هو شرعي = يثاب فاعله ، ويأثم
 تاركة ، ويكون تركه لحنا ؟ ، أو صناعي = فلا ثواب لفاعله ولا إثم
 على تاركة ولا يكون تركه لحنا ؟ ، وماذا يترتب على تارك ذلك ؟ ،
 وإذا أنكر شخص وجوبه = فهل هو مصيب أو مخطئ ؟ ، وماذا
 يترتب عليه إنكار ذلك ؟ ، أفتونا أثابكم الله . فأجاب بقوله : ←

(١) جمال القراءة وكمال الإقراء لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي ، نشر دار
 البلاغة ، تحقيق / د . عبد الكريم الزبيدي ، الجزء الثاني ، باب / منهاج التوفيق إلى معرفة
 التجويد والتحقيق ، ٣٤٠/٢ .

(٢) المنح الفكرية للملا علي الفارئ ص ١٨ ، وانظر كذلك هداية المرید في بيان حكم ص ١٣ .

«الحمد لله الهادي للصواب ، نقول بالوجوب في جميع ذلك ، من أحكام النون الساكنة والتنوين ، والمد اللازم والمتصل ، ولم يرد عن أحد من الأئمة أنه خالف فيه ، وإنما تفاوتت مراتبهم في المد المتصل مع اتفاقهم على أنه لا يجوز قصره كقصر المنفصل في وجه من الوجوه ، وقد نصت الفقهاء على أنه إذا ترك شدة من الفاتحة كشدة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ منها بأن جزم اللام وأتى بها ظاهرة = فلا تصح صلاته ، ويلزم من عدم الصحة التحريم ؛ لأن كل ما أبطل الصلاة = حرم تعاطيه ، ولا عكس . فيجب على كل عاقل له ديانة أن يتلقاها بالقبول عن الأئمة الاعتباريين ، ويرجع إليهم في كيفية أدائه ، لأن كل علم يؤخذ عن أهله ، فاعتن به ، ولا تأخذ بالظن ، ولا تنقله عن غير أهله ؛ ويجب على المعلم من فقيه الأولاد وغيره أن يعلم تلك الأحكام وغيرها ، مما اجتمعت القراء على تلقيها بالقبول ، لأن كل ما اجتمعت عليه القراء = حرمت مخالفتها ، ومن أنكر ذلك = فهو مخطئ ءائم ، يجب عليه الرجوع عن هذا الاعتقاد ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .»^(١)

(٨٥) _ وقال الزركشي في "البرهان" : « وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة ، وأنها سنة متبعة ، ولا مجال للاجتهاد فيها .. ، ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه - ﷺ - »^(٢)

(١) نهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٣٢٢ .

(٨٦) _ وقال الإمام الصفاقسي في "تنبيه الغافلين" : « الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام من خير أمة أخرجت للناس ومن علينا بحفظ كتابه الكريم، وأمرنا بتجويده بإعطاء كل حرف بعد إخراجِه من مخرجه ما يستحقه من الصفات وما يترتب على ذلك كالترقيق والتفخيم ... » .^(١)

(٨٧) _ وقال العلامة ابن حجر : « اعلم : أن كل ما أجمع القراء على اعتباره ، من مخرج ، ومد ، إظهار ، وإدغام ، وغيرها = وجب تعلمه ، وحرّم مخالفته » .^(٢)

(٨٨) _ ونقل الشيخ محمد مكّي نصر في "نهاية القول المفيد" عن ابن غازي ما مفاده : « أنه لا بد في حق من يخل بشيء من الأحكام المجمع عليها = من تعلم الأحكام والأخذ بمقتضاها من أفواه المشايخ ، فإن لم يفعل = أثم بالإجماع » .^(٣)

(٨٩) _ وقال البكري الدميّاطي في "إعانة الطالبين" : « يلزم قارئ الفاتحة وغيرها الإتيان بما أجمع القراء على وجوبه ، من مد وإدغام وغيرها » .^(٤)

(١) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبي محمد النوري الصفاقسي المالكي - أول المقدمة .

(٢) هداية المرید في بيان حكم التجويد ص ٣٦ .

(٣) نهاية القول المفيد لمحمد مكّي نصر .

(٤) إعانة الطالبين للبكري الدميّاطي ١ / ١٦٥ .

(٩٠) - وقال السيد محمد حقي النازلي : « إن مراعاة قواعد التجويد والأخذ بذلك = فرض عين لازم لكل من يقرأ القرآن ؛ لأن الإله أنزل القرآن بالتجويد ، وهكذا وصل إلينا عن الله .. ؛ فإذا لم يقرأ على الوجه الذي نزل = يكون مخالفاً لله تعالى ولرسوله - ﷺ - ، والمخالف : عاص آثم ؛ والآثم : معاقب ؛ فعلم : أن ترك التجويد = حرام » .^(١)

(٩١) - وقال الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - : « والسنة : أن يرتل القرآن ترتيلاً ، لا هذأً ولا عجلة ، بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ، ويزين القرآن بصوته ، ويتغنّى به في حدود الأحكام المعروفة عند أهل العلم بالتجويد ، ولا يتغنّى به على الألحان المبتدعة ، ولا على القوائين الموسيقية » .^(٢)

(٩٢) - وقال ابن حجر الهيتمي ، والشيخ عبد الحميد الشرواني ، والشيخ أحمد بن قاسم العبادي : ولو بالغ في الترتيل فجعل الكلمة كلمتين ، قاصداً إظهار الحروف ، كالوقف اللطيفة بين السين والتاء من ﴿نَسْتَعِينُ﴾ : لم يجز ؛ إذ الواجب أن يخرج الحرف من مخرجه ، ثم ينتقل إلى ما بعده ، متصلاً به بلا وقفة ، وبه يعلم أنه يجب على كل قارئ أن يراعي في تلاوته ما أجمع القراء على وجوبه » .^(٣)

(١) هداية المرید فی بیان حکم التجويد ص (١٥) - للدكتور صابر حسن محمد، المدرس

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / طبع : الدار المصرية السعودية ، سنة / ٢٠٠٤ م .

(٢) تلخيص صفة الصلاة ص ٢٤ (٦٧) .

(٣) انظر حواشي العلامتين : عبد الحميد الشرواني ، وأحمد بن قاسم العبادي على " تحفة

المحتاج بشرح المنهاج " - تأليف العلامة / شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ٤١/٢ .

(٩٣) - وقال عبد الودود مقبول : ينبغي ترتيل القرآن الكريم بالصورة

الصحيحة التي نزل عليها : ﴿ وَرَزَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ ، فالرسول

- ﷺ - كان يتلقى القرآن من الوحي عن رب العزة والجلال، فنحن

بقراءتنا وترتيلنا إن أحكمناه = إنما نتبع ما علم الله نبيه - ﷺ - من

ترتيل محكم ، جاء به التنزيل وأمر به النبي - ﷺ - .^(١)

(٩٤) - وورد سؤال للشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى - ، ونصه:

« يلاحظ أن كثيرا من المؤذنين يمططون الأذان ، فما الحكم في

ذلك ؟ ، فأجاب بقوله :

ينبغي للمؤذن أن يصون الأذان من اللحن والتلحين .

واللحن كونه يُخل بالإعراب ، كأن يقول : « أشهد أن محمدا

رسول الله » ، بفتح اللام ، بل يجب ضم لام « رسول الله » ؛ لأن

رسول الله خبر أن مرفوعا .

فإن نصب اللام (رسول الله) ؛ كان ذلك من اللحن الممنوع ، (وإن

كان لا يخل بالمعنى في الحقيقة ، ولا يمنع صحة الأذان ؛ لأن

مقصود المؤذن : هو الإخبار بأن محمدا - ﷺ - هو رسول الله ؛

ولأن بعض العرب ينصب المعمولين ، لكن ذلك لحن عند أكثر

(العرب) .

(١) نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد النبي - ﷺ - المبحث الثاني - حكّم نزول القرآن

مفرقا ص ١٧ وما بعدها - الحكمة الخامسة .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

→ وأما التلحين : فهو التطويل والتمطيط ، وهو مكروه في الأذان والإقامة .^(١)

قلت : فهذا إن كان في الأذان وهو ليس بقرآن = فهو في قراءة القرآن أشد بلا ريب .

(٩٥) - وورد سؤال للشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - ، ونصه : عندنا امرأة يزيد عمرها على خمسين سنة ، وفي قراءتها لسورة الفاتحة تقول : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ؛ بالنون بدل الميم ، وإذا أرادت أن تقول ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ؛ تقول : (إياك نعبد وإياك نستعين) بالميم ، فما هو رأي فضيلتكم في ذلك ؟ ، فأجاب بقوله :

« أرى أن تجلس معها أنت ، أو تجلس معها بعض الأخوات لتعليمها القراءة الصحيحة ، وخصوصاً لتعديل هذه الحروف التي تخطئ فيها من سورة الفاتحة ، وليس كبير السن مانعاً لها من التعلم ، فاجلس معها ولو أكثر من جلسة ، ومع التكرار تتعلم إن شاء الله تعالى » .^(٢)

- (١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - طيب الله ثراه - الناشر : الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء - ٤٩٠/١٠ .
- (٢) فتاوى : لقاءات الباب المفتوح - لفضيلة الشيخ العلامة : محمد بن صالح العثيمين - طيب الله ثراه - لقاء الباب المفتوح رقم [٤٨] .

(٩٦) - وورد سؤال للجنة الفتوى بالأزهر الشريف قال فيه السائل : « لم أتعلم أحكام قراءة القرآن ، فأنا أقرأ مع مراعاة ضبط الحروف كما هي في المصحف ، ولكني لا أعرف القواعد الأخرى لقراءته ، فما حكم ذلك ؟ » ، فجاء الجواب بما يلي :

قال علماء التجويد : تجويد القرآن الكريم واجب وجوبا شرعيا ، يثاب القارئ على فعله ، ويعاقب على تركه ، وهو فرض عين على من يريد قراءة القرآن ، لأنه نزل على نبينا - ﷺ - مجودا ، ووصل إلينا كذلك بالتواتر .

وقد أخرج ابن خزيمة في صحيحه عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله - ﷺ - : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ كَمَا أَنْزَلَ) .^(١)

وقال تعالى : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ .^(٢) ، وقال سبحانه وتعالى أيضا : ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ .^(٣)

والترتيل مأخوذ من قولهم : رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضا على مكث وتفهم من غير عجلة .

وقد سئل الإمام على - ؑ - عن معنى الترتيل فقال : هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف .

(١) إسناده ضعيف ، وانظر ضعيف الجامع رقم : ١٧١٩ .

(٢) سورة المزمل [آية : ٤] .

(٣) سورة الفرقان [آية : ٣٢] .

← وقال ابن عباس فى تفسير الآية الأولى : معنى (رتل القرآن) بينه . وقال مجاهد تأن فيه . وقال الضحاك : انبذه حرفا حرفا ، وتلبث فى قراءته ، وتمهل فيها ، وافصل الحرف من الحرف الذى بعده .

وقال الإمام الغزالي فى كتابه " الإحياء " : تلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب . فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظ العقل تفسير المعانى ، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر .

وقال ابن الجزري فى " طيبة النشر " :

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لآزِمٌ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمٌ
لأنَّهُ بِهِ الإِلَهُ أَنْزَلَا وَهَكَذَا مِنْهُ إِيْنَا وَصَلَا

قال صاحب النشر فى تفسير ما قاله الإمام علي فى معنى الترتيل: التجويد هو حلية القراءة ، ويكون بإعطاء كل حرف من حروف الهجاء حقه ومستحقه ، أى أنه يجب أن تكون حروفه مرتبة ، ويرد كل حرف إلى مخرجه وأصله ، ويلطف النطق على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ، ولا إفراط ولا تكلف . والوقف : هو قطع الصوت على آخر كلمة زمنا يتنفس فيه القارئ انتهى .

وهذا التجويد يتنافى مع اللحن ، الذى هو الميل عن الصواب ، وهو قسمان : لحن جلي واضح إذا كان فيه إبدال حرف بحرف أو حركة بحركة بحيث يكون هناك إخلال بالمعنى ، كالذي ينطق التاء فى (يقنت) طاء (يقنط) وكالذي يضم تاء (أنعمت عليهم) .

→ والقسم الثاني من اللحن لحن خفي لا يدركه إلا المختصون من العارفين بأحكام القراءة ، وهو يخل بالأداء ولا يخل بالمعنى ، كقصر الممدود وإظهار المدغم وتفخيم المرقق وهكذا .
والتجويد الذى يحفظ من هذا اللحن الخفي مستحب ، ولا يائم تاركة ، وقيل يائم عند تعمد هذا اللحن .

والتجويد وبخاصة ما يراعى فيه إعطاء المدود والغنات حقها وما يماثل ذلك = يصعب أو يتعذر الاستقلال بمعرفته من الكتب ، بل لا بد له من التلقي والمشافهة عن العارفين به .^(١)

(٩٧) - وقال النووي في " المجموع " : ولو أبدل الضاد بالظاء - أي في قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ - ؛ ففي صحة قراءته وصلاته وجهان :

أحدهما : لا تصح ؛ والثاني : تصح ؛ لعسر إدراك مخرجهما على العوام وشبههم .

وإن لحن في الفاتحة لحناً يُخل بالمعنى ، بأن ضم تاء : ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ ، أو كسرهما ، أو كسر كاف : ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ ﴾ ، أو قال : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ بهمزتين : لم تصح قراءته وصلاته إن تعمد ، وتجب إعادة القراءة إن لم يتعمد .^(٢)

(١) فتاوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، المفتي عطية صقر . مايو ١٩٩٧ .

(٢) المجموع شرح المذهب النووي ، ٣/٣٢٩-٣٣٢ - تحقيق : محمد نجيب المطيعي - توزيع المكتبة العالمية بالفجالة .

(٩٨) _ وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : « ما حكم العاجز عن أداء حرف الضاد من مخرجه ، وقد اختلفت فيه الناس ، فمنهم من يقول : على العاجز أن ينطق به ظاء ، ومنهم من يقول : عليه أن ينطق به دالاً ، فبينوا لنا الحق في ذلك ؟ » .

فجاء الجواب بما يلي :

« يجب على من لا يحسن إخراج الضاد من مخرجها أن يجتهد طاقته ، ويذل وسعه في تمرين لسانه على إخراج الضاد من مخرجه ، والنطق به نطقاً صحيحاً .

فإن عجز بعد بذل جهده عن النطق الصحيح = فهو معذور ، وما عليه إلا أن ينطق به كما يتيسر له .

فلا يكلف بنطقه (ظاء) ، أو (دالاً) على الخصوص ؛ لقوله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي

الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ ﴾^(٢) ، وبالله التوفيق . وصلى الله على نبينا محمد

وآله وصحبه وسلم . »^(٣) .

(١) [سورة البقرة ، الآية ٢٨٦] .

(٢) [سورة الحج ، الآية ٧٨] .

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ : عبد الرزاق عفيفي ، وعضوية

كل من : عبد الله بن منيع ، عبد الله بن غديان . الطبعة : الأولى . الناشر : رئاسة إدارة

البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض . تاريخ النشر : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

الفتوى رقم (٥١١) .

(٩٩) - وقال الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى : التجويد لغة : مصدر

جوّده : أي صيّرّه جيّداً ، والجيد ضد الرديء .

واصطلاحاً : إخراج كل حرف من مخرجه ، مع إعطائه حقه من الصفات اللازمة ، ومستحقه من الصفات العارضة ، في تلاوة القرآن الكريم .

وعلم التجويد : هو العلم الذي يعرف منه مخرج كل حرف ، وحقه من الصفات اللازمة كالجهر والاستعلاء ، ومستحقه من الصفات العارضة كالتفخيم والإخفاء ، ثم أقسام الوقف والابتداء ، إلى غير ذلك .

وطريق تحصيله : رياضة اللسان وكثرة التكرار بعد العرض والسماع بالنطق الصحيح على يد شيخ متقن لقراءة القرآن الكريم .

وحكم العمل به : الوجوب العيني على كل مكلف يقرأ شيئاً من القرآن ، وحكم تعليم هذا العلم الوجوب الكفائي مادام هناك أكثر من عارف به ، وقد كثرت الأدلة والفتاوى ونصوص العلماء على وجوبه ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾^(١) ، فهذا أمر ،

والأمر للوجوب . وفسره سيدنا على فقال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف . ومنها قوله تعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(٢) .

(١) سورة المزمل [آية : ٤] .

(٢) [الزمر : ٢٨] .

→ فَمَنْ عَوَّجَهُ بِتَرْكِ تَطْبِيقِ التَّجْوِيدِ = فقد ارتكب المحذور .
 وقرأ رجل : ﴿ إِنَّمَا أَلْصَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ ، مرسلة ، أي بدون المد
 الواجب ، فقال ابن مسعود - ؓ - : ما هكذا قرأنيها رسول الله
 - ؓ - ، أقرأنيها : (للفقراء) فمدها .^(١)
 فالإجماع : على أن رسول الله - ؓ - ، لم يقرأ إلا بالتجويد ،
 وتلقاه الصحابة عنه هكذا ومن وراءهم على ذلك جيلا فجيلا . قال
 يعقوب : إن من التحريف : تغيير الأوصاف من جهر وهمس
 وتفتيح ، فعلمنا أن هذا حرام ، وأن ضده وهو التجويد : واجب .^(٢)

(١٠٠) _ وسئلت اللجنة الدائمة : « هل التجويد بالقرآن في الصلاة واجب

أم لا ، مع الدليل ؟ » ، فجاء الجواب بما يلي :
 « أمر الله جل وعلا ، بترتيل القرآن الكريم ، وإعطاء كل حرف حقه ،
 فقال تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ ، وكان من هدي النبي
 - ؓ - في قراءة القرآن الكريم : أن قراءته كانت ترتيلاً ، لا هذا ،
 ولا عجلة ، بل قراءة مفسرة ، حرفاً حرفاً ، وكان يقطع قراءته آية
 آية ، وكان يمد عند حروف المد ، فيمد (الرحمن) ويمد (الرحيم) ،
 وكان يستعيز بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته . وبالله التوفيق ،
 وصلى الله على نبينا محمد ، وآله ، وصحبه ، وسلم . »^(٣)

(١) [حسن] ، سبق .

(٢) المفاهيم الإسلامية ، للدكتور عبد الغفور محمود مصطفى ، ط الأولى ١٩٩٧ م - ص ٨١ .

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة - السؤال الثاني من الفتوى رقم (١٠٧٥١) .

(١٠١) - وقال الإمام ابن الجزري في "طبية النشر" :

وَالْأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لَازِمٌ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثَمٌ
لِأَنَّهُ بِهِ الْإِلَهُ أَنْزَلَ وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَاً^(١)

(١٠٢) - وقال الإمام الخاقاني - رحمه الله - :

فَأَوَّلُ عِلْمِ الذِّكْرِ إِتْقَانُ حِفْظِهِ ... وَمَعْرِفَةُ بِاللَّحْنِ مِنْ فِيكَ إِذْ يَجْرِي
فَكُنْ عَارِفًا بِاللَّحْنِ كَيْمَا تُزِيلُهُ ... وَمَا لِلَّذِي لَا يَعْرِفُ اللَّحْنَ مِنْ عُذْرٍ^(٢)

(١٠٣) - وقال الشيخ أبو العز القلانسي - رحمه الله - :

يَا سَائِلًا تَجْوِيدَ ذَا الْقُرْآنِ فَخُذْ هُدَيْتَ عَنْ أُولِي الْإِثْقَانِ
تَجْوِيدُهُ فَرَضٌ كَمَا الصَّلَاةُ جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَالْآيَاتُ
وَجَاحِدِ التَّجْوِيدِ فَهَوَ كَافِرٌ فَدَعِ هَوَاهُ إِنَّهُ لَخَاسِرٌ
وَعَظِيمٌ جَاحِدِ الْوُجُوبِ حُكْمُهُ مُعَذِّبٌ وَبَعْدُ ذَلِكَ أَنَّهُ
يُؤْتَى بِهِ لِرَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ كَغَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُصَاةِ
إِذِ الصَّلَاةُ مِنْهُمْ لِاتِّقَابِ وَلَعْنَةُ الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ تَنْزِلُ
لِأَنَّهُمْ كَلَامَ رَبِّي حَرَّفُوا وَعَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ زَاغُوا فَانْتَفُوا^(٣)

(١) طبية النشر لابن الجزري ص ٣٦ (٨١ - ٨٢) .

(٢) نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكي نصر ص ٢٧ : مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٤٩ هـ .

(٣) نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكي نصر ص ١٥ : مطبعة الحلبي ١٣٤٩ هـ .

(١٠٤) _ وقال الإمام القرطبي : [وعليه أبدأ أن يُجهد نفسه في تعلم فاتحة الكتاب فما زاد = إلى أن يحول الموت دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله] .^(١)

(١٠٥) _ وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى - : « الأمة مأمورة بحفظ القرآن ، كِتَابَةً ، وَتِلَاوَةً ، وبقراءته على الكيفية التي علمهم إياها رسول الله - ﷺ - » .^(٢)

(١٠٦) _ ومن دعاء الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : « اللهم ارزقنا تلاوة كتابك حق التلاوة ، واجعلنا ممن نال به الفلاح والسعادة ، اللهم ارزقنا إقامة لفظه ومعناه ، وحفظ حدوده ، ورعاية حرمة ، اللهم اجعلنا من الراسخين في العلم ، المؤمنين بمحكمه ومتشابهه ، تصديقاً بأخباره ، وتنفيذاً لأحكامه ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ آمين يا رب العالمين » .^(٣)

* * *

(١) تفسير القرطبي ١٥٣/١ - ١٥٤ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - ، وعضوية كل من : عبد الله بن قعود ، عبد الله بن غديان ، عبد الرزاق عفيفي . الطبعة : الأولى . الناشر : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض . تاريخ النشر : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م . السؤال الثالث من الفتوى رقم (٢٢١٣) .

(٣) مجالس شهر رمضان للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، المجلس الثاني عشر : في النوع الثاني من تلاوة القرآن - الطبعة : الأولى الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر : ١٤١٩ هـ .

ثانياً: وأما إذا لحن في قراءته لحنا خفياً : [فقد اختلف أهل العلم فيه بين
الحرمة والكراهة] .^(١)

.....

فذهب أكثر أهل العلم ، ومنهم (الملا علي) ، و (المرعشي) إلى الكراهة
وعدم التحريم .^(٢)



وذهب بعض أهل العلم ، ومنهم (البركوي) إلى القول بالتحريم ؛ وقالوا : لأنه
وإن لم يخل بالمعنى ؛ لكنه يخل باللفظ ، لفساد رونقه وذهاب حسنه
وطلاوته .^(٣)



وذهب إلى القول بالتحريم أيضاً الشيخ عبد الفتاح المرصفي - حفظه الله - ،
واجاب على القائلين بالكراهة ، فقال : « وما ذكرنا من أدلة على تحريم
اللحن الخفي بنوعيه هو الصواب ، وإن لم يكن من أدلته إلا ما جاء عن
سيدنا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لكفى ؛ ولا التفات إلى ما ذكره العلامة
ملا علي القارئ في شرحه على المقدمة الجزرية ومن هذا حذوه ، وبالله
التوفيق . » .^(٤)



(١) انظر فتاوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، المفتي عطية صقر . مايو ١٩٩٧ .

(٢) انظر نهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣) انظر نهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر ص ٢٨ - ٢٩ .

(٤) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص ٥١ .

وقد فصل الدكتور صابر حسن محمد - حفظه الله تعالى - ، هذه المسألة تفصيلا حسنا لا يحتاج منا إلى تعليق ، فقال : « للعلماء في وجوب التجويد وترتيب الإثم على تركه تفصيل حسن ، يجدر ذكره هنا ، فهم يقسمونه إلى قسمين :

(١) - واجب : وهو ما يتوقف عليه صحة النطق بالحرف ، فالإخلال به يغير مبنى الكلمة أو يفسد معناها ، وذلك مثل معرفة مخارج الحروف وتحقيقها ومعرفة الصفات التي تتميز بها بعض الحروف كالاستعلاء والإطباق في الطاء وكالتفشي في الشين ومثل إظهار المظهر وإدغام المدغم وتفخيم المفخم وترقيق المرقق ومد ما يجب مده وقصر ما يجب قصره وغير ذلك من الأحكام المتعلقة ببنية الكلمة ، فمن أخل بشيء من ذلك فقد أخل بالواجب فيأثم ؛ وهذا القسم من التجويد يلزم كل قارئ للقرآن التقيد به وتحقيقه ، ثم اعلم : أنه تتوقف صحة أداء الحروف بمخارجها وصفاتها اللازمة وبهما يميز بعض الحروف من بعض أو بأحدهما عند الاشتراك في الآخر - المخرج - ، ولذا وجب إخراج كل حرف من مخرجه وأدائه بصفاته ؛ كما قال شيخ القراء في الجزرية^(١) :

وَالْأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لَازِمٌ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمٌ

لِأَنَّهُ بِهِ الْإِلَهُ أَنْزَلَا وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا.^(٢)

(١) طيبة النشر لابن الجزري ص ٣٦ (٨١ - ٨٢) .

(٢) انظر هداية المرید في بیان حکم التجويد ص ١٢ ، للدكتور / صابر حسن محمد .

(٢) - صناعي :

« وهو ما يتعلق بالمهارة في إتقان النطق الصحيح ، ويتم ذلك ببلوغ الغاية في تحقيق الصفات والأحكام ، وضبط مقادير المدود ضبطاً دقيقاً ، لا يزيد نصف درجة ، ولا ينقص ، بل بعض القراء يزن المدود بأدق من ذلك ، فيفرق بين ربع الحركة في الزيادة أو النقصان ، ويدخل فيه مراعاة المعاني الخفية في الوقوف ، فإن ذلك لا يدركه إلا المهرة في فهم القرآن ، وهذا القسم لا يتعلق به إخلال النطق ، ولذا لا يجب على العامة إتقانه ، ولا يطالبون به ، ولا يأثمون بتركه ، لأنه من أسرار هذا العلم وخفائيه التي لا يدركها إلا المهرة فيه » .^(١)

* * *

(١) انظر هداية المريد في بيان حكم التجويد ص ٢٠ ، للدكتور / صابر حسن محمد .

الخلاصة:

قلت : والخلاصة في هذه المسألة : أن القارئ إذا أقام الحروف والحركات والمعاني سليمة في مجملها صحيحة في جوهرها على الصفة المتلقاة : فقد أتى بالواجب ؛ فأما إذا لحن في قراءته لحنا خفيا غير متعمد فيه فأقل ما يقال في حقه : أنه معيب في قراءته ، ولا شك أن الذي لا يلحن مثل هذا اللحن أنه مقدم عليه في الرتبة ، وأعلى منه في الدرجة ؛ لقول النبي - ﷺ - : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ »^(١)، وقوله : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ »^(٢).

وأما إذا تعمد القارئ أن يأتي باللحن الخفي مع القدرة على تركه = [فإنه بذلك يكون آثم بلا ريب]^(٣).

* * *

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) [صحيح] ، سبق .

(٣) وانظر فتاوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، المفتي عطية صقر . مايو ١٩٩٧ .

حكم صلاته:

تصح صلاته لنفسه وإمامته لمن هم مثله أو دونه إذا لم يلحن لحنا جليا يغير حرفا أو حركة أو يحيل المعنى بما يتناقض مع الشريعة ، كأن يحل حراما أو يحرم حلالا .

ولا تصح إمامته لمن هو أقرأ منه باتفاق أهل العلم ؛ لقول النبي - ﷺ - : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَاهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ » .^(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « لا ينبغي لطلبة العلم الصلاة خلف من لا يقيم الفاتحة ويقع في اللحن الجلي ، بحيث يغير حرفا أو حركة » .^(٢)

وقال الإمام النووي في "الأذكار" : « وتجب قراءة الفاتحة بجميع تشديداتها، وهي أربع عشرة تشديدة : ثلاث في البسمة ، والباقي بعدها ، فإن أخل بتشديدة واحدة = بطلت قراءته ؛ ويجب أن يقرأها مرتبة متوالية ، فإن ترك ترتيبها أو موالاتها = لم تصح قراءته » .^(٣)

* * *

(١) [صحيح] ، سبق.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، مطبعة الرياض ، بتصحيح الشيخ ابن قاسم ، سنة ١٣٨٢ هـ ، المجلد ٢٢ صفحة ٤٤٣ ، والجزء ٢٢٣ صفحة ٣٥٠ .

(٣) الأذكار التَّوَيَّةُ للإمام النَّوَوِي - باب : القراءة بعد التَّعَوُّذ ص ٧٠ .

الحالة الثالثة:

وهو: [الذي يعلم القواعد والأحكام ؛ ولكنه يلحن في قراءته] .

أحواله:

فمثل هذا لا يخلو من إحدى هذه الحالات :

(١) - إما أن يكون عاجزا عن النطق الصحيح .

(٢) - وإما أن يكون مُخطئا - غير متعمد - .

(٣) - وإما أن يكون ناسيا .

(٤) - وإما أن يكون مُكرها .

(٥) - وإما أن يكون مُتهاونا .

(٦) - وإما أن يكون مُتعمدا .

ولكل حالة من هذه الحالات حكم معين ، سنذكره - إن شاء الله تعالى - فيما

يليه . ←

* * *

حكم الحالة الأولى:

وهو أن يكون عالماً بالأحكام ولكنه عاجز عن النطق الصحيح بسبب علة أو عجمة ، فمثل هذا إن أخطأ : [فلا شيء عليه] .

الدليل:

ويستدل عليه بما يأتي :

- (١) _ عموم قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .^(١)
- (٢) _ وقوله جل شأنه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً اَتْلَهَا ﴾ .^(٢)

حكم صلاته:

تصح صلاته لنفسه وإمامته لمن هم مثله أو دونه ؛ ولا تصح إمامته لمن هو أقرأ منه ، لقوله - ﷺ - : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ » .^(٣)

* * *

(١) [سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦] .

(٢) [سورة الطلاق ، الآية : ٧] .

(٣) [صحيح] ، سبق .

حكم الحالة الثانية والثالثة والرابعة:

وهو أن يكون عالماً بالأحكام ولكنه يلحن : مُخطئاً - غير متعمد - ، أو ناسياً ، أو مُكرهاً : [فهذا أيضاً لا شيء عليه] .

الدليل:

ويستدل عليه بما يأتي :

(١) - أنه داخل تحت عموم قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ

أَخْطَأْنَا ﴾ ^(١) ، « قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ » .^(٢)

(٢) - ولما روى عن النبي - ﷺ - ، أنه قال : « إِنْ اللَّهُ تَجَوَّزَ ، وَفِي رِوَايَةٍ :

تَجَاوَزَ - يَتَجَاوَزُ - وَضَعَ - عَفَا) عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا

اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ » .^(٣)

(١) سورة البقرة ، [آية : ٢٨٦] .

(٢) [صحيح] ، أخرجه مسلم من حديث ابن عباس - ﷺ - ، ١١٦/١ (١٢٦/٢٠٠) .

(٣) [صحيح] ، أخرجه ابن ماجة عن ابن عباس - ﷺ - ، ٦٥٩/١ (٢٠٤٣ - ٢٠٤٥) وصححه

محققه الشيخ الألباني ، وفي المشكاة (٦٢٨٤) ، والروض النضير (٤٠٤) ، والإرواء (٨٢) .

وابن حبان في صحيحه ٢٠٣/١٦ (٧٢١٩) وصححه شعيب الأرنؤوط . والدارقطني في سننه

١٧٠/٤ (٣٣) . والطبراني في الكبير ١٣٣/١١ (١١٢٧٤) والأوسط ٢٣١/٢ (٢١٣٧) -

١٦١/٨ (٨٢٧٣) والصغير ٥٣/٢ (٧٦٥) . وغيرهم .

حكم صلاته:

تصح صلاته لنفسه وإمامته لغيره ، وهذا إذا لم يكن عادته كثرة الخطأ وليس في القوم أقرأ منه ؛ فإن كان كثير الخطأ والنسيان وفي القوم من هو أقرأ منه : فأقلهم خطأ هو أولى بالإمامة .

قال الغزالي في "الإحياء" : والذي يُكثر اللحن في القرآن : إن كان قادرا على التعلم = فليمتنع من القراءة قبل التعلم ؛ فإنه عاصٍ به ؛ وإن كان لا يطاوعه اللسان = فإن كان أكثر ما يقرؤه لحنًا : فليتركه ، وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها ، وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية : فلا بأس له أن يقرأ ، ولكن ينبغي أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ، ولمنعه سرا منه أيضا وجه ، ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها : فليست أرى به بأسا ، والله أعلم .^(١)

* * *

(١) إحياء علوم الدين - لأبي حامد / محمد بن محمد الغزالي - الناشر / دار المعرفة - بيروت

حكم الحالة الخامسة:

وهو أن يكون عالماً بالأحكام : ولكنه يلحن في قراءته متهاوناً بها : [فمثل هذا لا شك أنه آثم ، ومقصر في حق نفسه ، وحق أمته ، لتهاونه في أمر دينه ، ومخالفته لهدي نبيه - ﷺ -] .

الدليل:

قد سبق ذكر كثير من الأدلة في الحالة الثانية وفي ثنايا هذا الكتاب - والله الحمد والمنة - فليرجع إليها من شاء ، وأما هذا الذي يلحن مع العلم = فجرمه أشد من الذي يلحن وهو لا يعلم .

حكم صلاته:

تصح صلاته لنفسه وإمامته لمن هم مثله أو دونه ، وهذا إذا لم يلحن فيها لحناً جلياً يغير حرفاً أو حركة أو يحيل المعنى ، وإلا فلا تصح ؛ وكذلك لا تصح إمامته لمن هو أقرأ منه ، لقوله - ﷺ - : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ » .^(١)

(١) [صحيح] ، سبق .

قال الإمام ابن الجزري : ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده = فهم كذلك متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفضحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها ، والناس في ذلك بين محسن مأجور ، ومسيء آثم ، أو معذور ، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح ، العربي الفصيح ؛ وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي ، أو النبطي القبيح ، استغناء بنفسه ، واستبدادا برأيه وحده ، واتكالا على ما ألفه من حفظه ، واستكبارا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه : فإنه مقصر بلا شك ، وآثم بلا ريب ، وغاش بلا مرية ، فقد قال رسول - ﷺ - : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ : قُلْنَا لِمَنْ ؟ ، قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ » (١) ، أما من كان لا يطاوعه لسانه ؛ أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه ، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها . ولهذا أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة قارئ خلف أمني ، واختلفوا في صلاة من يبدل حرفاً بغيره سواء تجانساً أم تقارباً ، وأصح القولين عدم الصحة كمن قرأ : الحمد بالعين ، أو الدين بالتاء ، أو المغضوب بالخاء أو بالظاء ، ولذلك عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنا ، وعدوا القارئ بها لحانا . (٢)

* * *

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) النشر في القراءات العشر - للإمام محمد بن الجزري ٢٣٧/١ .

حكم الحالة السادسة:

وهو أن يكون عالماً بالأحكام : ولكنه يلحن في قراءته عامداً متعمداً : فهذه طامة كبرى ، أعادنا الله وإياكم منها ، ومثل هذا يجب رده علي حسب ما تقتضيه الشريعة المطهرة ؛ لأنه مبدل ومحرّف ومغير لكتاب الله تعالى عامداً متعمداً .

.....

حكم صلاته: [لا تصح صلاته لنفسه أو لغيره] .



جاء في فتاوى الشبكة الإسلامية سؤال ، ونصه : السلام عليكم ، أثناء الصلاة : إذا تم لفظ كلمة منها بصورة غير صحيحة ، مثلاً إذا كانت بالكسرة وتم لفظ الكلمة بالضمّة أو بالفتحة ، فهل يجب إبطال الصلاة وإعادتها أم بتصحيح الكلمة فقط ؟ ، مع جزيل الشكر ؛ فأجيب بالآتي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد : فإذا لفظ المصلي كلمة بلفظ غير صحيح ، كما إذا غير حركة من حركاتها مثلاً ، فإن كان متعمداً ذلك : فصلاته باطلة ، تلزم إعادتها ، وإن كان ساهياً : فصلاته صحيحة ، ويكفيه أن يصلحها إن كان التدارك ممكناً ، قال في الخرخشي : وأما من تعمد اللحن فصلاته وصلاة من اقتدى به باطلة بلا نزاع ، لأنه أتى بكلمة أجنبية في صلاته ، ومن فعله ساهياً لا تبطل صلاته ولا صلاة من اقتدى به . والله أعلم .» (١)



(١) فتاوى الشبكة الإسلامية ، رقم الفتوى : (٣٩٠٩٠) ، تاريخ الفتوى : ٢٥ شعبان ١٤٢٤ .

وجاء في فتاوى الشبكة الإسلامية سؤال آخر ، ونصه : « ما حكم اللحن في الفاتحة أثناء الصلاة ؟ » ؛ فأجيب بالآتي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ، أما بعد :
فإن اللحن في الفاتحة مبطل للصلاة إن كان صاحبه متعمداً ، أو كان عاجزاً ولكن له قابلية التعلم ولم يتعلم ، وأما إذا كان ساهياً أو غير قابل للتعلم : فإن صلاته صحيحة . قال الخرشي في شرحه لمختصر خليل :
وأما من تعمد اللحن : فصلاته وصلاة من اقتدى به باطلة بلا نزاع ، لأنه أتى بكلمة أجنبية في صلاته ، ومن فعله ساهياً لا تبطل صلاته ولا صلاة من اقتدى به قطعاً ، بمنزلة من سها عن كلمة فأكثر في الفاتحة أو غيرها ، وإن فعل ذلك عجزاً بأن لا يقبل التعليم : فصلاته وصلاة من اقتدى به صحيحة أيضاً ، لأنه بمنزلة الألكن ... ، وإن كان عجزه لضيق الوقت أو لعدم من يعلمه مع قبوله التعليم ، فإن كان مع وجود من يأتّم به = فإن صلاته وصلاة من اتّم به باطلة ، سواء كان مثل الإمام في اللحن أم لا ، وإن لم يجد من يأتّم به ، فصلاته وصلاة من اقتدى به صحيحة إن كان مثله ، وإن لم يكن مثله بأن كان ينطق بالصواب في كل قراءته ، أو صوابه أكثر من صواب إمامه = فإنه محل الخلاف . (٢٦/٢) انتهى .^(١)



(١) فتاوى الشبكة الإسلامية - المفتي : مركز الفتوى بإشراف د. عبد الله الفقيه - الفهرس : فقه العبادات - الصلاة - صفة الصلاة - قراءة الفاتحة وسورة (٢١٠) - رقم الفتوى : (٤٠١٥٩) - تاريخ الفتوى : ٢٢ رمضان ١٤٢٤ .

وجاء أيضا في فتاوى الشبكة الإسلامية سؤال آخر ، ونصه : « ما حكم صلاة الجماعة إذا كان الإمام يقرأ حرف (ذ) بحرف (ز) ، مثل : قول (أعوز برب الناس) مثلا بدل ﴿ قُلْ أَعُوذُ ﴾ ، هل تصح الصلاة ؟ » ، فأجيب بالآتي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد : فالشخص الذي يبدل حرفاً بحرف ، كمن يبدل الراء لاماً أو ياءً ، أو يبدل السين ناءً أو جيماً أو شيناً ، أو يبدل الذال زاءً ، فهذا الشخص لا يصلي إلا بمثله ، وصلاته لنفسه صحيحة إن لم يمكنه التعلم ، فإن أمكنه التعلم فلم يتعلم فصلاته باطلة ؛ فإن صلى بمن يحسن القراءة لم تصح صلاة المأموم لاقتدائه بمن لا يجوز الاقتداء به ، بل ذهب أبو حنيفة ومالك إلى أن هذا العاجز عن التعلم تبطل صلاته أيضاً إذا أمكنه أن يجد من يصلي خلفه ممن يحسنها فلم يصل خلفه ؛ وما ذكر محله إذا كان اللحن في الفاتحة ، أما في غير الفاتحة ، فيقول الإمام النووي : (وإن كان اللحن الذي يغير المعنى في غير الفاتحة صحت صلاته وصلاة كل أحد خلفه ، لأن ترك السورة لا يبطل الصلاة ، فلا يمنع الاقتداء) . انتهى من المجموع . ويقول الامام ابن قدامة رحمه الله : (فإن أحال المعنى في غير الفاتحة لم يمنع صحة الصلاة ، ولا الائتمام به ؛ إلا أن يتعمده : فتبطل صلاتهما) ، انتهى ، والله أعلم « .^(١)

* * *

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية ، رقم الفتوى : (٢٣٨٩٨) ، تاريخ الفتوى : ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٤ .

أقوال الفقهاء في حكم اللحن في الفاتحة داخل الصلاة:

إن هذه المسألة من أهم المسائل التي يذكرها الفقهاء في كتبهم في باب القراءة في الصلاة ، وذلك لأن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة ولا تصح الصلاة إلا بها - لمن قدر على تعلمها وقراءتها - ؛ فمن هنا كان حقا علينا أن نذكر هذه المسألة ونبيّن حكمها على وجه الخصوص ، وإن الكلام عنها يتكون من شقين :

الشق الأول : (إذا كان اللحن خفياً لا يُخل بجوهر القراءة) .

والشق الثاني : (إذا كان اللحن جلياً يخل بجوهر القراءة) .

ومع أنني قد شفيت الغليل سابقا من اللحن الخفي والجلي - والله الحمد والمنة على توفيقه - ؛ إلا أنني سأذكر أقوال الفقهاء هنا باختصار ؛ حتى تنجلي هذه المسألة المهمة التي لا يسع المسلم إهمالها ولا يُعذر أحد بجهلها .

* * *

أولاً: إذا كان اللحن خفياً لا يخل بجوهر القراءة:

حكاه عند الفقهاء:

إذا كان القارئ يلحن لحنًا (خفياً) لا يخل بجوهر القراءة: فقد اتفق الفقهاء على صحة صلاة من كانت هذه حاله؛ لنفسه، ولمن كان حالهم مثل حاله، ولكن إمامته مكروهة لمن هو أقرأ منه لقول النبي - ﷺ - : «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ»^(١)، والله تعالى أعلم.^(٢)

* * *

(١) [صحیح] ، سبق.

(٢) انظر في موضوع اللحن الخفي والجلي في "المدونة الكبرى" للإمام مالك بن أنس ١/١٧٧، وفي "فتح القدير" لكamal الدين محمد المعروف بابن الهمام الحنفي ١/٢٨١ - طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، وفي كتاب "الأم" للإمام للشافعي ١/١١٠، وفي "الشرح الكبير" لابن قدامة المقدسي ٣/٤٤٤-٤٥٠ - تحقيق / عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو - طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله تعالى - ، طبع بمطبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - بمصر - ط الأولى ١٤١٤ هـ. وفي "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله تعالى - ٢٢/٣٩٩ - ٤٠٢ ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد - ، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله تعالى - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية - حفظها الله - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

ثانياً: إذا كان اللحن جلياً يخل بجوهر القراءة:

حكاه عند الفقهاء:

وأما إذا كان القارئ يلحن في قراءته لحناً (جلياً) يُخل بجوهر القراءة ؛ مثل ضم التاء أو كسرها من قوله تعالى : ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ ، أو تخفيف الياء أو كسر الكاف من قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّاكَ ﴾ ، أو النطق بالضاد ظاءً أو دالاً من قوله تعالى : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، وغير ذلك .

فقد اتفق فقهاء الشافعية والحنابلة والمالكية والإمام أبو حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن : على بطلان صلاته لنفسه أو لغيره ، واختلف باقي فقهاء الأحناف في هذه المسألة على ثلاثة أقوال ، سأجملها فيما يلي - إن شاء الله تعالى - : ←

* * *

أولاً: قول الأحناف:

فصل الأحناف هذه المسألة على أقوال ثلاثة :

القول الأول: إذا كان اللحن جلياً لا يُغَيَّر المعنى تغييراً فاحشاً = فصلاؤه باطلة

عند إمامهم أبي حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن . وأما عند أبي يوسف وبقية الأحناف لا تفسد لعموم البلوى .

القول الثاني: وهو قول المتقدمين منهم ، فهم يرون أن اللحن الجلي إذا كان

يُغَيَّر المعنى تغييراً يكون اعتقاده كُفْراً = فصلاؤه باطلة ؛ سواء وُجد مثله في القرآن أم لا .

القول الثالث: وهو قول المتأخرين منهم : فهم يرون أن اللحن الجلي المُغَيَّر

للمعنى = لا تفسد به الصلاة ، حتى وإن أدى اعتقاده كُفْراً ؛ لأن قراءة سورة الفاتحة عندهم ليس ركناً من أركان الصلاة ، بل هو واجب من واجباتها ، ولأن الناس لا يُمَيِّزون بين وجوه الإعراب ، ولعموم البلوى أيضاً^(١).

* * *

(١) ينظر تفصيل قول الأحناف في فتح القدير ٢٨١/١ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢٠/١ .

ثانياً: قول الشافعية:

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - : « وأكره أن يكون الإمام لحاناً ، لأن اللحن قد يحيل معاني القرآن ، فإن لم يلحن لحناً يحيل معنى القرآن أجزاءه صلته ، وإن لحن في أم القرآن لحناً يحيل معنى شيء منها لم أر صلته مجزئة عنه ولا عمّن خلفه » .^(١)

وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في "المجموع" : ولو أبدل الضاد بالظاء - أي في قوله : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ - ففي صحة قراءته وصلاته وجهان : أحدهما : لا تصح ؛ والثاني : تصح ؛ لعسر إدراك مخرجهما على العوام وشبههم ، وإن لحنَ في الفاتحة لحناً يُخل بالمعنى ، بأن ضم تاء : ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ ، أو كسرهما ، أو كسر كاف : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، أو قال : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ بهمزتين : لم تصح قراءته وصلاته إن تعمد ، وتجب إعادة القراءة إن لم يتعمد .^(٢)

* * *

(١) كتاب الأم ١/١١٠ .
 (٢) المجموع شرح المهذب النووي ، ٣/٣٢٩-٣٣٢ - تحقيق : محمد نجيب المطيعي - توزيع المكتبة العالمية بالفجالة .

ثالثاً: قول الحنابلة:

وخلاصة مذهبهم أنهم يروا أن اللحن الجلي المُخِلُّ بالمعنى يُبطل الصلاة ؛ إلا إذا عجز القارئ عن إحسانها ، وخيف خروج الوقت بتعلمها ، فحينئذٍ لا يلزمه قراءتها ، وإنما يلزمه قراءة سورة أخرى أو قراءة آيات بعدد آيات سورة الفاتحة .

قال ابن قدامة - رحمه الله - : يلزمه أن يأتي بقراءة الفاتحة مرتبة ، مُشددة ، غير ملحونٍ فيها لحناً يُحيل المعنى ، مثل أن يكسر كاف ﴿إِيَّاكَ﴾ ، أو يضم تاء ﴿أَنْعَمْتَ﴾ ، أو يفتح ألف الوصل في ﴿أَهْدِنَا﴾ ، فإن أخلَّ بالترتيب أو لحن فيها لحناً يُحيل المعنى لم يُعتدَّ بها؛ لأن النبي - ﷺ - كان يقرؤها مُرتبةً ، وقد قال - ﷺ - : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي »^(١)؛ إلا أن يعجز عن غير هذا ، وكذلك إن أخلَّ بتشديدِ منها .
فإن لم يُحسن الفاتحة ، وضاق الوقت عن تعلمها : قرأ قدرها في عدد الحروف ، وقيل في عدد الآيات من غيرها ، فإن لم يُحسن إلا آية كررها بقدرها^(٢) .

* * *

(١) [صحيح] ، متفق عليه ، وذكره الألباني في صحيح الجامع (٨٩٣) .

(٢) انظر المغني ٥٥٩/١ . وكذلك الشرح الكبير ٥٦٢/١ . والإنصاف لعلي بن سليمان بن أحمد

المرداوي ٤٤٤/٣ - ٤٥٠ - هجر للطباعة - مصر - ط الأولى ١٤١٤ هـ .

رابعاً: قول المالكية:

قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - : « إذا صلى الإمام بقوم فترك القراءة انتقضت صلاته وصلاة من خلفه ، وأعادوا وإن ذهب الوقت ؛ قال: فذلك الذي لا يُحسن القرآن = أشد عندي من هذا ؛ لأنه لا ينبغي لأحد أن يأتَمَّ بمن لا يُحسن القرآن » .^(١)

وجاء في حاشية الدسوقي على شرح الدردير للمالكية : « لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية ، بل لا يجوز التكبير في الصلاة بغيرها ، ولا بمرادفه من العربية ، فإن عجز عن النطق بالفاتحة بالعربية = وجب عليه أن يأتَمَّ بمن يحسنها ؛ فإن أمكنه الائتمام ولم يأتَمَّ = بطلت صلاته ؛ وإن لم يجد إماماً = سقطت عنه الفاتحة ، وذكر الله تعالى وسبحه بالعربية ، وقالوا: على كل مكلف أن يتعلم الفاتحة بالعربية ، وأن يبذل وسعه في ذلك ، ويجهد نفسه في تعلمها وما زاد عليها ، إلا أن يحول الموت دون ذلك وهو بحال الإجتهد فيعذر » .^(٢)

* * *

(١) المدونة الكبرى ١/١٧٧.

(٢) نقلا عن مناهل العرفان في علوم القرآن - للشيخ / محمد عبدالعظيم الزرقاني - ١١٦/٢ - الناشر : دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦ .

أقسام اللحن عند القراء وعند الفقهاء:

أولاً: عند القراء:

قد ذكرنا سابقاً أن اللحن كان في العصور الثلاثة الأولى قسماً واحداً فقط، وذلك عند القراء والفقهاء والمحدثين؛ حتى جاء ابن مجاهد فقسم اللحن إلى قسمين، ثم أضفت لهما قسماً ثالثاً فصاروا ثلاثة أقسام:

- (١) _ اللحن الخفي، وهو اللحن الذي لا يُخل بجوهر القراءة.
- (٢) _ اللحن الجلي، وهو اللحن الذي يُخل بجوهر القراءة.
- (٣) _ اللحن الخفي الجلي، وهو اللحن الذي يُخل بجوهر القراءة؛ ولكنه لا يخل بجوهر الحروف والحركات في حد ذاتها.

ثانياً: عند الفقهاء:

اللحن عند الفقهاء ينقسم إلى أربعة أقسام:

- (١) _ اللحن الخفي (وهو الذي لا يُخل بجوهر القراءة).
- (٢) _ اللحن الجلي الغير المخل بالمعنى.
- (٣) _ اللحن الجلي المخل بالمعنى تغييراً غير فاحش.
- (٤) _ اللحن الجلي المخل بالمعنى تغييراً فاحشاً.

* * *

خلاصة مذهب الفقهاء والتعقيب عليه:

سبق وذكرت مذهب القراء في اللحن الخفي والجلبي مما يغني عن الإعادة هنا؛
وأما مذهب الفقهاء فإن بعضه يحتاج إلى تعقيب ؛ فالله المستعان .

.....

أولاً : بالنسبة للحن الخفي ، [وهو الذي لا يخل بجوهر القراءة] ، فخلاصة
حكمه عند الفقهاء : أنهم قد اتفقوا على صحة صلواته لنفسه ، ولمن كان
حالهم مثل حاله ، ولكن إمامته مكروهة لمن هو أقرأ منه لقول النبي - ﷺ - :
« يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ » .^(١)



التعقيب:

إن قولهم هذا صحيح ؛ وخاصة أنهم قد اتفقوا عليه ؛ ولكن ينبغي أن يُقيد بغير
المتعمد .

* * *

(١) [صحيح] ، سبق .

ثانياً: وبالنسبة للحن الجلي الغير المخل بالمعنى ، فخلاصة حكمه عند الفقهاء : أنه تبطل به الصلاة عند الإمام أبي حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن ، وكذلك عند الإمام مالك وصاحبه عبد الرحمن بن القاسم العتكي ؛ وتكره به الصلاة عند بقية الفقهاء .

التعقيب:

إن مذهب الإمام أبي حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن ، وكذلك الإمام مالك وصاحبه عبد الرحمن بن القاسم العتكي : [هو الأصح] ؛ لأن القراءة إذا دخل عليها اللحن = فليست بقراءة ؛ والمقروء إذا دخل عليه اللحن = فليس بقرآن ؛ لأن كلام الله تعالى غير ملحون ، كما قال عز وجل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴾^(١) ، وكما قال سبحانه : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(٢) .

قال الشيخ / محمد حسنين مخلوف -مفتي الديار المصرية سابقا- "رحمه الله تعالى" : « وقد أجمعوا على : أن النقص في كيفية القرآن وهيئته = كالنقص في ذاته ومادته ؛ فترك المد والغنة والتفخيم والترقيق = كترك حروفه وكلماته ، ومن هنا وجب تجويد القرآن »^(٣) .

(١) [الكهف : ١] .

(٢) [الزمر : ٢٨] .

(٣) عنوان البيان للشيخ مخلوف مطبعة الحلبي ص ٢٧ .

وقال السيوطي عقب ذكره حديثاً أخرجه البيهقي في " الشعب " ، عن ابن عمر - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُونَ حَسَنَةً ، وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ إِعْرَابٍ = كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ » ^(١) ، قال : والمراد بإعرابه : معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن ، [لأن القراءة مع فقدته : ليست قراءة ، ولا ثواب فيها] . ^(٢)

وقال المناوي في "فيض القدير" : قوله : « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » ^(٣) ، أي : تعرفوا ما فيه من بدائع العربية ودقائقها وأسرارها ، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة ؛ « لأن القراءة مع اللحن = ليست قراءة ، ولا ثواب له فيها » ^(٤) .

وقال الإمام ابن الجزري في "النشر" : « التجويد فرض على كل مكلف ؛ لأنه متفق عليه بين الأئمة ، بخلاف الواجب فإنه مختلف فيه ..؛ ومن استأجر شخصاً ليقرئه القرآن ، أو ليقرأ له ختمة ، فأقرأه القرآن ، أو قرأ له الختمة بغير تجويد : لا يستحق الأجرة ، ومن حلف أن القرآن بغير تجويد : ليس قرآناً = لم يحنث » ^(٥) .

(١) [ضعيف] ، سبق .

(٢) الإتيان للسيوطي ، باب "في معرفة غريبه" ٣٠٣/١ (١٤٩٥) .

(٣) [ضعيف] ، سبق .

(٤) فيض القدير ٥٥٨/١ (١١٤٩) .

(٥) النشر في القراءات العشر (١ / ٢١١) .

وأيضاً قال الإمام ابن الجزري في "النشر" : « واختلفوا في صلاة من يبذل حرفاً بغيره ، سواء تجانساً أم تقارباً ، وأصح القولين : (عدم الصحة) ، كمن قرأ : الحمد بالعين ، أو الدين بالتاء ، أو المغضوب بالخاء أو بالطاء ، قال الشيخ الإمام أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي في كتابه الموضح في وجوه القراءات في فصل التجويد : فإن حُسن الأداء فرض في القراءة ، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته ، صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلاً ، على أن العلماء قد اختلفوا في وجوب حُسن الأداء في القرآن ، فبعضهم ذهب إلى أن ذلك مقصور على ما يلزم المكلف قراءته في المفترضات ، فإن تجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الأداء واجب فيه فحسب ، وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب على كل من قرأ شيئاً من القرآن ، كيفما كان ؛ لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلاً إليه إلا عند الضرورة ، قال الله تعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(١) ، انتهى . قال ابن الجزري : وهذا الخلاف على الوجه الذي ذكره : غريب ، والمذهب الثاني : (هو الصحيح ، بل الصواب على ما قدمناه) ، وكذا ذكره الإمام الحجة أبو الفضل الرازي في تجويده وصوب ما صوبناه ، والله أعلم . »^(٢)



(١) [الزمر : ٢٨] .

(٢) النشر في القراءات العشر ١/٢٣٨ .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقال المطرزي في "المُغْرِب" : « لا صحة للمعنى في فساد البيان ، كما لا مروءة للعالم اللحن ، قال يونس بن حبيب : ليس للأحن مُرُوَّةٌ ، ولا لتارك الإعراب بهاء - وإن حك بيافوخه عنان السماء ، وقيل للحسن (رحمه الله) : إن إمامنا يلحن ، فقال : أخروه ؛ وكثير من اللحن يقطع الصلاة، وإن تعمده قارئه - والعياذ بالله = كفر »^(١).



وقال الإمام النووي في "الأذكار" : « وتجب قراءة الفاتحة بجميع تشديداتها ، وهي أربع عشرة تشديدة : ثلاث في البسملة ، والباقي بعدها ، فإن أخلّ بتشديدة واحدة = بطلت قراءته ؛ ويجب أن يقرأها مرتبة متوالية ، فإن ترك ترتيبها أو موالاتها = لم تصحّ قراءته »^(٢).



وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « لا ينبغي لطلبة العلم : الصلاة خلف من لا يقيم الفاتحة ويقع في اللحن الجلي ؛ بحيث يغير حرفا أو حركة »^(٣).



(١) المغرب في ترتيب المعرب : لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، تحقيق محمود فاخوري ، وعبد الحميد مختار الناشر : مكتبة أسامة بن زيد - حلب ، الطبعة الأولى ١٩٧٩ ، ٤٥٦/٢ .

(٢) الأذكار النَّوِيَّةُ للإمام النَّوَوِي - باب : القراءة بعد التَّعَوُّذِ ص ٧٠ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، المجلد ٢٢ - ص ٤٤٣ ، والجزء ٢٢٣ ص ٣٥٠ .

ثالثاً: وبالنسبة للحن الجلي الذي يغير المعنى تغييراً غير فاحش ؛ فخلاصة حكمه عند الفقهاء : أنه تبطل به الصلاة عند جميع فقهاء الشافعية والحنابلة والمالكية وعند الإمام أبي حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن ؛ ولا تبطل به الصلاة عند أبي يوسف وبقية الأحناف .



التعقيب:

يجاب على أبي يوسف ومن تابعه بالآتي :

- (١) - إنه يكفينا في الرد عليهم ما قلناه سابقاً في اللحن الذي لا يغير المعنى ، وإن كان هذا أشد منه لأنه يغير المعنى .
- (٢) - إن القائلين بهذا القول قلة قليلة ؛ وإن الجمهور بخلافهم .
- (٣) - إنهم ليس لهم دليل من كتاب أو سنة .
- (٤) - إنهم قد اعتمدوا في قولهم هذا على مذهبهم بجواز قراءة القرآن الكريم بالمعنى ؛ وهو قول شاذ لا يعول عليه ، وقد سبق وفندناه وتكلمنا عليه بما يُشفي .

* * *

رابعاً: وبالنسبة للحن الجلي الذي يغير المعنى تغييراً فاحشاً ؛ فخلاصة حكمه عند الفقهاء : أنه تبطل به الصلاة عند جميع الفقهاء ، ما عدا عند بعض متأخري الحنفية .



التعقيب:

يجاب عليهم بما قلناه سابقاً ؛ (وإن كان هذا أشد لأنه يُغير المعنى تغييراً فاحشاً) ، وأضيف إليه الآتي :

(١) – إن قولهم هذا شاذ لا يعول عليه ؛ والقائلون به قلة قليلة جدا ؛ وأما الجمهور فبخلافهم .

(٢) – إن تغيير المعنى المراد يُعد تحريفاً للقرآن الكريم وكذباً على الله تعالى ؛ فتمعمده كافر ، وغير المتعمد آثم إن كان يستطيع التعلم ، كما سبق وبيننا .

(٣) – إن اجتهادهم هذا مخالف لصريح القرآن الكريم والسنة المطهرة ، كما سبق وبيننا .



الفصل السابع والأربعون

كيفية صلاة من لا يحسن القراءة

عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - ، قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ :
إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ، فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ ، قَالَ :
قُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَذَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَمَا
لِي؟ ، قَالَ : قُلْ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي ، وَاَرْزُقْنِي ، وَعَافِنِي ، وَاهْدِنِي ، فَلَمَّا قَامَ ،
قَالَ : هَكَذَا بِيَدِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : أَمَا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنْ
الْخَيْرِ » .^(١)

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - ، قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى
النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : إِنِّي لَا أَحْسِنُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ، فَعَلِّمْنِي ... » .^(٢)

- (١) [حسن] ، أخرجه أبو داود ٢٨٠/١ (٨٣٢) والنسائي (٩٢٤) وحسنه الألباني ، وانظر صحيح
أبي داود ١٥٧/١ (٧٤٢) . والبخاري في السنة ١٥٤/١ . والإمام أحمد ٢٥٣/٤ (١٩١٣٣)
وحسنه شعيب الأرنؤوط . وحسنه الألباني في الإرواء ١٢/٢ (٣٠٣) ، وفي المشكاة ١٨٦/١
(٣٧) . وقال الحافظ في "البلوغ" ١ / ٥٧ : صححه ابن حبان والدارقطني والحاكم .
(٢) [حسن] ، أخرجه ابن حبان في صحيحه ١١٦/٥ (١٨٠٩) وحسنه محققه شعيب الأرنؤوط .

وأيضاً في رواية أخرى عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - ، قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، فَعَلِمَنِي مَا يُجْزئُنِي فِي الصَّلَاةِ أَنْ أَقُولَ ، قَالَ : "قُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !، هَذَا لِلَّهِ ، فَمَا لِي أَنْ أَقُولَ ؟ ، قَالَ : "قُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَارْحَمْنِي ، وَاهْدِنِي ، وَعَافِنِي ، وَارزُقْنِي" ، فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَمَّا إِنَّ هَذَا قَدْ أَصَابَ الْخَيْرَ كُلَّهُ" ، أَوْ : "عَلِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ" ، أَوْ نَحْوَ هَذَا « .^(١)



وَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ - رضي الله عنه - ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا ، قَالَ رِفَاعَةُ : وَنَحْنُ مَعَهُ ؛ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ كَالْبَدَوِيِّ ، فَصَلَّى فَأَخَفَ صَلَاتَهُ ثُمَّ انصَرَفَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - : « وَعَلَيْكَ ، فَارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » ، فَارْجَعَ فَصَلَّى ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ ، فَارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِي النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَيَسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - : « وَعَلَيْكَ ، فَارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » ، فَخَافَ النَّاسُ ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونَ مَنْ أَخَفَ صَلَاتَهُ لَمْ يُصَلِّ ، فَقَالَ الرَّجُلُ فِي آخِرِ ذَلِكَ : فَأَرِنِي وَعَلِمَنِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُصِيبُ وَأُحْطَى ، فَقَالَ - صلى الله عليه وسلم - :

(١) [حسن] ، أخرجه ابن حبان في صحيحه ١١٦/٥ - (١٨١٠) وحسنه محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط . وأخرجه الطبراني في الأوسط ٢٣٧/٣ (٣٠٢٥) . وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء ١٢/٢ (٣٠٣) . وقال الحافظ ابن حجر في "بلوغ المرام" ١ / ٥٧ : صححه ابن حبان والدارقطني والحاكم .

« أَجَلٌ ، إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَتَوَضَّأْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ، ثُمَّ تَشَهَّدْ ، وَأَقِمْ ، فَإِنْ كَانَ مَعَكَ قُرْآنٌ فَاقْرَأْ ، وَإِلَّا فَاحْمَدِ اللَّهَ وَكَبِّرْهُ وَهَلِّلْهُ ، ثُمَّ ازْكَعْ فَاطْمِئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ اعْتَدِلْ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ فَاعْتَدِلْ سَاجِدًا ، ثُمَّ اجْلِسْ فَاطْمِئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ قُمْ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ = فَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُكَ ، وَإِنْ انْتَقَصَتْ مِنْهُ شَيْئًا = انْتَقَصَتْ مِنْ صَلَاتِكَ » ، قَالَ - رِفَاعَةُ - : وَكَانَ هَذَا أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَوَّلِ ، أَنَّهُ مَنْ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا = انْتَقَصَ مِنْ صَلَاتِهِ ، وَلَمْ تَذْهَبْ كُلُّهَا » .^(١)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه أبو داود ٢٨٩/١ (٨٦١) وصححه الألباني . وأخرجه الترمذي ١٠٠/٢ (٣٠٢) . وصححه الألباني . وأخرجه ابن خزيمة ٢٧٤/١ (٥٤٥) وصححه الأعظمي . وأخرجه الطيالسي في مسنده ١٩٦/١ (١٣٧٢) . والطبراني في الكبير ٣٩/٥ (٤٥٢٧) . والبيهقي في الكبرى ٣٨٠/٢ (٣٧٨٩) . والنسائي في الكبرى ٥٠٧/١ (١٦٣١) . وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٥/١ (٧٤٠) ، وفي المشكاة ١٧٧/١ (١٥/٨٠٤) .

ديباجة هذا الحديث:

إن قوله : « لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخَذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا » ، يحتمل أحد معنيين :

أولهما : [لا أستطيع أن أحفظ منه شيئاً] .

ثانيهما : [لا أستطيع أن أتعلم قراءته] .

والمراد هو الثاني ؛ ويستدل عليه بما يأتي :

(١) _ أنه صرح به في الرواية الأخرى بقوله : « لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا » ؛ أي : (لا أستطيع أن أتعلم كيفية قراءته الصحيحة) ، وفي رواية ابن حبان : « إِنِّي لَا أَحْسِنُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا » ؛ أي : (لا أحسن قراءته) .

(٢) _ أن في هذا الحديث الشريف ما يدل على قوة حفظ هذا الرجل ؛ بل وعلى رجاحة عقله وصحة فهمه أيضا ؛ لأن النبي - ﷺ - علمه كلمات ليقولها مكان القراءة ، وقد بلغ عدد هذه الكلمات : (ثلاثة وعشرون كلمة) في رواية ابن حبان والطبراني ؛ (وأربعة وعشرون كلمة) في رواية أبي داود وأحمد ؛ (وخمسة وعشرون كلمة) بمجموع الروایتين ؛ بينما يبلغ عدد كلمات سورة الفاتحة من غير البسملة : (أربعة وعشرون كلمة فقط) ؛ ومع ذلك قد حفظ هذا الرجل تلك الكلمات من أول مرة ؛ بل ورددتها أيضا بسهولة ، ومن يقدر على حفظ مثل هذا العدد من الكلمات فلا شك أنه يستطيع أن يحفظ من القرآن مثله وأكثر ؛ لأن الله يسر حفظ القرآن الكريم ؛

→ فهذا دليل على أن هذا الرجل جيد الحفظ ؛ بل وراجح العقل ،
 وصحيح الفهم أيضا ؛ لأنه قد فهم معاني الكلمات ومدلولاتها وما
 يراد بها ، من التسييح والتحميد والتهليل ؛ فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ !
 هَذَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَمَا لِي ؟ » ، وكل هذا يدل على رجاحة عقله ،
 واستقامة فهمه ، وجودة حفظه ، فالعلة إذن : هي عجز هذا الرجل
 عن تعلم كيفية القراءة الصحيحة للقرآن الكريم كما أنزل ، وليس
 سوء حفظه كما زعم ذلك البعض .



قال شارح المصابيح : « اعلم أن هذه الواقعة لا تجوز أن تكون في جميع
 الأزمان ؛ لأن من يقدر على تعلم هذه الكلمات = لا محالة يقدر على
 تعلم الفاتحة ؛ بل تأويله : لا أستطيع أن أتعلم شيئا من القرآن في هذه
 الساعة وقد دخل علي وقت الصلاة ؛ فإذا فرغ من تلك الصلاة = لزمه
 أن يتعلم » .^(١)

فقوله : « لأن من يقدر على تعلم هذه الكلمات = لا محالة يقدر على تعلم
 الفاتحة » ؛ يدل على ما قلناه سابقا .

أما تأويله : « لا أستطيع أن أتعلم شيئا من القرآن في هذه الساعة وقد
 دخل علي وقت الصلاة » ؛ فهذا تأويل بعيد ؛ وذلك للأسباب
 التالية :

(١) _ لأنه تقييد بلا قيد أو دليل .

(١) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤٣/٣ . ونيل الأوطار ٢٤٨/٢ .

(٢) _ أن قوله : « لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخَذَ مِنْ الْقُرْآنِ شَيْئًا » ، لا يشمل الزمن الحاضر فقط ؛ بل يشمل الحاضر والمستقبل أيضا ؛ كما جاء في الرواية الأخرى بلفظ : « إِنِّي لَا أَحْسِنُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا » .

(٣) _ لأنه لو دخل وقت الصلاة = فإن هذا الرجل لن يصلي إماما في حضرة النبي - ﷺ - وكبار الصحابة - ؓ - ؛ حتى تجب عليه القراءة ؛ وكذلك فلن يصلي منفردا على الأرجح ؛ فدل هذا على أن العلة ليست هي ضيق وقت التعلم بسبب دخول وقت الصلاة ؛ بل هي عجز الرجل عن التعلم ، وهذا العجز مستمر ودائم في هذا الوقت وغيره .



وأما قوله : « فَلَمَّا قَامَ ، قَالَ : هَكَذَا بِيَدِهِ » ، أي : أن هذا قد الرَّجُلُ فَعَلَ بِيَدِهِ إشارة معينة ، وهي أنه قبض بيده ، كما بيّن ذلك صاحب المشكاة ، قال ابن حجر : ثم بيّن الراوي : المراد بالإشارة بهما ، فقال : وَقَبَضَهُمَا ، أي : إشارة إلى أنه يحفظ ما أمره به ، كما يُحَفَظُ الشَّيْءَ النَّفِيسَ بِقَبْضِ الْيَدِ عَلَيْهِ .^(١)

قلت : وظاهر هذا السياق يدل على أن المُشِير هو الرجل المأمور ، وكأنه يقول : « قَدْ حَفِظْتُ مَا قُلْتَ لِي وَقَبِضْتُ عَلَيْهِ فَلَا أَضِيعُهُ أَبَدًا » ، ويؤيده قول النبي - ﷺ - : « أَمَا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ » .

(١) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود .

وقال ابن حجر المكي : وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمُشِيرُ هُوَ النَّبِيُّ - ﷺ - ، حَمَلًا لَهُ عَلَى الْأَمْتِثَالِ ، وَالْحِفْظُ لِمَا أُمِرَ بِهِ .^(١)



وأما قوله : « أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ » ، فهذا كناية عن أخذه بمجامع الخير ، فلا ينبغي أن يقلل من شأن ما أخذ وتعلم ، فإن الله تعالى قد رضي أن يعبد بهذه الكلمات ونحوها في الصلاة ، وذلك منذ خلق الله الخلق إلى أن أنزل القرآن الكريم ، ثم رضيها بعد ذلك ممن لا يقدر أن يتعلم القرآن .

* * *

(١) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود .

خلاصة هذا الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يشير إلى أنه لا يجوز قراءة القرآن الكريم على غير الصفة والهيئة التي أنزل عليها - سواء في الصلاة أو خارجها - ؛ لأن القراءة على غير الصفة والهيئة التي أنزلت = ليست بقراءة أصلا، وكذلك فإن المقروء على غير الصفة والهيئة التي أنزلت = فليس بقرآن أيضا ؛ لأن كلام الله غير ملحون ، كما قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾^(١) ، وقال جل شأنه : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(٢).

وهذا الحديث الشريف قد بين سبيل من لا يستطيع أن يقرأ القرآن الكريم قراءة صحيحة في الصلاة ؛ وهي كما قال الفقهاء وأهل العلم على النحو التالي :

أولا: يجب على كل مسلم أن يتعلم سورة الفاتحة وسورتين معها على الأقل إن استطاع ذلك ليقراً بهن في صلاته .

ثانيا: فإن لم يستطع أن يتعلم من القرآن شيئا مع الفاتحة = فليتعلم الفاتحة ويقراً بها في صلاته فإنه يجزئه قراءتها .

(١) [الكهف : ١] .

(٢) [الزمر : ٢٨] .

ثالثاً: فإن لم يستطع أن يتعلم الفاتحة = فليتعلم قدرها من القرآن إن استطاع ذلك ويقرأ به مكانها فإنه يجزئه .

رابعاً: فإن لم يستطع أن يتعلم سورة الفاتحة أو قدرها من القرآن = فيجزئه أن يذكر الله تعالى ويسبحه على الكيفية التي ذكرها النبي - ﷺ - في هذا الحديث إن استطاع ذلك .

خامساً: فإن لم يستطع أن يذكر الله تعالى ويسبحه على الكيفية التي ذكرها النبي - ﷺ - في هذا الحديث = فليذكر الله تعالى ويسبحه بكلمات تتساوى مع قدر سورة الفاتحة أو قدر ما جاء في هذا الحديث الشريف .

سادساً: فإن لم يستطع أن يذكر الله تعالى ويسبحه بكلمات تتساوى مع قدر سورة الفاتحة أو قدر ما جاء في هذا الحديث الشريف ؛ فليكرر أي جملة منه سبع مرات .

سابعاً: فإن لم يستطع أن يكرر أي جملة منه سبع مرات ؛ فليذكر الله كيفما استطاع بقدر زمن قراءة سورة الفاتحة .

قال القرطبي في تفسيره : ذهب الجمهور الى أن ما زاد على الفاتحة من القراءة ليس بواجب ، لما رواه مسلم عن أبي هريرة - ﷺ - ، قال : « في كل صلاة قراءة ، فما أسمعنا النبي - ﷺ - أسمعناكم ، وما أخفى منا أخفينا منكم ، ومن قرأ بأمر الكتاب فقد أجزأت عنه ، ومن زاد فهو أفضل »^(١) ، وفي البخاري : « وإن زدت فهو خير »^(٢) ، [قلت : وينبغي أن يحمل هذا

(١) [صحيح] ، أخرجه مسلم (٤٤/٣٩٦) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٧٣٨) .

→ الحديث السابق على العاجز عن التعلم أو الناسي أو الساهي ؛ لأنه لم يثبت أن النبي - ﷺ - ترك القراءة بعد الفاتحة في الركعتين الأولتين متعمدا ، وقد قال - ﷺ - : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي »^(١) ، وقد صح من حديث عبادة بن الصامت - ؓ - عن النبي - ﷺ - قال : « لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَصَاعِدًا »^(٢) ، قَالَ سُفْيَانُ : « لِمَنْ يُصَلِّي وَحْدَهُ » وعن أبي سعيد الخدري - ؓ - ، عن النبي - ﷺ - قال : « لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَسُورَةٍ ، فِي الْفَرِيضَةِ وَغَيْرِهَا »^(٣) ؛ وأيضا في رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري - ؓ - قال : « أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَنْ نَقْرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَمَا تَيْسَّرَ »^(٤) .

ثم قال القرطبي : وقد أبى كثير من أهل العلم ترك السورة لضرورة أو لغير ضرورة ، منهم عمران بن حصين وأبو سعيد الخدري وخوات بن جبير ومجاهد وأبو وائل وابن عمر وابن عباس وغيرهم ، قالوا : « لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَشَيْءٍ مَعَهَا مِنَ الْقُرْآنِ » ، فمنهم من حد آيتين ، ومنهم من حد آية ، ومنهم من لم يحد وقال : « شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ مَعَهَا » ، [وكل هذا موجب لتعلم ما تيسر من القرآن على كل

(١) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٦٠٥ - ٥٦٦٢) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الإمام مسلم ٢٩٥/١ (٣٩٤) . وعبد الرزاق ٩٣/٢ (٢٦٢٣) . وأبو داود ٢١٧/١ (٨٢٢) . والنسائي ١٤١/٢ (٩٢٠) . وابن حبان ٩٥/٥ (١٧٩٣) . والبيهقي في القراءة خلف الإمام ٢٣/١ (٢٧) . وأحمد ٣٢٢/٥ (٢٢٨٠١) . وأبو عوانة ٤٥٠/١ (١٦٦٥) .

(٣) [حسن لغيره] ، أخرجه ابن أبي شيبة ٣١٨/١ (٣٦٣٢) . وابن ماجه ٢٧٤/١ (٨٣٩) وضعفه الألباني بابي سفیان السعدي . قلت: تابعه عن أبي نضرة : قتادة ، وهي عند ابن حبان في صحيحه ٩٥/٥ (١٧٩٠) وصححه شعيب الأرناؤوط ، وتابعه أيضا عبد العزيز بن عبيد الله ، وهي عند الطبراني في مسند الشاميين ٢٨٩/٢ (١٣٦٠) . كما يشهد له ما قبله وما بعده .

(٤) [صحيح] ، أخرجه أحمد ٣/٣ (١١٠١١) وصححه شعيب الأرناؤوط . وأبو داود ٢٧٦/١ (٨١٨) وصححه الألباني . وابن حبان في صحيحه ٩٥/٥ (١٧٩٠) وصححه شعيب الأرناؤوط .

«حال مع فاتحة الكتاب» [، لحديث عبادة وأبي سعيد الخدري وغيرهما، وفي المدونة : وكيع عن الأعمش عن خيثمة قال: حدثني من سمع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ، يقول : « لَا تُجْزِي صَلَاةَ مَنْ لَمْ يَفْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَشَيْءٍ مَعَهَا » ، واختلف المذهب في قراءة السورة على ثلاثة أقوال : (سنة) - (فضيلة) - (واجبة) ؛ ثم قال القرطبي : من تعذر ذلك عليه بعد بلوغ مجهوده فلم يقدر على تعلم الفاتحة أو شيء من القرآن ولا علق منه بشيء = لزمه أن يذكر الله في موضع القراءة بما أمكنه من تكبير أو تهليل أو تحميد أو تسبيح أو تمجيد أو لا حول ولا قوة إلا بالله إذا صلى وحده أو مع إمام فيما أسرفه الإمام ، فقد روى أبو داود وغيره عن عبد الله بن أبي أوفى -رضي الله عنه- ، قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ، فَعَلِمَنِي مَا يُجْزِي مِنِّي مِنْهُ ، قَالَ : قُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَذَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَمَا لِي ؟ ، قَالَ : قُلْ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي ، وَازْرُقْنِي ، وَعَافِنِي ، وَاهْدِنِي » ؛ فإن عجز عن إصابة شيء من هذا اللفظ = فلا يدع الصلاة مع الإمام جهده ، فالإمام يحمل ذلك عنه إن شاء الله ، [وعليه أبدا أن يُجهد نفسه في تعلم فاتحة الكتاب فما زاد = إلى أن يحول الموت دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله] ؛ ثم قال : من لم يواته لسانه إلى التكلم بالعربية من الأعجميين وغيرهم تُرجم له الدعاء العربي بلسانه الذي يفقه لإقامة صلاته فإن ذلك يجزئه إن شاء الله تعالى .^(١)

(١) تفسير القرطبي ١٥٣/١ - ١٥٤ .

وقال الإمام النووي في "الأذكار" : « اعلم أن القراءة واجبة في الصلاة بالإجماع مع النصوص المتظاهرة ، ومذهبنا ومذهب الجمهور : أن قراءة الفاتحة واجبة ، لا يُجزئ غيرها لمن قدر عليها - للحديث الصحيح : أن رسول الله - ﷺ - ، قال : « لا تُجْزَى صَلاةٌ لا يُقْرَأُ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ » ، رواه ابن خزيمة وأبو حاتم ابن حبان في صحيحيهما بالإسناد الصحيح وحكما بصحته . وفي الصحيحين عن رسول الله - ﷺ - : « لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ » ، ويجب قراءة : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، وهي آية كاملة من أوّل الفاتحة . وتجب قراءة الفاتحة بجميع تشديداتها ، وهي أربع عشرة تشديدة : ثلاث في البسمة ، والباقي بعدها ، فإن أخلّ بتشديدة واحدة = بطلت قراءته ؛ ويجب أن يقرأها مرتبة متوالية ، فإن ترك ترتيبها أو موالاتها لم تصحّ قراءته ، ويعذر في السكوت بقدر التنفس ... ، إلى أن قال : فإن لم يُحسن الفاتحة = قرأ بقدرها من غيرها ، فإن لم يُحسن شيئاً من القرآن = أتى من الأذكار كالتسييح والتهيل ونحوهما بقدر آيات الفاتحة ، فإن لم يحسن شيئاً من الأذكار وضاق الوقت عن التعلّم = وقف بقدر القراءة ثم يركع ، وتُجزئه صلاته إن لم يكن فرط في التعلّم ، فإن كان فرط في التعلّم = وجبت الإعادة ؛ وعلى كلّ تقدير : متى تمكّن من التعلّم = وجب عليه تعلّم الفاتحة ، ثم قال : أما إذا كان يُحسنُ الفاتحة بالعجمية ولا يُحسنها بالعربية = لا يجوز له قراءتها بالعجمية ، بل هو عاجز ، فيأتي بالبدل على ما ذكرناه » .^(١)

(١) الأذكارُ التَّوَيَّةُ للإمام النَّوَوِي - بابُ : القراءة بعد التَّعَوُّذِ ص ٧٠ .

وقال الإمام الخَطَّابِيُّ - رحمه الله تعالى - : الأصل : أن الصلاة لا تجزئ إلا بقراءة فاتحة الكتاب ، ومعقول : أن قراءة فاتحة الكتاب على من أحسنها دون من لا يحسنها ، فإذا كان المصلي لا يحسنها ويُحسن غيرها من القرآن = كان عليه أن يقرأ منها قدر سبع آيات ، لأن أولى الذكر بعد الفاتحة ما كان مثلاً لها من القرآن ؛ وإن كان رجلاً ليس في وسعه أن يتعلم شيئاً من القرآن لعجز في طبعه أو سوء حفظ أو عجمة لسان أو آفة تعرض له = كان أولى الذكر بعد القرآن ما علّمه رسول الله - ﷺ - من التسبيح والتحميد والتهليل ، وقد رُوِيَ عن النبي - ﷺ - أنه قال : «أفضل الذكر بعد كلام الله : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .^(١)



(١) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤٣/٣ - ٤٤ .

الفصل الثامن والأربعون

ماهية القرآن الكريم وحكم حفظه

عن علي بن رباح اللخمي ، قال : سمعت عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - ، يقول : « كُنَّا فِي الْمَسْجِدِ ، نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ : تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَاقْتَنُوهُ ، قَالَ قَبَاطٌ : وَحَسِبْتُهُ قَالَ : وَتَعَنُّوا بِهِ ؛ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْمَخَاضِ فِي عَقْلِهِ » .^(١)

وفي رواية : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَتَعَاهَدُوهُ ، وَتَعَنُّوا بِهِ ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْعِشَارِ فِي الْعُقْلِ » .^(٢)

وفي رواية : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَتَعَاهَدُوهُ ، وَاقْتَنُوهُ ، وَتَعَنُّوا بِهِ ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ الْمَخَاضِ فِي الْعُقْلِ » .^(٣)

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) [صحيح] ، سبق .

(٣) [حسن] ، سبق .

وعن عاصم الأحول ، قال : كان أبو العالية - رحمه الله - يقول لنا : « تَعَلَّمُوا
الإِسْلَامَ ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُ الإِسْلَامَ : فَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُ الْقُرْآنَ :
فَتَعَلَّمُوا السُّنَّةَ ، فَإِنَّ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُحَرِّفُوا
الصِّرَاطَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُزْدِيَّةَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ
النَّاسِ الْعَدَاوَةَ » ، قال : وكان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام
وقال : « عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ » .^(١)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه أبو الفضل المقرئ في ذم الكلام وأهله ٩/٥ (٧٩١) .

ديباجة هذا الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يشير إلى اهتمام الصحابة الكرام - ﷺ - بالقرآن الكريم ، وأنه كان شغلهم الشاغل ، وأنهم كانت لهم مجالس خاصة ، يقرؤون فيها القرآن ، ويتدارسونه فيما بينهم ، ويعلم بعضهم بعضاً ، ويتلقاه بعضهم من بعض ، وكان النبي - ﷺ - يشرف عليهم ويتابعهم ويوجههم ويرشدهم ، ويأمرهم بتعلمه وتعليمه ، ويحثهم على حفظه في الصدور وفي السطور أيضاً ، ثم تعاهده بكثرة تلاوته ، ومدارسته لثلاثين سنة ؛ فما هو القرآن الكريم ، وما هي حقيقته ؟ ، هذا إن شاء الله تعالى ما سنحاول توضيحه في السطور التالية .

.....

للقرآن الكريم صورتان :

- (١) - الصورة الأولى : [صورة خطية] .
- (٢) - الصورة الثانية : [صورة صوتية] .

وكل من الصورتين صحيح النسبة ، موثوق المصدر ، يقيني الثبوت ، ومُجمع عليه من الأمة المعصومة ؛ والقرآن الكريم في الحقيقة : هو مجموع كل من هذين الصورتين معا (الصورة الخطية والصورة الصوتية) ؛ وإن شاء الله تعالى فسوف أتكلم عنهما بإيجاز فيما يلي لنعلم حقيقتهما ومصيرهما وواجبنا نحوهما .

* * *

أولاً: الصورة الخطية للقرآن الكريم:

تعريفها:

هي الطريقة الخاصة التي كُتِبَ بها القرآن الكريم بين يدي النبي - ﷺ - ، وهي التي عُرفت فيما بعد : بـ (الرسم العثماني) .

مصدرها:

فأما عن مصدرها : فهو أن النبي - ﷺ - كان إذا نزل عليه شيء من القرآن أمر بكتابته فور نزوله ، بين يديه ، وأمام عينيه ، حتى تمت كتابة القرآن الكريم كاملاً في عهده الكريم ، ولكنه كان مفرقاً عند الصحابة - ﷺ - ؛ فلما توفي النبي - ﷺ - ، وولى بعده أبو بكر الصديق - ﷺ - ؛ أمر بجمع هذه النسخ الخطية للقرآن الكريم ، فجمعها وحفظها عنده ، ثم كانت من بعده عند الخليفة عمر بن الخطاب - ﷺ - ، ثم من بعده عند أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - ؛ فلما كان زمن الخليفة عثمان بن عفان - ﷺ - أرسل إلى أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - في طلب هذه الصحف ، فاستنسخها في عدة مصاحف وأرسل بها إلى الأمصار ، فاجتمعت عليها الأمة المعصومة وتلقتهما بالقبول ، وبذلك تم حفظ الصورة الخطية للقرآن الكريم ، والله الحمد والمنة .

حكمها:

هذه الكتابة توقيفية ، فلا يجوز لأحد أن يُنكر أو يُبدل أو يُغير أو يزيد أو ينقص منها شيئاً .

الدليل على توقيفيتها:

(١) _ أنها كُتبت بأمر من النبي - ﷺ - ، وبين يديه ، وأمام عينيه ، وبإملائه هو .

(٢) _ أنها حازت إقرار النبي - ﷺ - وإقرار الله تعالى لها من فوق سبع سماوات .

(٣) _ أنها حازت قبول وإجماع الأمة المعصومة ، وذلك في كل عصر من العصور :

فالمرة الأولى : عندما جُمع القرآن الكريم في عهد الخليفة أبي بكر الصديق - ﷺ - .

والمرة الثانية : عندما استُنسخ القرآن الكريم في عهد الخليفة عثمان بن عفان - ﷺ - في عدة مصاحف من الصحف التي كُتبت في عهد النبي - ﷺ - .

ثم توالى الإجماع بعد ذلك في كل عصر من العصور إلى الآن وإلى يوم القيامة أيضا بإذن الله تعالى .

(٤) _ أنها جاءت مخالفة لقواعد اللغة والإملاء والكتابة العادية ؛ فكونهم قد أجمعوا عليها مع أنها مخالفة لما عرفوه وأفوه ؛ فهذا أيضا يدل على توقيفيتها .

(٥) _ أنها قد أنزلت من عند الله تبارك وتعالى ، ويُستدل على ذلك بما يأتي :

(أ) _ أن الله عز وجل قد سماه كتابا ؛ وفي هذا إشارة إلى أنه أنزله خطأ مكتوبا كما أنزله صوتا ملفوظا ؛ لأن الكتاب لا يطلق على الكلام الملفوظ فقط ؛ بل يطلق على المرسوم خطأ ؛ سواء صاحبه قراءة لفظية أم لا؛ ولذلك فإنه لا يصح مثلا : أن يُسمى الحديث القدسي (كتاب الله) ؛ مع أنه كلام منسوب لله ومسند إليه .

(ب) _ أنه قد صح عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - أنه قال : « فُصِّلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ - عليه السلام - يُنزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ، ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ ، قال سفيان : خَمْسَ آيَاتٍ وَنَحْوَهَا » .^(١) ، فهذا الحديث الصحيح يتحدث عن نزول الصورة الخطية للقرآن الكريم ؛ من اللوح المحفوظ أولا ، ثم فصلت منه وجعلت في بيت العزة في سماء الدنيا ، فكان جبريل - عليه السلام - ينزل به منه على النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ وأما الصورة اللفظية فقد كان جبريل - عليه السلام - يسمعها صوتا

(١) [صحيح]، أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/٣٢ (١٢٣٨١) . والنسائي في السنن ٧/٥ (٧٩٩١) . والحاكم في المستدرک وصححه ٢/٦٦٧ (٤٢١٦) ووافقه الذهبي في التلخيص .

→ ويتلقاها مشافهة من رب العزة والجلال؛ كما قال النبي - ﷺ -
 : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرِهِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ
 أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ رَجْفَةً ، أَوْ قَالَ رَعْدَةً ، شَدِيدَةً ، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ ضَعِفُوا ، وَخَرُّوا لِلَّهِ
 سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،
 فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَحْيِهِ مَا أَرَادَ ، فَيَمْضِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ يَسْأَلُهُ مَلَائِكَتُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا
 جِبْرِيلُ ؟ ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، قَالَ :
 فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ
 أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » .^(١)

* * *

(١) [صحيح] ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩١/٢٢) . وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير
 (٥٣٨/٣) . وأبو الشيخ ٥٠٠/٢ (٤٦) . والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٠٣) . وابن
 خزيمة في التوحيد (ص ١٤٤) . وابن أبي عاصم في السنة ٢٢٦/١ (٥١٥) . والطبراني في
 مسند الشاميين ٣٣٦/١ (٥٩١) . والدليمي ٢٤٨/١ (٩٦٤) . كلهم من حديث النواس بن
 سمعان - ﷺ - ، مرفوعا ، وضعفه شيخنا الألباني كما في ظلال الجنة بنعيم بن حماد
 وتدليس الواليد بن مسلم ٢٦٧/١ (٥١٥) . قلت : لقد تابع نعيم بن حماد : عمرو بن مالك
 الراسبي وهي عند ابن أبي الشيخ في العظمة ٥٠٠/٢ (٤٦) وقد صرح فيه الوليد بالتحديث
 أيضا . وقال الهيثمي (٩٥/٧) : رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وقد وثق
 وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين وبقية رجاله ثقات . قلت : ويشهد له أيضا ما أخرجه
 محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة ١٢٣٨ (٢١٩) والدارمي في الرد على الجهمية
 ١٧١/١ (١٥٨) بسند صحيح عن ابن عباس - ﷺ - موقوفا . وأيضا ما أخرجه البخاري عن
 أبي هريرة - ﷺ - مرفوعا (٤٥٢٢ - ٧٠٤٣) . وأيضا ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن ابن
 مسعود - ﷺ - مرفوعا ٢٢٣/١ (٣٧) وصححه شعيب الأرناؤوط .

الخلاصة:

مما سبق نستخلص أن الصورة الخطية للقرآن الكريم هي عبارة عن : [الصورة الخطية التي كُتبت ورُسمت في المصاحف العثمانية الست التي استُنسخت في عهد الخليفة عثمان بن عفان - ﷺ - من الصحف التي كُتبت لأول مرة في عهد النبي - ﷺ - ، ثم جمعها الخليفة أبو بكر الصديق - ﷺ - في عهده بعد وفاة النبي - ﷺ - ، ثم كانت من بعده عند الخليفة عمر بن الخطاب - ﷺ - ، ثم من بعده عند أم المؤمنين السيدة حفصة - رضي الله عنها - ، حتى أرسل إليها الخليفة عثمان بن عفان - ﷺ - في طلبها ، فاستنسخها في تلك المصاحف وأرسل بها إلى الأمصار ، فاجتمعت عليها الأمة المعصومة وتلقتهما بالقبول] .

* * *

مصير هذه المصاحف:

للأسف الشديد!، فإن هذه المصاحف الست قد ضاعت وفقدت جميعها من أيدي المسلمين، ولا نعلم مكانها أو مصيرها على وجه اليقين حتى الآن، وأغلب الظن أنه يوجد منها نُسخ في مكتبات ومتاحف أوروبا، وعلى العموم فإن ضياع هذه المصاحف الست لا يتناقض مع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ؛ وذلك لأن علماء المسلمين قد حفظوا هذه الصور الخطية للمصاحف الست، ودونها في مؤلفات خاصة، وصارت عندهم علمًا مستقلًا، ويعرف اليوم بعلم: (الرسم) أو (رسم المصحف)، ثم إن المسلمين قد انتسخوا من تلك المصاحف نسخا كثيرة حتى إنه لا يكاد يخلوا بيت رجل مسلم من نسخة منها أو أكثر، وبذلك حُفظت الصورة الخطية للقرآن الكريم، والله الحمد والمنة.



واجب الأمة نحوها:

(١) _ أن تُشكل لجان علمية لنسخ تلك الصورة الخطية للمصاحف العثمانية من كتب الرسم ، ثم إعادة صياغتها في المصاحف على الكتبة الأولى وبدون ضبط أيضا ؛ وذلك لتحتمل جميع القراءات المتواترة الصحيحة .

(٢) _ أن تحفظ هذه النسخ في مظانها - الرسمية - ؛ ويُطبع منها نسخ تُوضع في المؤسسات العلمية ودور القرآن الكريم ؛ ليتعرف الناس عليها، وتكون عوناً ومرجعاً لهم .

(٣) _ إعداد برنامج إعلامي جيد لتعريف عموم الناس بها وبأهميتها ومكانتها .

(٤) _ أن تقوم تلك اللجان كذلك بكتابة مصاحف للقراءات، بحيث تكون مضبوطة ضبطاً يوافق كل القراءات القرآنية ؛ حيث إن بعضها ليس بأفضل من بعض ؛ ثم إن الله عز وجل قد تعبدنا بها جميعاً وأمرنا أن نحفظها كلها، وهذا أمر يحتاج إلى رعاية رسمية ، لأهميته وخطورته، فالله المستعان .



ثانيا: الصورة الصوتية للقرآن الكريم:

تعريفها:

الصورة الصوتية للقرآن الكريم هي عبارة عن : [هي الطريقة التي قرأ بها النبي
- ﷺ - القرآن الكريم] .

حقيقتها وما هيها:

فهي على الحقيقة عبارة عن : [كل ما صح وثبت عن النبي - ﷺ - من طرق
القراءة والأداء] .

مصدرها:

وأما مصدرها : فهو التلقي بالسمع والمشاهدة من مشايخنا وعلمائنا بأسانيدهم
المتصلة جيلا بعد جيل عن النبي - ﷺ - عن جبريل - عليه السلام - عن رب
العزة والجلال .

حكما:

إن هذه القراءات توقيفية أيضا ، فلا يجوز لأحد أن ينكر أو يبدل أو يغير أو يزيد أو ينقص منها شيئا .



الدليل:

لقد سبق ذكر الكثير من الأدلة في ثنايا هذا الكتاب ، ويكفيها منها قول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ كَمَا عَلَّمْتُمْ » .^(١)

وعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ، قال : « الْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ » ، قال ابن خرزاد : قلت لقالون : ما هذا ؟ ، قال : « يأخذها الآخر عن الأول » .^(٢)

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « إِنِّي سَمِعْتُ الْقِرَاءَةَ ، فَسَمِعْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ ، فَأَقْرَأُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَالْاِخْتِلَافَ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ : هَلُمَّ ، وَتَعَالَ » .^(٣)



(١) [حسن] ، سبق

(٢) [حسن] ، سبق

(٣) [صحيح] ، سبق

وإننا لنعتمد جزماً : أن أمين الوحي جبريل - ﷺ - كان ينزل بالقرآن الكريم
ويقرأه على النبي - ﷺ - كما سمعه من رب العزة والجلال .

كما نعتقد جزماً : أن النبي - ﷺ - كان يقرأ القرآن الكريم بنفس الهيئة والصفة
التي تلقاها من أمين الوحي جبريل - ﷺ - .

كما نعتقد جزماً : أن الصحابة الكرام - ﷺ - قد نقلوا لنا القرآن الكريم = كما تلقوه
من النبي - ﷺ - (بنفس الهيئة والصفة التي قرأ هو بها) ، من غير زيادة أو
نقصان أو تغيير أو تحريف أو تبديل ، وأنهم صادقون في كل ما نقلوه .

كما نعتقد جزماً : أن القرآن الكريم قد وصل إلينا عنهم كذلك ، [من غير زيادة
أو نقصان أو تغيير أو تحريف أو تبديل] ، لأنه نقل إلينا نقلاً متواتراً يُفيد
القطع واليقين . كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) .

فإننا نعتقد جزماً : أن القرآن الكريم الذي تلقيناه ونسمعه ونتلوه اليوم = هو نفسه
القرآن الكريم الذي نزل به الأمين جبريل - ﷺ - على النبي - ﷺ - ؛
فمن شك بعد ذلك في حرف منه ، [سواء في رسمه أو لفظه] ، فعليه أن
يراجع إيمانه .

* * *

(١) [الحجر : ٩] .

واجب الأمة نحوها:

(١) _ إنشاء الجامعات ودور العلم لحفظ ودراسة هذه القراءات بجميع رواياتها ، ومعرفة ما يتعلق بها .

(٢) _ إنشاء مقارئ عامة للقرآن الكريم ، بحيث يكون في كل مسجد رئيسي في كل بلدة عدد من المقارئ ، تكون تحت إشراف المتخصصين وتحظى بالرعاية الرسمية ، وتكون مهمة هذه المقارئ هو المحافظة على الصورة الصوتية للقرآن الكريم بجميع رواياته وقراءاته الصحيحة (دون الإقتصار على بعضها كما هو الحال)؛ بحيث إن كل مقراءة من هذه المقارئ تقرأ القرآن الكريم برواية أو بطريق لا يُقرأ به في المقارئ الأخرى ؛ وحينئذ فسوف يُقرأ القرآن الكريم كله بجميع طرقه ورواياته المتواترة الصحيحة في مجموع هذه المقارئ ؛ وهذا العمل هو من أجل وأعظم أعمال البرّ في هذا الزمان ، ولا أظن أن الشيطان وجنوده ستركون هذا الأمر ليتم بيسر وسهولة هكذا ؛ ولكن للحق في كل عصر من العصور رجال عظماء قد سخرهم الله لخدمة دينه ولا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ، نسأل الله أن يجعلنا منهم ، آمين .

(٣) _ قراءة القرآن الكريم أيضا بجميع طرقه ورواياته الصحيحة في وسائل الإعلام وفي الصلوات ؛ حتى تنتشر قراءاته ويعرفها الناس ويتيسر عليهم حفظها .

* * *

الخلاصة:

مما سبق نستخلص الآتي :

- (١) _ أن للقرآن الكريم صورتين : [صورة خطية ، وصورة صوتية] .
- (٢) _ أن صورته الخطية هي عبارة عن : [مجموع المصاحف العثمانية (الست) التي استنسخها الخليفة عثمان - ﷺ - من الصحف التي كُتبت بين يدي النبي - ﷺ -] .
- (٣) _ أن صورته الصوتية هي عبارة عن : [مجموع القراءات الصحيحة التي ثبتت عن النبي - ﷺ -] .
- (٤) _ أن القرآن الكريم في الحقيقة هو عبارة عن مجموع صورته : (الخطية والصوتية) وقد أشار الله عز وجل إلى ذلك فسماه : (كتابا)، وسماه أيضا : (قرآنا) .
- (٥) _ أنه يصح إطلاق اسم القرآن الكريم - مجازا - على بعض صورته الخطية أو ما نُسخ منها ، أو بعض صورته اللفظية وما تفرع عنها .

* * *

حكم حفظ القرآن الكريم بكلتا صورتيه:

إن الله عز وجل قد أوجب على الأمة المحمدية : حفظ القرآن الكريم بكلتا صورتيه ، (الخطية والصوتية) ؛ وجوبا كفايا ، بحيث إذا قام به البعض سقط الإثم عن الكل ، وإذا لم يقم به أحدُ أثم الجميع .

.....

الدليل:

أولا : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .^(١) ، قال أهل التفسير أن معناه : أي وإنا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه ما ليس منه أو أن ينقص منه ما هو فيه .^(٢)

ثانيا : قال الله تعالى : ﴿ إِن عَلَيْنَا جَمْعُهُ ﴾ ، أي : « جَمَعَهُ فِي صَدْرِكَ » ، كما قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - في الحديث الصحيح^(٣) ؛ وكما قال قتادة أيضا : « حِفْظُهُ وَتَأْلِيفُهُ » .^(٤)

(١) سورة الحجر [آية : ٩] .

(٢) انظر تفسير الطبري ٤٩٣/٧ ، وغيره .

(٣) [صحيح] ، سبق .

(٤) [حسن] ، سبق .

ثالثاً : قال الله عز وجل : ﴿ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾^(١).

فقوله : ﴿ سَنُقَرِّئُكَ ﴾ ، أي : سنعلمك القراءة ؛ كما قال البغوي في

تفسيره : [سنعلمك بقراءة جبريل عليك] .^(٢)

وقوله ﴿ فَلَا تَنْسَى ﴾ ، فهذه الأداة تحتمل إحدى معنيين :

(١) _ أن تكون ناهية - وهو الأظهر - ؛ فيكون تقدير المعنى هو أي :

(سنُقَرِّئُكَ وَنُعَلِّمُكَ فَلَا تَنْسَى مَا أقرَأْنَاكَ وَعَلِمْنَاكَ) ، أي : فتعاهده

واعمل به ولا تتركه فتنساه ؛ وليس هناك مشكلة في ثبوت الياء وقفا

على عادة بعض العرب (كما قال أهل العلم)^(٣) ، قال القرطبي في

تفسيره : « قال الفرعاني : كان يغشى مجلس الجنيد أهل البسط من

العلوم ، وكان يغشاه ابن كيسان النحوي وكان رجلاً جليلاً ، فقال

يوماً : ما تقول يا أبا القاسم في قول الله تعالى : ﴿ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا

تَنْسَى ﴾ ؟ ، فأجابه مسرعاً كأنه تقدم له السؤال قبل ذلك بأوقات :

(لا تنسى العمل به) ، [أي لا تترك العمل به] ، فقال ابن كيسان : لا

يفضض الله فاك ! ، مثلك من يُصدر عن رأيه » .^(٤)

(١) [سورة الأعلى : الآية : ٦] .

(٢) تفسير البغوي ٤٠١/١ .

(٣) انظر تفسير الطبري ٥٤٤/١٢ . والبغوي ٤٠١/١ . والقرطبي ١٩/٢٠ . وابن كثير ٦٤٤/٤ .

وغيرهم .

(٤) تفسير القرطبي ١٩/٢٠ .

(٢) _ أن تكون نافية ، فيكون التقدير أي : سُنْقَرْتُكَ ونُعلمك فلن تنسى ما أقرأناك وعلمناك ، كما قال الشوكاني في " فتح القدير " : قوله : ﴿ سُنْقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ أي : سنجعلك قارئاً ؛ بأن نُلهمك القراءة فلا تنسى ما تقرأه ، والجمله مستأنفة لبيان هدايته - ﷺ - الخاصة به بعد بيان الهداية العامة ، وهي هدايته - ﷺ - لحفظ القرآن ، قال مجاهد والكلبي : كان النبي - ﷺ - إذا نزل عليه جبريل - ﷺ - بالوحي : لم يفرغ جبريل - ﷺ - من آخر الآية حتى يتكلم النبي - ﷺ - بأولها مخافة أن ينساها ، فنزلت ﴿ سُنْقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ .^(١)

قلت : ولا مانع من أن نجمع بين القولين ونعملهما معا جميعا ، وسيكون ذلك أولى لعموم لفظ الآية ؛ فيكون تقديرهما هو : أي : سنلقنك ونُقرئك ونُعلمك القرآن فلن تنساه إذا تعاهدته ولم تتركه . كما قال البيضاوي في تفسيره : قوله : ﴿ سُنْقَرْتُكَ ﴾ ، أي : على لسان جبريل عليه - ﷺ - ، أو سنجعلك قارئاً بإلهام القراءة ، قوله : ﴿ فَلَا تَنْسَى ﴾ أصلا من قوة الحفظ مع أنك أُمي ، ليكون ذلك آية أخرى لك ، مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات ، وقيل : نهى ، والألف للفاصلة كقوله تعالى ﴿ الْأَسْبِيلَ ﴾ .^(٢)

(١) تفسير فتح القدير ٥/٦٠٠ .

(٢) تفسير البيضاوي ١/٤٨٠ .

رابعاً: قال رسول الله - ﷺ - : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَتَعَاهَدُوا ، وَاقْتَنُوا ، وَتَغَنُّوا بِهِ ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! ، لَهُوَ أَشَدُّ ثِقَلًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ الْمَخَاضِ فِي الْعُقْلِ » .^(١)

فقوله : « وَتَعَاهَدُوا » ، أي : تعاهدوه بالحفظ والمدارسة والتعلم والتعليم وكثرة القراءة والتلاوة ؛ لثلاث ينسى .

وقوله : « وَاقْتَنُوا » ، أي : اقتنوا نسخه الخطية ، وحافظوا عليها ، واعتنوا بها ؛ لثلاث تضيع .

* * *

(١) [صحيح] ، سبق .

طائفة من أقوال أهل العلم:

قال الإمام الزركشي في "البرهان": قال أصحابنا: تعليم القرآن فرض كفاية، وكذلك حفظه واجب على الأمة، صرح به الجرجاني في "الشافى"، والعبادي، وغيرهما.

والمعنى فيه كما قاله الجوينى: أن لا ينقطع عدد التواتر فيه، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف.

فإن قام بذلك قوم؛ سقط الإثم عن الباقيين، وإلا فالكل آثم، فإذا لم يكن فى البلد أو القرية من يتلو القرآن آثموا بأسرهم.

ولو كان هناك جماعة يصلحون للتعليم وطلب من بعضهم وامتنع لم يأثم فى الأصح كما قاله النووي فى التبيان، وهو نظير ما صححه فى كتاب السير أن المفتى والمدرس لا يأثمان بالامتناع إذا كان هناك من يصلح غيره.

وصورة المسألة فيما إذا كانت المصلحة لا تفوت بالتأخير؛ فإن كانت تفوت لم يجز الامتناع، كالمصلى يريد تعلم الفاتحة ولو رده لخرج الوقت بسبب ذهابه إلى الآخر ولضيق الوقت عن التعليم^(١).

(١) البرهان فى علوم القرآن ٤٥٦/١.

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

وقال السيوطي في "الإتقان": « اعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة »

صرح به الجرجاني في "الشافى"، والعبادي، وغيرهما .

قال الجويني: والمعنى فيه: ألا ينقطع عدد التواتر فيه، فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط الإثم عن الباقيين؛ وإلا أثم الكل .

« وتعليمه أيضا فرض كفاية »، وهو من أفضل القرب، ففي الصحيح:

« خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »^(١). انتهى.^(٢)



وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « معرفة القراءة وحفظها : سنة

متبعة ، يأخذها الآخر عن الأول، فمعرفة القراءات التي كان النَّبِيُّ ﷺ -

يقرأ بها أو يُقَرُّهُمُ على القراءة بها أو يأذن لهم بها وقد قرءوا بها : (سنة)؛

والعارف فى القراءات الحافظ لها : له مزية على من لم يعرف ذلك ولا

يعرف إلا قراءة واحدة » .^(٣)



وقال الشيخ حسنين مخلوف - مفتي الديار المصرية سابقا- "رحمه الله تعالى":

« فرض الله تعالى على الأمة ضبط القرآن، وتعلمه، وروايته، على

الوجه الذي نزل به، بمعنى: أنه يجب أن يكون في كل عصر طائفة من

الأمة تبلغ حد التواتر يقومون بتحملة وروايته باللغة التي نزل بها،

(١) [صحيح]، سبق .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ٢٦٤/١ .

(٣) الفتاوى الكبرى الجزء الأول "مسألة: فى جمع القراءات السبعة" .

الكتاب الأول _____ الفصول من الأصول

→ ويحفظونه من التحريف والتغيير والتبديل ، وأن يكون فيهم من يعرف
أوجه القراءات والطرق ، والكيفيات المتلقاة من أفواه المشايخ ، طبقة
عن طبقة ، إلى رسول الله - ﷺ - .^(١)



وقالت اللجنة العلمية الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، برئاسة الشيخ : عبد
العزیز بن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالى - : « الأمة مأمورة بحفظ
القرآن ، كِتَابَةً ، وَتِلَاوَةً ، وبقراءته على الكيفية التي علمهم إياها
رسول الله - ﷺ - . »^(٢)



- (١) عنوان البيان للشيخ مخلوف مطبعة الحلبي ص ٢٧ وما بعدها ، وانظر تاريخ القرآن الكريم
لمحمد طاهر الكردي الفائدة الثالثة (في تجويد القرآن العظيم) ٢٠٢/١ .
- (٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ : عبد العزيز بن باز - رحمه الله
تعالى - ، وعضوية كل من : عبد الله بن قعود ، عبد الله بن غديان ، عبد الرزاق عفيفي .
الطبعة : الأولى . الناشر : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع -
الرياض . تاريخ النشر : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م . السؤال الثالث من الفتوى رقم (٢٢١٣) .

الفصل التاسع والأربعون

القرآن حجة لك أو عليك

عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « الطُّهُورُ : شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ : تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ : تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو : فَبَائِعٍ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا » .^(١)



(١) [صحيح] ، أخرجه الإمام مسلم ، الجزء الثاني ، باب "فضل الوضوء" ١٤٠/١ (٤٥٤) . وابن ماجة (٢٨٠) . والنسائي ٥/٥ ، وفي الكبرى (٢٢٢٨ ، ٩٩٢٥ ، ٩٩٢٤) . وابن جبان ٨٤٤ . وابن أبي شيبة ٦/١ (٣٧) و٤٥/١١ (٣٠٤٢١) . وأحمد ٥/٣٤٢ (٢٣٢٩٠) ، ٥/٣٤٢ (٢٣٢٩٠) ، ٥/٣٤٣ (٢٣٢٩٦) ، ٥/٣٤٤ (٢٣٢٩٧) . والدارمي (٦٥٣) . والترمذي (٣٥١٧) . وابن مندة في الإيمان ١/٣٧٤ (٢١١) . والبيهقي في شعب الإيمان ٣/٣ (٢٧٠٩) - ٣٨/٣ (٢٨٠٥) ، وفي السنن ١/٤٢ (١٨٥) - ٥/١٧٩ (٩٦٣١) . والطبراني في مسند الشاميين ٢/١٦٣ (١١١٤) .

ديباجة هذا الحديث:

قوله : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ » ، معناه : أن الطهارة الظاهرة من وضوء أو غسل أو تيمم تُساوي نصف الصلاة ؛ وكذلك فإن الطهارة الباطنة التي هي نفي الشرك والاعتقادات الفاسدة تُساوي نصف الإيمان ؛ وأما نصفه الآخر فهو إثبات التوحيد .

وقوله : « وَالْحَمْدُ لِلَّهِ : تَمْلَأُ الْمِيزَانَ » ، قال النووي : معناه : عظم أجرها وأنه يملأ الميزان ، وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الميزان وخفتها .

وقوله : « وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ : تَمْلَأَنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » قال النووي : يحتمل أن يقال لو قدر ثوابهما جسماً لملأ ما بين السموات والأرض ، وسبب عظم فضلها ما اشتملا عليه من التنزيه لله بقوله سبحانه الله والتفويض والافتقار إلى الله بقوله الحمد لله ، وقال القرطبي : الحمد راجع إلى الثناء على الله تعالى بأوصاف كماله فإذا حمد الله تعالى حامد مستحضراً معنى الحمد في قلبه امتلاً ميزانه من الحسنات فإذا أضاف إلى ذلك سبحانه الله الذي معناه تبرئة الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من النقائص ملأت حسناته (و ثوابها زيادة على ذلك) ما بين السموات والأرض إذ الميزان مملوء بثواب التحميد وذكر السموات على جهة الاعتناء على العادة العربية . والمراد أن الثواب على ذلك كثير جداً بحيث لو كان أجساماً لملأ ما بينهما .

وقوله : « وَالصَّلَاةُ نُورٌ » ، قال النووي : معناه أنها تمنع من المعاصي وتنهاى عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب كما أن النور يستضاء به ، وقيل معناه أن أجرها يكون نورا لصاحبها يوم القيامة ، وقيل إنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانسراح القلب ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله بظاهره وباطنه وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ ، وقيل معناه أنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ويكون في الدنيا أيضا على وجهه إليها بخلاف من لم يصل .



وقوله : « وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ » ، قال النووي : قال صاحب التحرير : معناه يفزع إليها كما يفزع إلى البراهين كما أن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله ، وقال غير صاحب التحرير : معناه أنها حجة على إيمان فاعلها فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها فمن تصدق استدل بصدقته على صحة إيمانه ، وقال في النهاية : (البرهان) : الحجة والدليل ، أي أنها حجة لطالب الأجر من أجل أنها فرض يجازي الله به وعليه ، وقيل : هي دليل على صحة إيمان صاحبها لطيب نفسه بإخراجها وذلك لعلاقة ما بين النفس والمال ، وقال القرطبي : أي برهان على صحة إيمان المتصدق أو على أنه ليس من المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات أو على صحة محبة المتصدق لله تعالى ولما لديه من الثواب إذ أثر محبة الله وابتغاء ثوابه على ما جُبل عليه من حب الذهب والفضة حتى أخرجه الله تعالى .



وقوله : « وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ » ، قال الإمام النووي : معناه : الصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى النائبات وأنواع المكاره في الدنيا ، والمراد : أن الصبر محمود لا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب ، وقال القرطبي : رواه بعض المشايخ : (والصوم ضياء) بالميم ولم تقع لنا تلك الرواية على أنه يصح أن يُعبر بالصبر عن الصوم وقد قيل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ .^(١) ، فإن تنزلنا على ذلك ؛ فيقال في كون الصبر ضياء ، كما قيل في كون الصلاة نورا ، وحينئذ لا يكون بين النور والضياء فرق معنوي ، بل لفظي ، والأولى أن يقال : إن الصبر في هذا الحديث غير الصوم ، بل هو الصبر على العبادات والمشاق والمصائب والصبر عن المخالفات والمنهيات كاتباع هوى النفس والشهوات وغير ذلك ، فمن كان صابرا على تلك الأحوال متشبها فيها مقابلا لكل حال بما يليق به = ضاءت له عواقب أحواله وصحت له مصالح أعماله فظفر بمطلوبه وحصل من الثواب على مرغوبه كما قيل :

وَقُلْ : مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ ... وَاسْتَعْمَلَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفْرِ.^(٢)



(١) [سورة البقرة : ٤٥] .

(٢) انظر هذه الأقوال في شرح النووي على صحيح مسلم ١٠١/٣ ، وأيضا شرح السيوطي على صحيح مسلم ١٢/٢ ، وتحفة الأحوذى ٣٥٠/٩ .

وقوله : « وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ » ففي هذه الجملة نجد أن النبي - ﷺ - قد سلك بالحديث مسلکا آخر عند الكلام على القرآن ، وذلك للإشارة إلى فضله ، ومكانته ، وأهميته ، فإنه إن كان معك وشفع لك ؛ فإنك في غنى عن غيره ، وإن خاصمك - معاذ الله - ، فلا نجاة لك ، فالأمر إذن جد خطير ، فكيف يكون القرآن حجة لك أو عليك ؟ .

يكون حجة لك : إذا أحببته ، وأحبيت أهله ، وأقبلت عليه ، وبذلت جهدك في تعلمه وتعليمه ، وعملت به قدر استطاعتك ، وجاهدت بنفسك ومالك لحفظه ونشره ونصرته ؛ وإلا فهو عليك .



قال القرطبي في مقدمة تفسيره : (فَقُرَّاءُ الْقُرْآنِ) : حملة سر الله المكنون ، وحفظة علمه المخزون ، وخلفاء أنبيائه ، وأمناؤه ، وهم أهله ، وخاصته ، وخيرته ، وأصفيائه ، قال رسول الله - ﷺ - : « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ هُمْ ؟ قَالَ هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ »^(١) ، أخرج ابن ماجه في سننه ، وأبو بكر البزار في مسنده .

فما أحق من عِلْمِ كتاب الله - تعالى - : أن يزدجر بنواحيه ، ويتذكر ما شرح له فيه ، ويخشى الله ويتقيه ، ويراقبه ويستحييه ، فإنه حمل أعباء الرسل ، وصار شهيدا في القيامة على من خالف من أهل الملل ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾^(٢) .

(١) [صحيح] ، سبق .

(٢) [البقرة : من الآية ١٤٣] .

«ألا وإن الحجة على من عَلِمَهُ فأغفله = أوكد منها على من قصر عنه وجهله ، ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع ، وزجرته نواهيه فلم يرتدع ، وارتكب من المآثم قبيحا ، ومن الجرائم فضوحا = كان القرآن حجة عليه ، وخصما لديه ، قال رسول الله - ﷺ - : « وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ ، أَوْ عَلَيْكَ »^(١) ، أخرجه مسلم .

فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه : أن يتلوه حق تلاوته ، ويتدبر حقائق عبارته ، ويتفهم عجائبه ، ويتبين غرائبه ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص: ٢٩] ، وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَبَـرَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .^(٢)



وقال الإمام النووي - رحمه الله - في شرح هذا الحديث : « تنتفع بالقرآن : إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو عليك » ، وقال القرطبي : يعني أنك إذا امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه = كان حجة لك في المواقف التي تسأل منه عنه كمسألة الملكين في القبر والمسألة عند الميزان وفي عقاب الصراط ، وإن لم يمثل ذلك احتج به عليك ، ويحتمل أن يراد به : أن القرآن هو الذي ينتهي إليه عند التنازع في المباحث الشرعية والوقائع الحكمية ، فبه تستدل على صحة دعواك ، وبه يستدل عليك خصمك .^(٣)



(١) [صحيح] ، أخرجه مسلم (١/٢٢٣) ، وغيره .

(٢) تفسير القرطبي ٢٧/١ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠١/٣ .

وقوله : « كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو : فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا » ، قال النووي :
معناه : أن كل إنسان يسعى لنفسه ، فمنهم من يبيعها لله بطاعته له فيعتقها
من العذاب كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾^(١) ، ومن يبيعها للشيطان والهوى باتباعها
فيوبقها أي يهلكها ، اللهم وفقنا للعمل بطاعتك وجنبنا أن نوبق أنفسنا
بمخالفتك ، آمين .^(٢)



* * *

(١) [التوبة : ١١١] .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠١/٣ .

وأحتم هذا الكتاب بهذه الطائفة من الأحاديث والآثار التي تتناسب مع هذا المقام الذي نتحدث فيه عن فضل القرآن الكريم ، وشرفه ، ومكانته ، وأهميته ، وشفاعته ، وحجيته ؛ أذكرها كما جاءت ، من غير تعليق مني ، لأنها لا تحتاج إلى تعليق من أحد ، بل إلى قلوب واعية ، وآذان صاغية ، لأنها أبلغ من أي كلام ، وأوضح من كل بيان .

.....

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - ، قَالَ : « يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ ، فَيَقُولُونَ : لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا ، فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ، لِتَشْفَعَ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، قَالَ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، قَالَ : وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ (أَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا) ، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا ، أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ (سَأَلَهُ رَبُّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ) ، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى ، عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ ، وَكَلَّمَهُ ، وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ، قَالَ : فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ (قَتَلَهُ النَّفْسَ) ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى ، عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ ، وَرُوحَ اللَّهِ ، وَكَلِمَتَهُ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - ، عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَيَأْتُونِي ، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ : وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ، فَيَقُولُ :

→ اَزْفَعُ مُحَمَّدٌ ، وَقُلُّ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعُ تُشْفَعُ ، وَسَلُّ تُعْطَى ، قَالَ : فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ؛ فَيَحْدُ لِي حَدًّا ، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، قَالَ قَتَادَةُ : وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ : فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ ، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ، ثُمَّ يَقُولُ : اَزْفَعُ مُحَمَّدٌ ، وَقُلُّ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعُ تُشْفَعُ ، وَسَلُّ تُعْطَى ، قَالَ : فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، قَالَ : ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا ، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، قَالَ قَتَادَةُ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ ، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ، ثُمَّ يَقُولُ : اَزْفَعُ مُحَمَّدٌ ، وَقُلُّ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعُ تُشْفَعُ ، وَسَلُّ تُعْطَى ، قَالَ : فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا ، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، قَالَ قَتَادَةُ : وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ - أَيَّ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ - قَالَ : ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (١) ، قَالَ :

وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيِّكُمْ - ﷺ - . (٢)

(١) [سورة الإسراء : من الآية ٧٩] .

(٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري (٤٢٠٦ - ٣١٨٢ - ٧٠٧٨ - ٧٠٠٢ - ٦٩٧٥ - ٦١٩٧) ،

ومسلم في الإيمان - ١/١٨٠ (٣٢٢/١٩٣ - ٣٢٤ ٣٢٣) ، وغيرهما .

وعن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - ، قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الْعَدَاةَ ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا ؟ فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ رَأَى فِيهَا رُؤْيَا ، قَصَّهَا عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَسَأَلْنَا يَوْمًا : هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا ؟ فَقُلْنَا : لَا ، قَالَ : لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي ، فَأَخَذَا بِيَدِي ، فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ ، أَوْ فَضَاءٍ ، فَمَرَرْنَا بِرَجُلٍ جَالِسٍ ، وَرَجُلٍ قَائِمٍ عَلَى رَأْسِهِ ، وَبِيَدِهِ كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ ، فَيَسْقُهُ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَيَلْتَمِسُ شِدْقَهُ هَذَا ، فَيَعُودُ فِيهِ ، فَيَضَعُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ ، وَرَجُلٍ قَائِمٍ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ يَشْدُخُ رَأْسَهُ ، فَإِذَا ضَرَبَهُ ، تَدَاهَدَهُ الْحَجَرُ ، فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ ، فَلَا يَزْجَعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ، فَعَادَ إِلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ ، فَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بَيْتٍ قَدْ بُنِيَ بِنَاءَ التَّنُّورِ ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ ، وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ ، ثُوْقَدُ تَحْتَهُ نَارٌ ، فَإِذَا أُوقِدَتْ ، اِزْتَفَعُوا حَتَّى كَادُوا يَخْرُجُونَ مِنْهَا ، فَإِذَا خَمَدَتْ ، رَجَعُوا فِيهَا ، وَفِيهَا رِجَالٌ ، وَنِسَاءٌ غُرَاةٌ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَأْتِيَ عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ ، وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ ، فَأَقْبَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ ، رَمَى الرَّجُلَ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ ، فَقُلْتُ لَهُمَا : مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي أَصْلِهَا شَيْخٌ ، وَصَبِيَانٌ ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يَحْسُشُهَا ،

« وَيُوقِدُهَا ، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا وَسَطَ الشَّجَرَةِ ، فَلَمْ
 أَرِ دَارًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا ، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ ، وَشُبَّانٌ ، وَفِيهَا نِسَاءٌ ،
 وَصِبْيَانٌ ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا ، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا أُخْرَى
 هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ، وَأَفْضَلُ ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ ، فَقُلْتُ لَهُمَا :
 إِنَّكُمَا قَدْ طَوَّفْتُمَانِي مِنْذُ اللَّيْلَةِ ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ ؟ قَالَا : نَعَمْ أَمَّا
 الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتَ يُشَوُّ شِدْقَهُ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَذَّابٌ يَتَحَدَّثُ بِالْكَذْبَةِ ،
 فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ ، فَهُوَ يَصْنَعُ بِهِ مَا تَرَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
 وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَدِّخُ رَأْسَهُ : فَإِنَّ ذَلِكَ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ،
 فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ بِالنَّهَارِ ، فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتَ فِي الْبَيْتِ ، وَالتَّنُورِ ، فَهُمُ الرُّنَاةُ ، وَأَمَّا
 الَّذِي رَأَيْتَ فِي نَهْرِ الدَّمِ ، فَذَلِكَ آكِلُ الرِّبَا ، وَأَمَّا الشَّيْخُ الَّذِي رَأَيْتَ فِي
 أَضِلِّ الشَّجَرَةِ فَذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ وَأَمَّا الصَّبِيَانُ الَّذِي رَأَيْتَ حَوْلَهُ ، فَأَوْلَادُ
 النَّاسِ ، وَأَمَّا النَّارُ الَّتِي رَأَيْتَ ، وَالرَّجُلُ يُوقِدُهَا فَتِلْكَ النَّارُ ، وَذَلِكَ مَالِكُ
 خَازِنُ النَّارِ ، وَأَمَّا الدَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ ، فَدَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمَّا
 هَذِهِ الدَّارُ ، فَدَارُ الشُّهَدَاءِ ، وَأَنَا جَبْرِيْلُ ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ ، ثُمَّ قَالَا : ازْفَعْ
 رَأْسَكَ ، فَزَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ ، قَالَا : ذَلِكَ مَنْزِلُكَ ،
 فَقُلْتُ دَعَانِي فَلَاتِي مَنْزِلِي ، فَقَالَا : إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَكَ عَمَلٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ
 بَعْدُ ، فَلَوْ قَدْ اسْتَكْمَلْتَهُ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ .^(١)



(١) [صحيح] ، أخرجه البخارى ٤٦٥/١ (١٣٢٠) . ومسلم ١٧٨١/٤ (٢٢٧٥) . وابن خزيمة
 ٦٩/٢ (٩٤٢) . وابن حبان ٤٢٧/٢ (٦٥٥) . والطبرانى ٢٤٢/٧ (٦٩٩٠) . والإمام أحمد في
 المسند ١٤/٥ (٢٠١٧٧) .

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَمَا حَلَّ مُصَدِّقٌ ، مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ » .^(١)

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - ، أنه جمع الذين قرأوا القرآن ؛ فاذا هم قريب من ثلاثمائة ، فعظم القرآن ، وقال : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَأَنَّ لَكُمْ أَجْرًا ، وَكَأَنَّ لَكُمْ ذِكْرًا ، وَكَأَنَّ بِكُمْ نُورًا ، وَكَأَنَّ عَلَيْكُمْ وَزْرًا ، اتَّبِعُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا يَتَّبِعِكُمُ الْقُرْآنُ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعِ الْقُرْآنَ يَهْبِطُ بِهِ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ يَرْخُ فِي قَفَاهُ فَيَقْدِفُهُ فِي جَهَنَّمَ » .^(٢)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رَجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضِ مِنَ النَّارِ ، فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ ، قَالَ : الْخُطْبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ : الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ؟ » .^(٣)

- (١) [صحيح] ، أخرجه ابن حبان في " صحيحه " ٣٣١/١ (١٢٤) وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده جيد . والبيهقي في الشعب ٣٥١/٢ (٢٠١٠) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٤٤٣) وفي " السلسلة الصحيحة " : ٣١ / ٥ (٢٠١٩) .
- (٢) [حسن لغيره] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢٦/٦ (٣٠٠١٤) - ١٤٢/٧ (٣٤٨٢١) . وابن الجوزي في صفة الصفوة ٥٥٨/١ . والدارمي في سننه ٥٢٦/٢ (٣٣٢٨) من حديث أبي كنانة عن أبي موسى ، وأبو كنانة هذا مجهول ؛ ولكن منته حسن لغيره . قال حسين سليم أسد : أبو كنانة ما رأيت فيه جرحا ولا تعديلا فهو على شرط ابن حبان وباقي رجاله ثقات .
- (٣) [صحيح] ، أخرجه أحمد ١٨٠/٣ (١٢٨٧٩) - ٢٣١/٣ (١٣٤٤٥) - ٢٣٩/٣ (١٣٥٣٩) . وابن حبان في صحيحه ٢٤٩/١ (٥٣) وصححه شعيب الأرناؤوط .

وفي رواية أخرى عن أنس - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ ، قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ ، قَالَ : خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » .^(١)

وفي رواية أخرى عن أنس - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ ، كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَّتْ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ ، قَالَ : خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ : الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ » .^(٢)

وأيضاً في رواية أخرى عن أنس - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ هُمْ ؟ قَالَ هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » .^(٣)

(١) [صحيح] ، أخرجه الطيالسي ٢٧٤/١ (٢٠٦٠) . وأحمد ١٢٠/٣ (١٢٢٣٢) . وعبد بن حميد ٣٦٧/١ (١٢٢) . وأبو يعلى ٧٢/٧ (٣٩٩٦) . وقال الهيثمي (٢٧٦/٧) : أحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح . والطبراني في الأوسط ١٤٤/٨ (٨٢٢٣) . وأبو نعيم في الحلية (٣٨٦/٢) . والضياء ٢٠٧/٧ (٢٦٤٦) وقال : إسناده صحيح . وأخرجه أيضاً : ابن أبي شيبة (٣٦٥٧٦) ٢٣٥/٧ . والبيهقي في شعب الإيمان ٢٥٠/٤ (٤٩٦٧) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ٤٤٠/١ (٣٥٨) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بقطر . وأبو نعيم في الحلية (٣٨٦/٢) . والبيهقي في شعب الإيمان ٢٨٣/٢ (١٧٧٣) ، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" ٢٨٩/٢ ، وحسنه في صحيح الجامع ١٣/١ (١٢٩) .

(٣) [صحيح] ، أخرجه أحمد ١٢٧/٣ (١٢٣٠١-١٢٣١٤) ، ٢٤٢/٣ (١٣٥٦٦) وحسنه شعيب الأرنؤوط . والدارمي (٣٣٢٦) . وابن ماجه (٢١٥) . والنسائي (٧٩٧٧) . والحاكم وصححه ٧٤٣/١ (٢٠٤٦) . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٠/٢) .

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول :
 « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرءوا
 الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما
 غمامتان أو كأنهما غيبتان أو كأنهما فزقان من طير صواف تحاجان عن
 أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا
 تستطيعها البطلة » .^(١)

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « الصيام والقرآن
 يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب ! منعته الطعام
 والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل
 فشفعني فيه ، قال : فيشفعان » .^(٢)

- (١) [صحيح] ، أخرجه الإمام مسلم (٢٥٢/٨٠٤) ، وغيره .
 (٢) [صحيح] ، أخرجه الإمام أحمد ١٧٤/٢ (٦٦٢٦) قال : ثنا موسى بن داود ثنا بن لهيعة عن
 حيبي بن عبد الله ، وابن لهيعة فيه مقال ولكنه متابع . وأخرجه الطبراني في الكبير (٨٨ -
 الجزء المفقود) . وأخرجه ابن المبارك في الزهد ١١٤/١ (٣٨٥) ، وفي المسند ٥٩/١ (٩٦)
 من رواية رشدين بن سعد قال حدثني حيبي بن عبد الله . وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١٦١/٨
 بسنده عن وهيب ثنا رشدين عن حيبي بن عبد الله . وأخرجه الحاكم في المستدرک ٧٤٠/١
 (٢٠٣٦) من رواية موسى بن عبد المؤمن ثنا هارون بن سعيد الأيلي ثنا عبد الله بن وهب
 أخبرني حيبي بن عبد الله ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . ورواه حيبي بن
 عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد
 ٦٩٣/١٠ (١٨٥٤٣) : رواه أحمد وإسناده حسن على ضعف في ابن لهيعة وقد وثق ، وقال
 في موضع آخر ٤١٩/٣ (٥٠٨١) : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال الطبراني رجال
 الصحيح . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٢) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلًا ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ حَصَمًا ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ حَمَلْتَهُ إِثْبَاطًا ، فَشَرُّ حَامِلٍ : تَعَدَّى حُدُودِي ، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي ، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي ، وَتَرَكَ طَاعَتِي ، فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ : شَأْنُكَ بِهِ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ ، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكْبِتَهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ ؛ وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ كَأَنَّ قَدْ حَمَلَهُ ، وَحَفِظَ أَمْرَهُ ، فَيَمَثَّلُ خَصَمًا دُونَهُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، حَمَلْتَهُ إِثْبَاطًا ، فَخَيْرُ حَامِلٍ : حَفِظَ حُدُودِي ، وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي ، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي ، وَاتَّبَعَ طَاعَتِي ، فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ : شَأْنُكَ بِهِ ، فَيَأْخُذُهُ بِيَدِهِ ، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَلْبِسَهُ حُلَّةَ الْإِسْتَبْرَقِ ، وَيَعْقِدَ عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ ، وَيَسْقِيَهُ كَأْسَ الْحَمْرِ » .^(١) ، وفي رواية : « وَيَسْقِيَهُ بِكَأْسِ الْخُلْدِ » .^(٢)



(١) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢٩/٦ (٣٠٠٤٤) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ٧٣/١ (١١٢) ، ورجاله كلهم ثقات ، وفيه محمد بن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس وقد عنعنه ، ولذلك ضعفه بعضهم بسبب عنعنة محمد بن إسحاق ، ولكن أخرجه البخاري مختصرا في "خلق أفعال العباد" ٧٤/١ (٢١٩) قال : وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلًا فَيَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ } ، هكذا بصيغة الجزم ، ثم قال البخاري : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بهذا ، فصرح بسماع محمد بن إسحاق من عمرو بن شعيب ، وعموما فمتن الحديث قوى بشواهده . وحسنه البوصيري في الإتحاف ١١١/٦ (١/٥٩٦٢) (٢ - ١)

(٢) [صحيح] ، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٢٥٨/١ .

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
 « يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُمَثَّلُ لَهُ الْقُرْآنُ ، قَدْ كَانَ يُضَيِّعُ فَرَائِضَهُ ،
 وَيَتَعَدَّى حُدُودَهُ ، وَيُخَالِفُ طَاعَتَهُ ، وَيَرْكَبُ مَعَاصِيَهُ ، فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ! ،
 حَمَلْتَهُ إِتْيَايَ ، فَبِئْسَ حَامِلٍ ، تَعَدَّى حُدُودِي ، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي ، وَتَرَكَ
 طَاعَتِي ، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي ، فَمَا يَزَالُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ : فَسَأْنُكَ
 بِهِ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ ، فَمَا يَفَارِقُهُ حَتَّى يَكْبَهُ عَلَى مَنْخَرِهِ بِالنَّارِ ، وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ
 قَدْ كَانَ يَحْفَظُ حُدُودَهُ ، وَيَعْمَلُ بِفَرَائِضِهِ ، وَيَعْمَلُ بِطَاعَتِهِ ، وَيَجْتَنِبُ
 مَعْصِيَتَهُ ، فَيَصِيرُ خَضِعًا دُونَهُ ، فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ! ، حَمَلْتَهُ إِتْيَايَ ، فَخَيْرُ
 حَامِلٍ ، انْتَقَى حُدُودِي ، وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي ، وَاتَّبَعَ طَاعَتِي ، وَاجْتَنَبَ
 مَعْصِيَتِي ، فَلَا يَزَالُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ : فَسَأْنُكَ بِهِ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ ، فَمَا
 يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَكْسُوهُ حُلَّةَ الْإِسْتَبْرَقِ ، وَيَضَعُ عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ ، وَيَسْقِيهِ
 بِكَأْسِ الْمُلْكِ » .^(١)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ الْقُرْآنُ : يَا رَبِّ حِلَّهُ ، فَيَلْبَسُ تَاجَ الْكِرَامَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ :
 يَا رَبِّ زِدْهُ ، فَيَلْبَسُ حُلَّةَ الْكِرَامَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ ، فَيَرْضَى
 عَنْهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : اقْرَأْ وَارْقُ ، وَيَزْدَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً » .^(٢)

(١) [صحيح] ، أخرجه البزار في مسنده (٢٣٣٧) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٤/٧
 (١١٦٣٨) : وفيه محمد ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات . قلت : قد
 صرح بالتحديث في رواية البخاري السابقة .

(٢) [حسن] ، أخرجه الترمذي وحسنه (٢٩١٥) . والدارمي (٣٣١١) وحسنه حسين أسد
 والحاكم وصححه ٧٣٨/١ (٢٠٢٩) . وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٣٠) .

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - ، قال : « أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، بِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ ، وَحَثْنَا عَلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ الْقُرْآنَ يَأْتِي أَهْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ لِلْمُسْلِمِ : أَعْرِفْنِي ؟ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ ، فَيَقُولُ : أَنَا الَّذِي كُنْتُ تُحِبُّ ، وَتَكْرَهُ أَنْ يَفَارِقَكَ ، أَنَا الَّذِي كَانَ يَسْحَبُكَ وَيُذْنِبُكَ ، فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ الْقُرْآنَ ، فَيَقْدَمُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ السَّكِينَةُ ، وَيُنْشَرُ عَلَى أَبِيهِ حُلَّتَانِ لَا يَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا أَضْعَافًا ، فَيَقُولَانِ : لِأَيِّ شَيْءٍ كُسِينَا هَذِهِ وَلَمْ يَبْلُغْهُ أَعْمَالُنَا ؟ ، فَيَقُولُ : هَذَا بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ » .^(١)



وعن سعيد بن أبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَحْسَنِ شَأْنٍ وَأَحْسَنِ هَيْئَةٍ ، قَالَ : فَيَقُولُ : يَا رَبِّ قَدْ أُعْطِيتَ كُلَّ عَامِلٍ أَجْرَ عَمَلِهِ فَأَيْنَ أَجْرَ عَمَلِي ؟ ، قَالَ : فَيُكْسَى صَاحِبَ الْقُرْآنِ حُلَّةَ الْكِرَامَةِ ، وَيَتَوَجَّحُ تَاجَ الْمُلْكِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ قَدْ كُنْتُ أَرْغَبُ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا ، قَالَ : فَيُعْطَى الْخُلْدَ بِيَمِينِهِ ، وَالتَّعِيمَ بِشِمَالِهِ ، قَالَ : فَيَقُولُ لَهُ أَرْضَيْتَ ؟ ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ، أَيُّ رَبِّ » .^(٢)



(١) [حسن] ، أخرجه الطبراني في الكبير ٢٩١/٨ (٨١١٩) وفيه سويد بن عبد العزيز مختلف فيه ، وبقية رجاله ثقات ، وهو قوي بشواهده .

(٢) [حسن مرسل] ، أخرجه الحارث في مسنده ٧٣٧/٢ (٧٣١) ، وهذا الحديث مرسل وإسناده

وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - ، قال : « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنِ الْخَيْرِ ، وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْخَيْرَ لَنْ يَسْبِقَنِي ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ، أَبْعَدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ، قَالَ : يَا حُذَيْفَةُ ! ، تَعَلَّمَ كِتَابَ اللَّهِ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ، أَبْعَدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ ، قَالَ : هُدْنَةُ عَلَى دَخْنٍ ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءٍ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ، الْهُدْنَةُ عَلَى دَخْنٍ مَا هِيَ ؟ ، قَالَ : لَا تَرْجِعُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ عَلَى الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ، أَبْعَدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ، قَالَ : فِتْنَةُ عَمِيَاءَ صَمَاءَ عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ ، وَأَنْتَ أَنْ تَمُوتَ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌ عَلَى جِذْلِ ؛ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ » .^(١)



وعن ابن الأحوص قال : قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « هَذَا الْقُرْآنُ مَأْدُبَةُ اللَّهِ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ شَيْئًا فَلْيَفْعَلْ ، فَإِنْ أَصْغَرَ الْبُيُوتِ مِنَ الْخَيْرِ : الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ كَخَرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا عَامِرَ لَهُ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ يَسْمَعُ فِيهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ » .^(٢)



(١) [حسن] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٤٧/٧ (٣٧١١٤) . والنسائي في فضائل القرآن ٩٩/١ (٢٧) وفي السنن ١٧/٥ (٨٠٣٢) ، ١٨/٥ (٨٠٣٣) . وأبو داود في سننه ٤٩٧/٢ (٤٢٤٦) وحسنه الألباني . وأخرجه أحمد في المسند ٣٨٦/٥ (٢٣٣٣٠) وحسنه شعيب الأرناؤوط . وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٩٩/١٣ (٥٩٦٣) وصححه شعيب الأرناؤوط .
 (٢) [صحيح] ، أخرجه الدارمي ٥٢١/٢ (٣٣٠٧) . وعبد الرزاق في المصنف ٣٦٨/٣ (٥٩٩٨) . والطبراني في الكبير ١٢٩/٩ (٨٦٤٢) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤١/٧ (١١٦٦١) : رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا الطريق رجال الصحيح .

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ ، وَمَاتَ فِي الْجَمَاعَةِ : بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ السَّفَرَةِ وَالْحُكَّامِ ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَنْفِلُتْ مِنْهُ ، وَلَا يَدْعُهُ : فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، وَمَنْ كَانَ حَرِيصًا عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ وَلَا يَدْعُهُ : بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَشْرَافِ أَهْلِهِ ، وَفُضِّلُوا عَلَى الْخَلَائِقِ كَمَا فَضِّلَتِ النُّسُورُ عَلَى سَائِرِ الطُّيُورِ ، وَكَمَا فَضِّلَتِ عَيْنٌ فِي مَرْجٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : أَيُّنَ الَّذِينَ كَانُوا لَا يُلْهِيُهُمْ رَعِيَّةُ الْأَنْعَامِ عَنْ تِلَاوَةِ كِتَابِي ؟ ، فَيَقُومُونَ فَيَلْبَسُ أَحَدُهُمْ تَاجَ الْكِرَامَةِ ، وَيُعْطَى الْفُوزَ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، فَإِنْ كَانَ أَبَوَاهُ مُسْلِمَيْنِ ← كُسِبَا حُلَّةً خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَيَقُولَانِ : أَنَّى هَذِهِ لَنَا ؟ ، فَيُقَالُ : بِمَا كَانَ وَلَدَكُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ » .^(١)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ، يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ ، أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَشْهَرُ لَيْلِكَ وَأَظْمَى هَوَاجِرِكَ ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ ، وَأَنَا لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تَاجِرٍ ، فَيُعْطَى الْمَلِكُ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، وَيُكْسَى الْوَدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَيَقُولَانِ يَا رَبِّ ! أَنَّى لَنَا هَذَا ؟ ، فَيُقَالُ لَهُمَا : بِتَعْلِيمِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ وَإِنَّ صَاحِبَ الْقُرْآنِ يُقَالُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : اقْرَأْ وَارْقُ فِي الدَّرَجَاتِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ مَعَكَ » .^(٢)

(١) [حسن] ، سبق .

(٢) [حسن] ، سبق .

وعن بريدة - رضي الله عنه - ، قال : كنت جالسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فسمعتة يقول :
 « تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَحْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَزَكِّي حَسْرَةً ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا
 الْبَطَلَةُ ، قَالَ : ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلَ عِمْرَانَ ،
 فَإِنَّهُمَا الزُّهْرَاوَانِ ، يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ
 غَيَّاتَانِ ، أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ ، فَيَقُولُ
 مَا أَعْرِفُكَ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ ، فَيَقُولُ مَا أَعْرِفُكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا
 صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ ، الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ ، وَأَسْهَزْتُ لَيْلِكَ ، وَإِنَّ كُلَّ
 تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ
 بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ
 حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا ، فَيَقُولَانِ بِمِ كَسِينَا هَذِهِ ؟ ، فَيُقَالُ : بِأَخْذِ
 وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجَةِ الْجَنَّةِ وَغُرْفِهَا ،
 فَهُوَ فِي صُعُودِ مَا دَامَ يَقْرَأُ ، هَذَا كَانَ ، أَوْ تَزْتِيلاً » .^(١)

وأیضا عن بريدة - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ،
 وَتَعَلَّمَ ، وَعَمِلَ بِهِ ، أَلَيْسَ وَالِدَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجِرًا مِنْ نُورٍ ، ضَوْؤُهُ مِثْلُ
 ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا ، فَيَقُولَانِ : بِمِ
 كَسِينَا هَذَا ؟ ، فَيُقَالُ : بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ » .^(٢)

(١) [حسن] ، سبق .
 (٢) [حسن لغيره] ، أخرجه الحاكم وصححه ٧٥٦/١ (٢٠٨٦) ، وحسنه الألباني في صحيح
 الترغيب والترهيب ٨٠/٢ (١٤٣٤) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَيَحِلُّ حَلَالُهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ ، حَلَطَهُ اللَّهُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، وَجَعَلَهُ رَفِيقَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ حَاجِبًا ، فَقَالَ : يَا رَبِّ !، كُلُّ عَامِلٍ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا يَأْخُذُ بِعَمَلِهِ مِنَ الدُّنْيَا، إِلَّا فُلَانٌ ؛ كَانَ يَقُومُ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ وَآتَاءِ النَّهَارِ ، فَيَحِلُّ حَلَالِي وَيُحَرِّمُ حَرَامِي ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ فَأَعْطِهِ ، فَيَتَوَجَّهُ اللَّهُ تَاجَ الْمُلْكِ ، وَيَكْسُوهُ مِنْ حُلْلِ الْكِرَامَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ : هَلْ رَضِيتَ ؟، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَرُغِبُ لَهُ فِي أَفْضَلِ مَنْ هَذَا ، فَيُعْطِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُلْكَ بِيَدَيْهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : هَلْ رَضِيتَ ؟، فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بَعْدَ مَا يَدْخُلُ فِي السَّنِّ ، فَأَخَذَهُ ، وَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ ، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ » .^(١)



وقال الزهري : أخبرني السائب بن يزيد : أن شريحا الحضرمي - رضي الله عنه - ، ذكر عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ذَاكَ رَجُلٌ لَا يَتَوَسَّدُ الْقُرْآنَ » ، أي : أنه حفظ القرآن الكريم ، ويقراه ويقوم به بالليل ولا ينام ولا يغفل عنه .^(٢)



(١) [حسن] ، سبق .
 (٢) [صحيح] ، أخرجه أحمد ٤٤٩/٣ (١٥٧٦٢ - ١٥٧٦٣) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين . والطبراني في الكبير ١٤٨/٧ (٦٦٥٤) . وابن المبارك في الزهد ٤٢٦/١ (١٢١٠) وفي المسند ٢٥/١ (٦٠) . وأبو بكر الشيباني في الأحاد والمثاني ٣٨٠/٤ (٢٤٢٢) . ويحيى بن معين في الجزء الثاني من حديثه ٢٤٢/١ (١٩١) وصححه خالد بن عبد الله السبت . وأخرجه النسائي في السنن ٢٥٦/٣ (١٧٨٣) وصححه الألباني .

وعن سهل بن معاذ الجهني ، عن أبيه أن رسول الله - ﷺ - ، قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ : أَلْبَسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا » .^(١)

وعن أبي هريرة - ؓ - ، يبلغ به النبي - ﷺ - ، قال : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُعَلِّمُ وَلَدَهُ الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا ، إِلَّا تَوَجَّحَ أَبُوهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِتَاجٍ فِي الْجَنَّةِ ، يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِتَعْلِيمِهِ وَلَدَهُ الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا » .^(٢)

وعن أنس بن مالك - ؓ - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، يُحِلُّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ ؛ حَرَّمَ اللَّهُ لَحْمَهُ وَدَمَهُ عَلَى النَّارِ ، وَجَعَلَهُ رَفِيقَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَانَ الْقُرْآنُ حُجَّةً لَهُ » .^(٣)

(١) [حسن لغيره] ، أخرجه أبو داود في سننه ٤٦٠/١ (١٤٥٣) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٢) . وأخرجه أحمد ٤٤٠/٣ (١٥٦٨٣) وحسنه لغيره شعيب الأرنؤوط .

(٢) [حسن لغيره] ، أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٦/١ (٩٦) وفيه جابر بن سليم الزرقعي لا يحتج به فقد وثقه أحمد وضعفه الأزدي وروى له خبر منكر ، وقال الحافظ في اللسان ٨٦/٢ (٣٥٣) : فلعل الآفة ممن دونه ، وعلى العموم فالحديث يتقوى بشواهد .

(٣) [حسن] ، أخرجه الطبراني في الصغير ٢٥٤/٢ (١١٢٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٥/١ (٧٨٨) : وفيه (خليد بن دعلج) ضعفه أحمد ويحيى والنسائي ، وقال أبو حاتم : صالح ليس بالمتين وقال ابن عدي : عامة حديثه تابعه عليه غيره . قلت : وعموما فمتن الحديث يتقوى بشواهد . وقال الطبراني : تابعه عليه غيره .

وعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - ، قال : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِالْجُحْفَةِ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ ، قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَبَشِرُوا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تُهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا » .^(١)

وعن أبي شريح الخزاعي - رضي الله عنه - ، قال : « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : أَبَشِرُوا وَأَبَشِرُوا ، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تُهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا » .^(٢)

وعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - أَوْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ - ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي ، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ » .^(٣)

(١) [حسن لغيره] ، أخرجه الطبراني في الكبير ١٢٦/٢ (١٥٣٩) ، وقال الهيثمي في المجمع ٤١٢/١ (٧٨٠) : رواه البزار والطبراني في الكبير والصغير وفيه أبو عباد الزرقى وهو متروك الحديث . وصححه الألباني في الصحيحة ٣٢٠/٢ (٧١٣) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢٥/٦ (٣٠٠٠٦) . وعبد بن حميد ١٧٥/١ (٤٨٣) . والبيهقي في الشعب ٣٥٢/٢ (٢٠١٣) . وابن حبان في صحيحه ٣٢٩/١ (١٢٢) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن على شرط مسلم . وأخرجه الطبراني في الكبير ١٢٦/٢ (١٥٣٩) ، وصححه الألباني في الصحيحة ٣٢٠/٢ (٧١٣) . وقال الهيثمي في المجمع ٤١١/١ (٧٧٩) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

(٣) [صحيح لغيره] ، أخرجه أحمد ١٨١/٥ (٢١٦١٨) ، وصححه لغيره شعيب الأرنؤوط .

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري - رضي الله عنه - ، قال : « لَمَّا صَدَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ حَجَّةِ الْوُدَاعِ ، نَهَى أَصْحَابَهُ عَنْ شَجَرَاتِ بِالْبَطْحَاءِ مُتَقَارِبَاتٍ أَنْ يَنْزِلُوا تَحْتَهُنَّ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِنَّ ، فَقَمَّ مَا تَحْتَهُنَّ مِنَ الشُّوكِ ، وَعَمَدَ إِلَيْهِنَّ فَصَلَّى تَحْتَهُنَّ ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ !، إِنِّي قَدْ نَبَأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ : أَنَّهُ لَمْ يُعَمَّرْ نَبِيٌّ إِلَّا نِصْفَ عُمُرِ الَّذِي يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِنِّي لِأَظُنُّ أَنِّي يُوَشِّكُ أَنْ أَدْعَى فَأَجِيبَ ، وَإِنِّي مَسْئُولٌ ، وَإِنكُمْ مَسْئُولُونَ ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ ، قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَجَاهَدْتَ وَنَصَحْتَ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَالَ : أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ وَنَارَهُ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْبُعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ؟ ، قَالُوا : بَلَى نَشْهَدُ بِذَلِكَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ !، إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ ، وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ ، يَغْنِي عَنِّي ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ !، إِنِّي فَرَطُكُمْ ، وَإِنكُمْ وَارِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضِ ، حَوْضٌ أَعْرَضَ مَا بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ ، فِيهِ عَدَدُ التُّجُومِ قِدْحَانٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَإِنِّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرِدُونَ عَلَيَّ عَنِ الثَّقَلَيْنِ ، فَاظْطَرُّوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا ، الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، سَبَبَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ لَا تَضِلُّوا وَلَا تَبَدَّلُوا ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإِنَّهُ نَبَأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُمَا لَنْ يَنْقُضِيَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ » .^(١)



(١) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ١٨٠/٣ (٣٠٥٢) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٤٩/٤ (١٧٥٠) .

وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - ، أن رسول الله - ﷺ - خطب الناس في حجة الوداع ، فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَّسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ ، وَلَكِنْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحَاقَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَاحْذَرُوا ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ » .^(١)

وعن زيد بن ثابت - ؓ - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِي : كِتَابَ اللَّهِ ، وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ » .^(٢)

وعن زيد بن أرقم - ؓ - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ : كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي ، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا » .^(٣)

(١) [صحيح] ، أخرجه الحاكم وصححه ١٧١/١ (٣١٨) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٠/١ (٤٠) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٠٩/٦ (٣١٦٧٩) . والطبراني في الكبير ١٥٣/٥ (٤٩٢١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٣/١ (٧٨٤) : " رجاله ثقات " . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥٧) .

(٣) [صحيح] ، أخرجه الترمذي ٦٦٣/٥ (٣٧٨٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥٨) وفي صحيح سنن الترمذي ٢٢٧/٣ (٢٩٨٠) .

وفي رواية أخرى أيضا عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ » .^(١)

وعن يزيد بن حيان - رحمه الله - ، قال : انطلقت أنا ، وحصين بن سبرة ، وعمر بن مسلم ، إلى زيد بن أرقم - رضي الله عنه - ، فلما جلسنا إليه ، قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا ، رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا ، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال يا ابن أخي ! ، والله لقد كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فما حدثتكم : فاقبلوا ، وما لا : فلا تكلفوني ، ثم قال : « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمًا فِيْنَا حَطِيْبًا بِمَاءٍ يُدْعَى حُخْمًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَوَعظَ وَذَكَرَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ ! ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبَ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ، أَوْلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ، فَحَثَّ عَلَيَّ كِتَابِ اللَّهِ ، وَرَغَّبَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَأَهْلَ بَيْتِي ، أَذَكَّرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذَكَّرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذَكَّرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » .^(٢)

(١) [صحيح] ، أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه ١٦٠/٣ (٤٧١١) وقال الذهبي في

التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

(٢) [صحيح] ، أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٨) .

وروى الإمام مسلم من حديث جابر - رضي الله عنه - ، في باب حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَصِلُوا بَعْدَهُ إِنْ اغْتَضَمْتُمْ بِهِ : كِتَابَ اللَّهِ » .^(١)

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَصِلُوا بَعْدِي : الثَّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ ، كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي ، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ » .^(٢)

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إِنْ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ : إِكْرَامِ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامِ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ » .^(٣)

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ » .^(٤)

(١) [صحيح] ، أخرجه الإمام مسلم (١٤٧/١٢١٨) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه أحمد ١٤/٣ (١١١١٩) - ٥٩/٣ (١١٥٧٨) - ٢٦/٣ (١١٢٢٧) ، وصححه شعيب الأرنؤوط .

(٣) [حسن] ، أخرجه ابن المبارك في الزهد ١٣١/١ (٣٨٨) . وأبو داود ٦٧٧/٢ (٤٨٤٣) . والبخاري في الأدب ١٣٠/١ (٣٥٧) ، وحسنه الألباني .

(٤) [صحيح] ، أخرجه البخاري برقم (٧٥٢٩) . ومسلم برقم (٨١٥) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ لَيْتَنِي أُوتِيَتْ مِثْلُ مَا أُوتِيَ فَلَانَ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ ، فَقَالَ رَجُلٌ : لَيْتَنِي أُوتِيَتْ مِثْلُ مَا أُوتِيَ فَلَانَ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ » .^(١)

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلِطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » .^(٢)

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - ، أن رجلا قال : « يَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - !، اشْتَرَيْتُ مَقْسَمَ بَنِي فَلَانٍ ، فَزَبَحْتُ فِيهِ كَذًا وَكَذًا ، فَقَالَ : « أَلَا أُنَبِّئُكَ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ رِبْحًا ؟ » ، قَالَ : هَلْ يُوْجَدُ ؟ قَالَ : « رَجُلٌ تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ » ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ فَتَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ ، فَأَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - ، فَأَخْبَرَهُ » .^(٣)

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ : فَهُوَ غَنِيٌّ » .^(٤)

(١) [صحيح] ، أخرجه البخاري / باب اغتباط صاحب القرآن (٥٠٢٦) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه البخاري ٥١٠/٢ (١٣٤٣) . ومسلم ٥٥٩/١ (٨١٦) . وأحمد ٣٨٥/١ .

(٣) (٣٦٥١) . وابن ماجه ١٤٠٧/٢ (٤٢٠٨) . وابن حبان ٢٩٢/١ (٩٠) .

(٤) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الأوسط ١٨٥/٣ (٢٨٧٢) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد

٣٤٢/٧ (١١٦٦٥) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٤) [صحيح] ، أخرجه الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي في فهم القرآن ص ٢٩٩ قال :

وحدثني أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا عبدة بن سليمان عن الأعمش قال : قال عبد الله .

وأيضاً عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « مَنْ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ = فَهُوَ غَنِيٌّ ، وَالنِّسَاءُ : مُحَبَّرَةٌ » . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ - الدارمي - : مُحَبَّرَةٌ : مُزَيَّنَةٌ . (١)

وأيضاً عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « لَوْ قِيلَ لِأَحَدِكُمْ : لَوْ غَدَوْتَ إِلَى الْقَرْيَةِ كَانَ لَكَ أَرْبَعُ مِائَةِ فَلَايُصَّ ، كَانَ يَقُولُ : قَدْ أَنَى لِي أَنْ أَعْدُو ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ غَدَا فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَانَتْ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعٍ وَأَرْبَعٍ ؛ حَتَّى عَدَّ شَيْئًا كَثِيرًا » . (٢)

وأيضاً عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، أَنَّهُ كَانَ : « يَقْرَأُ لِلرَّجُلِ الْآيَةَ ، ثُمَّ يَقُولُ : لَهَاي خَيْرٌ مِمَّا أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، أَوْ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ؛ حَتَّى يَقُولَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ » . (٣)

(١) [صحيح] ، أخرجه أبو عبيد في " فضائل القرآن " ص ٧٨ (٤٤٠) قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي - ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سليم بن حنظلة ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - . وهذا إسناد صحيح ، وأخرجه من طريق أبي عبيد البيهقي في الشعب ٥٢٩/٢ (٢٦١٥) . وأخرجه الدارمي في سننه ٥٤٤/٢ (٣٢٩٥) قال : حدثنا أبو نعيم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق به ، وقال حسين سليم أسد : إسناده جيد . وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣٧٥/٣ (٦٠١٥) مرسلاً . وابن نصر في قيام الليل ٦٩ .

(٢) [صحيح لغيره] ، أخرجه الطبراني ١٣٥/٩ (٨٦٦٢) من رواية أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي عن عبد الله بن مسعود ولم يسمع من ابن مسعود لأنه ولد سنة (٣٢) أي في العام الذي توفي فيه ابن مسعود . ولكن يشهد له ما قبله وحديث عُقْبَةَ بن عامر المرفوع : « أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَيَعْلَمُ ، أَوْ يَقْرَأُ : آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ = خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ ، وَثَلَاثَ = خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ ، وَأَرْبَعٌ = خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ » .

(٣) [صحيح] ، أخرجه الطبراني ١٣٥/٩ (٨٦٦٣) عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٦/٧ (١١٦٧٩) : ورجال الجميع ثقات .

وقال أبو إسحاق : وأخبرني أبو عبيدة : « أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - ، كَانَ إِذَا أَضْبَحَ فَخَرَجَ ، أَتَاهُ النَّاسُ إِلَى دَارِهِ ، فَيَقُولُ : عَلَى مَكَانِكُمْ ، ثُمَّ يَمُرُّ بِالَّذِينَ يُقْرَأُ لَهُمُ الْقُرْآنَ ، فَيَقُولُ : أَبَا فَلَانِ !، بِأَيِّ سُورَةٍ أَنْتَ ؟ ، فَيُخْبِرُهُ ، فَيَقُولُ : فِي أَيِّ آيَةٍ ؟ ، فَيُخْبِرُهُ ، فَيَفْتَحُ عَلَيْهِ الْآيَةَ الَّتِي تَلِيهَا ، ثُمَّ يَقُولُ : تَعَلَّمَهَا ، فَإِنَّهَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، قَالَ : فَيُظَنُّ الرَّجُلُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ خَيْرٌ مِنْهَا ، ثُمَّ يَمُرُّ بِالْآخِرِ ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى يَقُولَ ذَلِكَ لِكُلِّهِمْ » .^(١)



وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قَالَ : « مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ وَيُعْجِبُهُ : فَهُوَ بِخَيْرٍ » .^(٢)



وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قَالَ : « لَا يَسْأَلُ عَبْدٌ عَن نَفْسِهِ ، إِلَّا الْقُرْآنَ ، فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ وَيُعْجِبُهُ : فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .^(٣)



(١) [صحيح لغيره] ، أخرجه الطبراني ١٣٥/٩ (٨٦٦٢) من رواية أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهذلي السبيعي عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ولم يسمع من أبو عبيدة من أبيه ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٦/٧ (١١٦٧٩) : ورجال الجميع ثقات إلا أن من قولني وفي رواية من حديث أبي عبيدة - ابن عبد الله بن مسعود - عن أبيه ولم يسمع منه . قلت : ويشهد له حديث أبي الأحوص السابق .

(٢) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٢/٩ (٨٦٥٦) .

(٣) [صحيح] ، أخرجه ابن الجعد في مسنده ٢٩٠/١ (١٩٥٦) . وأبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢١ - ٢٢ . وصححه أبو إسحاق الحويني في فضائل القرآن لابن كثير ص ٤٨ .

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَغْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَلْيَنْظُرْ : فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ ؛ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .^(١)



وعن درة بنت أبي لهب - رضي الله عنها - قالت : قام رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر ، فقال : يا رسول الله ! أي الناس خير ؟ ، فقال : « خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَبُهُمْ ، وَأَتْقَاهُمْ لِلَّهِ ، وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ » .^(٢)



(١) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٢/٩ (٨٦٥٧) . والبيهقي في الشعب ٣٥٣/٢ (٢٠١٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد "رجاله ثقات" . وصححه أبو إسحاق الحويني في فضائل القرآن لابن كثير ص ٤٨ .

(٢) [صحيح لغيره] ، أخرجه أحمد ٤٣٢/٦ (٢٧٤٧٤) . والطبراني ٢٥٧/٢٤ (٦٥٧) . والبيهقي في شعب الإيمان ٢٢٠/٦ (٧٩٥٠) ، وضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط بشريك وبجهالة عبد الله بن عميرة ، فأما شريك فهو بن شريك عبد الله أبو عبد الله النخعي القاضي وهو ليس بضعيف بمرة وليس بمجمع على ضعفه ولكن ما خالف فيه الثقات ، فقد قال عنه الحافظ في الكاشف ٤٨٥/١ (٢٢٧٦) : أحد الأعلام ، وثقه بن معين ، وقال غيره سيء الحفظ ، وقال النسائي ليس به بأس ، هو أعلم بحديث الكوفيين من الثوري قاله بن المبارك . قلت : وقد تابعه شعبة على عبد الله بن عميرة كما في معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني ، وأما عبد الله بن عميرة فهو الكوفي وهو مقبول كما في التقريب ٣١٦/١ (٣٥١٤) ، وليس هو عبد الله بن عميرة بن حصن العجلي المجهول كما ظن بعضهم ، وقد حسن الهيثمي سند هذا الحديث كما في مجمع الزوائد ٥٢٠/٧ (١٢١١٩) حيث قال : رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر . وعلى العموم فإن للحديث شواهد كثيرة كحديث : « خَيْرُكُمْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَأَقْرَأَهُ » .

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، أن النبي - ﷺ - قال : « مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأَوَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ : فَهُوَ حَبِيرٌ » .^(١)

وفي رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، أن النبي - ﷺ - قال : « مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الطُّوْلَ : فَهُوَ حَبِيرٌ » .^(٢)

وفي رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، أن النبي - ﷺ - قال : « مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأَوَّلَ : فَهُوَ حَبِيرٌ » .^(٣) ، وقال إسحاق : يعني : [البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس] .^(٤)

(١) [حسن] ، أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٠٨/١٠ (٥٢٣٢) . والإمام أحمد ٨٢/٦ (٢٤٥٧٥) ، وحسنه شعيب الأرناؤوط . وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٨٥/٥ (٢٣٠٥) . وحسنه محمد بن رزق بن طرهوني في الأحاديث الثابتة في فضائل سور وآيات القرآن ١٣/١ ، وفي موسوعة فضائل سور وآيات القرآن الكريم ١٢٤/١ . وحسنه كذلك بارع بن عرفان توفيق في صحيح كنوز السنة النبوية ٢٦/١ (٩) .

(٢) [حسن] ، أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره ٢٨٦/٢ (٦٩) . والهيثمي في غاية المقصد في زوائد مسند أحمد ٣٢٣/١ (٣٤٠١) . والبزار ٩٥/٣ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٧/٧ (١١٦٤٨) : رواه أحمد والبزار - في الزوائد - ورجال البزار رجال الصحيح غير حبيب بن هند الأسلمي وهو ثقة ، ورواه بإسناد آخر رجاله رجال الصحيح .

(٣) [حسن] ، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ٢٨٨/٢ (٨٠٤) - ٣٣٢/٢ (٨٥٨) ومداره على حبيب بن هند وهو تابعي (من خير القرون) وهو ابن هند بن حارثة الصحابي - ﷺ - ، قال الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة ٨٥/١ (١٧٨) : قال البخاري هو حجازي ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقطع بثبوته الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٧/٧ (١١٦٤٨) . وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٧٢/٦ (٢٤٤٨٧) ، وحسنه شعيب الأرناؤوط .

(٤) ذكره إسحاق بن راهويه في مسنده ٣٣٢/٢ (٨٥٨) .

وفي رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، أن النبي - ﷺ -
قال : « مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأَوَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ : فَهُوَ خَيْرٌ » .^(١)



وفي رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، أن النبي - ﷺ -
قال : « مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ : فَهُوَ خَيْرٌ » ، يعني السبع الطول .^(٢)



وعن عروة بن الزبير - رضى الله عنه - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ
الطُّوْلَ : فَهُوَ خَيْرٌ » .^(٣)



وقال خيشمة وإبراهيم النخعي : « مَرَّتْ امْرَأَةٌ بِعَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
فَقَالَتْ : طُوبَى لِبَطْنِ حَمَلِكَ وَلِئُدِّي أَرْضَعَكَ ، قَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :
طُوبَى لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ » .^(٤)



(١) [حسن] ، أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه ٧٥٢/١ (٢٠٧٠) ووافقه الذهبي في التلخيص . وقال إسحاق ابن راهويه في مسنده ٢٨٨/٢ (٨٠٤) : قال النضر : لا يكون الخير ، إنما هو الحبر .

(٢) [حسن] ، أخرجه البغوي في شرح السنة - باب السبع الطول / ٢٥٣/٢ . والبيهقي في الشعب ٤٦٥/٢ (٢٤١٥) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٩) ، وقال إسحاق ابن راهويه في مسنده ٢٨٨/٢ (٨٠٤) : قال النضر : لا يكون الخير ، إنما هو الحبر .

(٣) [حسن مرسل] ، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ٣٣٢/٢ (٨٥٧) .

(٤) [صحيح موقوف] ، أخرجه ابن أبي شيبة ٣٤٠/٦ (٣١٨٧٨١) - ٦٥/٧ (٣٤٢٣١) ، وابن عساكر في تاريخه ٤٣٤/٤٧ ، وسنده صحيح إلى خيشمة . وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٤ (١٧) عن إبراهيم النخعي وسنده صحيح عنه أيضا . ولكن أين هما من عيسى ابن مريم - عليه السلام - .

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ تَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقْبَلَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَضْحَكُ فِي وَجْهِهِ » .^(١)

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَنْشُرْ » .^(٢)

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « مَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَلْيَنْشُرْ » .^(٣)

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الْقُرْآنُ حِكْمَةٌ ، فَمَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي شَبَابِهِ خُلِطَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، أَلَا وَإِنَّ النَّارَ لَا تَمَسُّ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ ، وَلَا جَسَدًا اجْتَنَّبَ مَحَارِمَهُ ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ ، وَآمَنَ بِمُحْكَمِهِ ، وَوَقَفَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ ، وَلَمْ يَتَّبِعْ فِيهِ » .^(٤)

(١) [صحيح] ، أخرجه الطبراني في الكبير ١٢٩/٨ (٧٥٨٨) وفي مسند الشاميين ٣١٨/٤ (٣٤٢١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٥/٧ (١١٦٣٩) : " رجاله ثقات " ، وكذا قال البوصيري في الإتحاف ١٠٩/٦ (١/٥٩٥٠) (٢ - ٢) .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣٣/٦ (٣٠٠٨٠) ، وله حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالرأي .

(٣) [صحيح] ، أخرجه الدارمي بإسنادين ٥٢٤/٢ (٣٣٢٣) - ٥٢٥/٢ (٣٣٢٤) ، وصححهما حسين سليم أسد ، وله حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالرأي .

(٤) [صحيح] سبق

وروى سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى - ، عن عبد الله بن عباس - ؓ - قال :
 « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ = عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَوَقَاهُ - أَظْنَهُ أَنَّهُ
 قَالَ - مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .^(١)

وأيضاً في رواية أخرى عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عباس - ؓ - ، قال :
 : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاتَّبَعَ مَا فِيهِ = هَدَاهُ اللَّهُ مِنَ الضَّلَالَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَوَقَاهُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُوءَ الْحِسَابِ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا
 يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه: ١٢٣] » .^(٢)

وروى عكرمة - رحمه الله - ، عن عبد الله بن عباس - ؓ - ، قال : « تَضَمَّنَ
 اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ : أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا يَشْقَى فِي
 الْآخِرَةِ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ .^(٣)

(١) [صحيح] ، أخرجه الطبري في تفسيره ٤٦٩/٨ .

(٢) [صحيح] ، وهو موقوف عن ابن عباس - ؓ - ، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣/٣٨٣ (٦٠٣٣) . ومجاهد في تفسيره ٤٠٤/١ . وابن أبي شيبة ١٢٠/٦ (٢٩٩٥٥) . وأبو نعيم في الحلية ٣٤/٩ . والحاكم في المستدرک ٤١٣/٣ (٣٤٣٨) وصححه ووافقه الذهبي . وأخرجه الطبراني في الكبير ٤٨/١٢ (١٢٤٣٧) وفي الأوسط ٣٣٢/٥ (٥٤٦٦) مرفوعاً من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثني أبي قال وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن أبي عمران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - ؓ - ، قال : قال رسول الله - ﷺ - . وضعفه الهيثمي في المجمع ١٦٥/٧ (١١١٦٨) والألباني في السلسلة الضعيفة ٣٢/١٠ (٥٤٣١) ، وأما الرواية الموقوفة فلها أكثر من إسناد صحيح ولها حكم الرفع لأن مثلها لا يقال بالرأي .

(٣) [سننه حسن ومثته صحيح] ، أخرجه الطبري في تفسيره ٤٦٩/٨ . قال حدثني الحسين بن يزيد الطحان قال : ثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس الملائي عن عكرمة عن ابن عباس . والحسين بن يزيد الطحان شيخ الطبري لين الحديث كما قال عنه الحافظ في الكاشف ٣٣٧/١ (١١١٧) ، ولكن متن الحديث صحيح لغيره كما في رواه ابن أبي شيبة .

وفي رواية أخرى عن عكرمة ، عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - ، قال : « ضَمِنَ اللهُ لِمَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ .^(١) »

وعن الشعبي - رحمه الله - ، قال : قال ابن عباس - رضي الله عنه - : « أَجَارَ اللهُ تَابِعَ الْقُرْآنِ بِأَنْ يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَأَنْ يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ .^(٢) »

وفي أخرى رواية عن ابن عباس - رضي الله عنه - ، قال : « مَنْ اقْتَدَى بِكِتَابِ اللهِ لَا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ .^(٣) »

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - ، قال : « اقْرءُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا يَغْرُنْكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَذِّبَ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ » .^(٤)

(١) [صحيح] ، أخرجه ابن أبي شيبة ١٣٦/٧ (٣٤٧٨١) قال : حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عكرمة عن بن عباس .

(٢) [حسن] ، أخرجه سفيان الثوري في تفسيره ١٩٧/١ (١٠/٢٩/٦٢٢) عن جابر عن الشعبي قال : قال بن عباس ، وجابر هو الجعفي ضعيف ، ولكن الحديث يتقوى بما قبله وما بعده .

(٣) ذكره محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ٤١/١ (٥١/١٩٠) وعزاه لرزين وقال الألباني : لم تتم دراسته .

(٤) [صحيح] ، سبق .

وفي رواية أخرى أيضا ، عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - ، قال : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، وَلَا يَغُرَّنْكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَذِّبَ قَلْبًا وَعَاءَ لِلْقُرْآنِ » .^(١)



وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قال : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ ؛ فَمَنْ دَخَلَ فِيهِ فَهُوَ آمِنٌ » .^(٢)



(١) [صحيح لغيره] ، سبق .

(٢) [صحيح] ، أخرجه ابن المبارك في الزهد ٢٧٢/١ (٧٨٧) . وأخرجه الدارمي في سننه بإسنادين ٥٢١/٢ (٣٣٠٧) - ٥٢٥/٢ (٣٣٢٢) ، وصححهما حسين سليم أسد ، وله حكم الرفع لأن مثله مما لا يقال بالرأي .

تم الكتاب
بحمد الله الواحد الوهاب

فهرس موضوعات المجلد الثالث

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--|
| | الفصل العشرون: |
| ٥ | توقيفية القراءة والعدد |
| | الفصل الواحد والعشرون: |
| ١٣ | الخلط بين الطرق والروايات |
| | الفصل الثاني والعشرون: |
| ٢٠ | الماهر بالقرآن |
| | الفصل الثالث والعشرون: |
| ٤٠ | صاحب القرآن |
| | الفصل الرابع والعشرون: |
| ٥٤ | تعليم الأهل والأبناء القرآن الكريم |
| | الفصل الخامس والعشرون: |
| ٥٨ | الأمر بتعلم كيفية قراءة القرآن وتلاوته |
| | الفصل السادس والعشرون: |
| ٦٣ | الأمر بتعلم قراءة القرآن وتعليمها |
| | الفصل السابع والعشرون: |
| ٦٧ | الأمر بتعلم قراءة القرآن واقتنائه ونشره |
| | الفصل الثامن والعشرون: |
| ٧٥ | الأمر بتعلم قراءة القرآن وإقراءه وقراءته |

الفصل التاسع والعشرون:

٨٠ شفاعة القرآن

الفصل الثلاثون:

٩٦ إنكارُ قراءته : إنكارٌ له

الفصل الواحد والثلاثون:

١٠١ أحب الناس إلى النبي - ﷺ -

الفصل الثاني والثلاثون:

١٠٣ القراءة كما أنزل

الفصل الثالث والثلاثون:

١٠٨ شرف الانتساب للقراء

الفصل الرابع والثلاثون:

١١١ القرآن يتعلمه ثلاثة

الفصل الخامس والثلاثون:

١١٦ الأمر بتعلم قراءة القرآن الكريم والنهي عن الغلو فيها

الفصل السادس والثلاثون:

١٣٤ فضل تعلُّم القرآن الكريم وحفظه والعمل به

الفصل السابع والثلاثون:

١٣٧ فضل تعلم قراءة القرآن الكريم وتلاوته وحفظه

الفصل الثامن والثلاثون:

١٤٠ المد : وتوقيفية القراءة

الفصل التاسع والثلاثون:

١٤٣ قراءة المُعَلِّم على المُتَعَلِّم

الفصل الأربعون:

١٥٠ تعلم القراءة والعلم معا

الفصل الواحد والأربعون:

١٥٨ اقْرءُوا فَكُلُّ حَسَنٌ

الفصل الثاني والأربعون:

عدم جواز القراءة باللغات واللهجات

١٧٢ التي لم تثبت في العرضة الأخيرة

١٧٧ دفع بعض الشبهات:

الفصل الثالث والأربعون:

١٩٦ القراءة على غير الصفة التي أنزلت ليست بقراءة

الفصل الرابع والأربعون:

١٩٨ المقروء على غير الصفة التي أنزلت ليس بقرآن

الفصل الخامس والأربعون:

٢٠٠ التجويد

٢١٠ ضابط التجويد

٢١١ معني التجويد لغةً

٢١٢ معني التجويد اصطلاحاً

الفصل السادس والأربعون:

٢١٦ اللحن في القرآن

٢١٩ معني اللحن لغةً

- ٢٣٢ معني اللحن اصطلاحا
- ٢٣٧ صور اللحن في القرآن الكريم
- ٢٤١ أقسام اللحن
- ٢٤٢ اللحن الخفي
- ٢٤٤ اللحن الجلي
- ٢٤٥ اللحن الخفي الجلي
- ٢٤٩ حكم اللحن في قراءة القرآن الكريم
- ٢٥٠ أحوال الناس مع القراءة
- الحالة الأولى:
- ٢٥٠ الذي لا يعرف أحكام القراءة ولا يستطيع أن يتعلمها
- ٢٥٠ حكمه ، والدليل على هذا الحكم
- ٢٥١ حكم صلاته
- الحالة الثانية:
- الذي لا يعرف الأحكام ولكنه يستطيع أن يتعلمها إلا أنه تكاسل أو أهمل في تعلمها
- ٢٥٢ حكمه إذا لحن في قراءته لحنًا جليًا
- ٢٥٢ الدليل على هذا الحكم
- ٢٩٥ حكمه إذا لحن في قراءته لحنًا خفيًا
- ٢٩٩ حكم صلاته
- الحالة الثالثة:
- ٣٠٠ الذي يعلم القواعد والأحكام ولكنه يلحن في قراءته
- ٣٠١ حكمه إن كان يلحن عاجزا

- ٣٠١ الدليل على هذا الحكم
- ٣٠١ حكم صلاته
- ٣٠٢ حكمه إن كان يلحن مُخطئا، أو ناسيا، أو مُكرها
- ٣٠٢ الدليل على هذا الحكم
- ٣٠٣ حكم صلاته
- ٣٠٤ حكمه إن كان يلحن متهاونا
- ٣٠٤ حكم صلاته
- ٣٠٦ حكمه إن كان يلحن متهاونا
- ٣٠٦ حكم صلاته
- ٣٠٩ أقوال الفقهاء في حكم اللحن في الفاتحة داخل الصلاة
أولا: إذا كان اللحن خفيا لا يُخل بجوهر القراءة
- ٣١٠ حكمه عند الفقهاء
ثانيا: إذا كان اللحن جليا يُخل بجوهر القراءة
- ٣١١ حكمه عند الفقهاء
- ٣١٢ أولا: قول الأحناف
- ٣١٣ ثانيا: قول الشافعية
- ٣١٤ ثالثا: قول الحنابلة
- ٣١٥ رابعا: قول المالكية
- أقسام اللحن عند القراء وعند الفقهاء
- ٣١٦ أولا: عند القراء
- ٣١٦ ثانيا: عند الفقهاء

- ٣١٧ خلاصة مذهب الفقهاء والتعقيب عليه
الفصل السابع والأربعون:
- ٣٢٤ كيفية صلاة من لا يحسن القراءة
الفصل الثامن والأربعون:
- ٣٣٧ ماهية القرآن الكريم وحكم حفظه
الفصل التاسع والأربعون:
- ٣٥٩ القرآن حجة لك أو عليك
- ٣٦٦ طائفة من الأحاديث والآثار في فضل القرآن الكريم
- ٣٩٧ الفهرس



* * *